

نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ إِلَى سُورَةِ يَس

تأليف
الشيخ محسن قراءتي

المجلد السابع

دار المؤرخ العربي

بيروت



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان المرء كفة في ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
(الإمام الصادق ع)

moamenquraish.blogspot.com

نَفْسِ النَّوَى

نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ إِلَى سُورَةِ يَس

تأليف
الشيخ محسن قرآني

ترجمة
محمد حسن زراقط

ترجمة
السيد علي الموسوي

المجلد السابع

دار المورخ العربي
بيروت - لبنان

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المورخ العربي

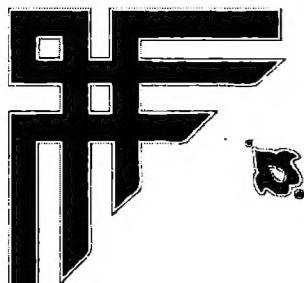


بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسين - فوق صيدلية دياب - ط ٢

تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص ب: ١٢٤ / ٢٤

البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com

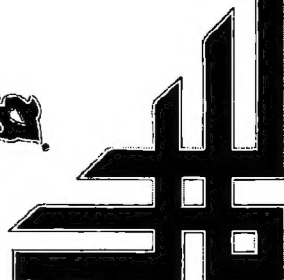
www.al-mouarekh.com



سُورَةُ الْقَصَصِ

السورة: ٢٨ الجزء: ٢٠

عدد الآيات: ٨٨



ملامح سورة القصص

تحتوي هذه السورة على ثمانية وثمانين آية، نزلت في مكة قبل الهجرة. وقد سمّيت بهذا الاسم (القصص)، لورود هذه الكلمة في الآية الخامسة والعشرين من آياتها، وهي تعني تاريخ الماضين.

تتحدث الآيات من الثالثة حتى السادسة والأربعين عن قصة موسى وفرعون، كما تتعرض أواخر هذه الآيات لقصة قارون، وتشير في الختام إلى عاقبة الصابرين المحسنين ومصير الفاسدين المذنبين.

وقصة موسى وإن وردت في أربعة وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم، ولكن ما يمتاز به هذه السورة أنها تعرّضت لكافة مراحل حياة موسى من الولادة، إلى الطفولة، فالشباب، وإلى مسألة زواجه ونبوته ودعوته إلى عبادة الله الواحد^(١).

(١) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٤٠٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ ۙ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾
 نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

التعاليم

- ١ - القرآن الكريم، معجزة رسول الله ﷺ يتألف من الحروف الأبجدية المعروفة، فإن كنتم تدعون أنه كلام بشر فأتوا بمثله، ﴿طَسَمَ، تِلْكَ ءَايَاتُ﴾.
 - ٢ - القرآن كتاب واضح، يبين وقابل للفهم، ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
 - ٣ - بيان سيرة الأمم السالفة دليل على أن السنن الإلهية في التاريخ تسير طبقاً لقواعد وقوانين. فلو لم يكن التاريخ يجري طبق قواعد وقوانين، فإننا لن نتمكن من أن ننهل منه في عالمنا اليوم، ﴿نَتْلُو... مِنْ نَبَأِ مُوسَى... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
 - ٤ - لا بدّ عند سردنا للتاريخ من أن نقف عند الأحداث المهمة التي تحمل الدروس والعبر، (تطلق كلمة نبأ على الخبر المهم).
 - ٥ - في مواجهة الأنبياء للطواغيت والظالمين عبرة للمؤمنين، ﴿نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
 - ٦ - قصص القرآن ليست خرافة ولا من نسج الخيال، ﴿نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾.
 - ٧ - يهدف القرآن من خلال سرد القصص إلى هداية المؤمنين، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
 - ٨ - أول شرط للهداية امتلاك القابلية، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعِيٰ أَبْنَاءَهُمْ
 وَاسْتَخِيٰ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝١١﴾

إشارات

□ كلمة «شيع» جمع «شيعه»، وهي في الأصل بمعنى التابع والتبعية، ولكنها تطلق

أيضاً على المجموعة من الناس لأن العادة في المجموعات أن يكون بعضهم تابعاً لبعضها الآخر.

□ لعل كلمة «نساء» تشمل البنات أيضاً، لأنها جعلت مقابل الأبناء.

□ كلمة فرعون ليست علماً لشخص، بل هي تسمية تطلق على ملك مصر، كما تطلق تسمية كسرى على ملك إيران، وقيصر على ملك الروم^(١).

التعاليم

١ - لا بد من التعرف إلى الظروف والبيئة المحيطة بالمجتمعات عند بعثة الأنبياء، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾.

٢ - لا أهمية للأشخاص عندما نريد التعرف إلى نظام ما، بل المهم هو عمل هؤلاء، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (إطلاق اسم فرعون عليه بسبب ظلمه واستكباره).

٣ - التكبر والعلو يوفران أرضية الفساد والمعصية، ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ... يَسْتَضِعُّ... يَذْبَحُ...﴾.

٤ - بث الفرقة أفضل وسيلة يلجأ إليها المستكبرون للتسلط على الناس، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. (لن يتمكن المستكبرون والطواغيت من فعل شيء أمام وحدة الناس وتألفهم).

٥ - التفرقة مقدمة للوقوع في الذل. فبداية يتفرق الناس شيعاً وجماعات، ثم بعد ذلك يتحقق الاستضعاف فيهم، ﴿شِيَعًا يَسْتَضِعُّ﴾.

٦ - كل جنائية تصدر من العاملين في جهاز السلطة تقع على عاتق الحاكم، ففي الآيات كافة نسبت جنائيات أتباع فرعون إلى فرعون نفسه، ﴿جَعَلَ، يَسْتَضِعُّ، يَذْبَحُ﴾.

٧ - تعرض الله ﷻ في كلامه لمسألة التفرقة قبل أن يتعرض لموضوع القتل. ولعل

(١) علي أكبر دهخدا، لغت نامه دهخدا (معجم دهخدا اللغوي)، مادة: «فرعون».

ذلك لأن التفرقة هي العامل الذي يوفر أسباب القتل أو لأنها أكثر ضرراً من القتل، ﴿شِعْمًا... يُدَيِّحُ﴾.

٨ - أهل السياسة والذين يصدرن الأوامر هم أيضاً مرتكبوا الجناية والجريمة، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ... يَسْتَضِعُّ، يُدَيِّحُ، يَسْتَحْيِ﴾.

٩ - مسببو الفرقة هم من المفسدين، ﴿كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. نعم كل مجتمع يحكمه إنسان متكبر، يبت الفرقة بين أفرادها، يواجه شعبه بالتهديد، وتنحصر منافعه بالطبقة المرفهة، هو مجتمع فرعوني وطاغوتي.

﴿وَرُبُّهُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا فِي الْأَرْضِ
وَيَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

إشارات:

□ كلمة «مَنَّة» هنا هي بمعنى النعمة الكبرى ذات القيمة العالية، وليس المراد المنة باللسان بذكر النعمة لأجل إلحاق المهانة بالآخرين والتي هي من مساوئ الأخلاق.

□ لا شك في أن الإرادة الإلهية إذا تعلقت بإيجاد أمر، فإن ذلك سوف يتحقق حتماً وجزماً، ولن يحول بين الإرادة الإلهية وبين تحقيقها أي شيء، ولذا ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

□ مع أن النعم كافة، هي من عند الله ﷻ، والعباد مرتهنون له في كل نعمة يهبها؛ ولكنه ﷻ خص بعض النعم بالامتنان على العباد بها، وهذا ما يشير إلى أهمية هذه النعم، من ذلك:

أ - نعمة الإسلام: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

- ب - نعمة النبوة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾^(١).
 ج - نعمة الهداية: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾^(٢).
 د - نعمة حاكمية المؤمنين: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ...﴾.

□ ورد في الكثير من الروايات أن المهدي (عجل الله فرجه) ودولته هما في آخر الزمان المصدق الأتم لهذه الآية^(٣).
 □ أكد القرآن الكريم، وبعبارات مختلفة، على مسألة حاكمية المستضعفين على الأرض من ذلك:

- أ - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).
 ب - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا... ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥).
 ج - ﴿أَنْتَ الْآرِضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٦).
 د - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾^(٧).
 هـ - ﴿...لَتُهِلِكَ الظَّالِمِينَ وَلَيُخْلِفَنَّكُمْ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(٨).

□ المراد من «المستضعفين» في هذه الآية، وبملاحظة كون الفعل «استضعفوا» مبنياً للمجهول، من لم يكن من المستضعفين بفعل نفسه، بل بسبب استكبار المستكبرين عليه.

التعاليم

- ١ - دولة المستضعفين العالمية والدفاع عن المظلومين في التاريخ، من الأمور التي تعلقت بها الإرادة الإلهية، ﴿رِيدُ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
 (٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.
 (٣) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.
 (٤) سورة النور: الآية ٥٥.
 (٥) سورة يونس: الآيتان ١٣ و ١٤.
 (٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.
 (٧) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.
 (٨) سورة إبراهيم: الآيتان ١٣ و ١٤.

٢ - حكومة الطاغوت والاستبداد تدفع إلى استضعاف الطاقات والقوى، ﴿أَسْتَضِعُّوْا﴾.

٣ - المستقبل هو للمستضعفين، ﴿وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً...﴾.

٤ - الإمامة كالبعثة نعمة إلهية خاصة من الله ﷻ بها على عباده، ولذا قال تعالى في ما يتعلق ببعثة الأنبياء: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾^(١). وفي هذه الآية يقول: ﴿نُنَنِّ... وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

التعاليم

١ - لا ينبغي أن ينال اليأس من المستضعفين؛ لأن الله ﷻ يمكن لهم، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾.

٢ - عقوبة الطواغيت وإن كانت في عالم الآخرة، إلا أنهم لن يكونوا بأمّن من العذاب الإلهي في الدنيا، ﴿وَنُرِيَ... مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

٣ - سوف ينال الكافرون الذل من الله ﷻ على أيدي المؤمنين، ﴿وَنُرِيَ... مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

٤ - مهما امتلك العدو من قدرات فإنه يعيش الخوف من المؤمنين، ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمْنَاهُ فِي الْإِيمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْفُطُوءُ ۗ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾

إشارات

□ أنبيء فرعون بأن طفلاً سيولد في هذا العام، ولو كتب له أن يعيش فإنه على

يديه سيكون زوال ملكه. فأمر بقتل كل طفل يولد لحظة ولادته؛ وعندما ولد موسى ألهم الله ﷻ أمه بأن ترضعه ثم تضعه في صندوق وتلقه في اليم.

□ ورد في هذه الآية خطاباً لأم موسى أمران ونهيان وبشارتان: أما الأمران: ﴿أَرْضِعِيْهِ، فَآلَقِيْهِ﴾، أما النهيان: ﴿وَلَا تَخَافِي... وَلَا تَحْزَنِيْ﴾، أما البشارتان: ﴿رَادُّوْهُ... وَجَاعِلُوْهُ﴾.

□ كلمة خوف تطلق في موارد احتمال الخطر، وأما كلمة حزن فتطلق في الموارد التي يكون الخطر فيها محتوماً^(١).

□ المراد من اليم في هذه الآية نهر النيل العظيم في مصر، وأطلق عليه اليم لكونه كبيراً، وقد بنى فرعون قصره إلى جانب ذلك النهر.

□ إذا أراد الله ﷻ جعل من العدو مأمناً وملجأ، ﴿فَالْقَطْعَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ﴾.

التعاليم:

١ - الله ﷻ هو الهادي والمعين في حالات القلق والاضطراب وعند انسداد الطرق، ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾.

٢ - قد تتلقى المرأة الإلهام من الله ﷻ، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾.

٣ - لا تنافي بين نزول المدد الغيبي وبين الاستعانة بالأسباب المادية. فإرضاع موسى ووضعه في الصندوق لا يتنافى مع التوكل، ﴿أَرْضِعِيْهِ﴾.

٤ - لا ينبغي حرمان الطفل من حليب أمه في أي ظرف كان، ﴿أَرْضِعِيْهِ﴾.

٥ - في الأوامر الإلهية أسرار مخبوءة لا يظهر في النظرة الأولى أي وجه عقلائي لها، ﴿فَكَآلَقِيْهِ فِي الْيَمِّ﴾.

٦ - لا ينبغي الخوف من شيء ولا القلق من أمر عند امتثال الأوامر الإلهية، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيْ﴾، (فأم موسى كانت تخاف من أمرين: أحدهما، أن يُقتل ولدها، والآخر فراقها له، والله ﷻ أبدلها ذلك بأحسن ما يمكن كما سوف يأتي في الآيات القادمة).

٧ - ما يبذل في سبيل الله ﷻ يعود إلى الإنسان بأفضل وجه، ﴿فَأَلْقِيهِ... رَأْدُوهُ... وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. (أم موسى امتثلت للأمر الإلهي بالقاء ولدها في اليم، فأرجعه الله ﷻ إليها وأعطاه مقام النبوة).

٨ - يعطي الله ﷻ علم الغيب لمن يشاء من عباده، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٩ - صار فرعون وسيلة لنجاة موسى من اليم، وغرق هو في ذلك اليم نفسه على يد موسى، ﴿فَالْتَفَتَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. (الله ﷻ ينقذ الطفل الذي لا حول له ولا قوة من اليم، ويغرق صاحب القدرة والإمكانات).

١٠ - لا أثر لإرادة الإنسان في مواجهة الإرادة الإلهية، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، فقد ظن فرعون أن هدية وصلته؛ ولكن الله ﷻ أراد أن يتربى عدوه في حجره.

١١ - خطط فرعون ووزيره وجنده ونفذوا ما خططوا له، ولكن التدبير الإلهي أفلس كل مخططاتهم، ﴿كَانُوا خٰطِئِينَ﴾.

١٢ - المخطط، والمستشار، والأمر، والمباشر كلهم شركاء في الجريمة، ﴿كَانُوا خٰطِئِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

إشارات:

□ كان لأكثر من امرأة دور في حياة موسى: أم موسى، أخت موسى، زوجة فرعون وزوجة موسى، وقد بينت هذه الآية دور زوجة فرعون في منع فرعون من قتل موسى.

التعاليم:

١ - للمرأة دور مؤثر في الحياة الاجتماعية، ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾، (تمكنت

زوجة فرعون من أن تغير رأي فرعون ولم يمنعها من ذلك سطوة فرعون وسلطانه وجبروته).

٢ - لا بد من الإسراع في تقديم الاقتراحات الصحيحة لأجل المنع من تقديم الآخرين للاقتراحات المنحرفة. قبل أن يتخذ فرعون قراراً في شأن الطفل اقترحت زوجته طريقاً صحيحاً لمعالجة المسألة، ﴿وَقَالَتْ أَمْرًا تُرِيعُونَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٣ - لا بد من استخدام لغة العاطفة والتأثير عندما نقوم بتقديم أي اقتراح، ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾.

٤ - القلوب جميعها بيد الله ﷻ. فهو الذي يليتها حتى لو كانت من أقساها كقلب فرعون، ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾.

٥ - عند مواجهة المنكر لا بد من سلوك طريق العاطفة أولاً، ثم اللجوء إلى الأمر والنهي، ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٦ - لا ينبغي أن نغفل النهي عن المنكر باللسان؛ لأنه مؤثر للغاية، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ (فقد تمكنت زوجة فرعون بقولها: لا تقتلوه، أن تمنع من قتل موسى، كما منع أحد إخوة يوسف من قتل يوسف بقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾).

٧ - لا يملك الطواغيت أدنى العواطف الإنسانية، ولذا كانوا بحاجة إلى أن يذكروا بها، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٨ - لا بد من بيان فوائد الأمر والنهي لكي يتقبل ذلك الناس بسهولة، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

٩ - في النظام الطاغوتي يكون الملاك في وضع القوانين أو رفعها هو الهوى والمصالح الشخصية للطواغيت، (فقانون القتل العام للأطفال الذكور اعتمد على المصالح الشخصية لفرعون، وعلى أساس هذه المصالح الشخصية قام فرعون بإلغاء هذا القانون في هذا الطفل الذي وجد في اليم أي موسى)، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

١٠ - بعض الناس يظهرون أنهم من ذوي الشأن والعظمة، ولكنهم في باطنهم أسرى الحاجات الخاصة الكامنة في نفوسهم، (فرعون كان يدعي: أنا ربكم

الأعلى، ثم تجده يرضى بأن من الممكن أن يكون في هذا الولد الذي التقطه من الماء منفعة له)، ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

١١ - لم يكن لفرعون أولاد. ولذا رضي بالإبقاء على الولد الذي أخرجه من الماء فاعترف بذلك بضعفه وعجزه، ﴿نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾.

١٢ - قد تحصل المودة بين شخصين بطريقة غيبية لا يعلمها الطرفان، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قَبَضَتْ يَدَهُ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١١ ﴿

إشارات:

□ ذكر في تفسير الميزان عند شرحه لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾: (وبملاحظة السياق وظاهر الآيات السابقة واللاحقة، المراد بفراغ فؤاد أم موسى فراغه وخلوه من الخوف والحزن، وكان لازم ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشوشة وأوهام متضاربة يضطرب بها القلب فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها أن تخفيه من أمر ولدها).

□ بعد أن وضعت أم موسى وليدها في صندوق وألقته في الماء طلبت من أخته أن تتبع أثره بشكل خفي لترى ما سيحدث بوليدها. وقد قامت أخت موسى بتتبع الصندوق دون أن تلفت نظر أحد إلى ذلك إلى أن أخرج الصندوق من الماء في بيت فرعون، وعلمت أنهم يبحثون عن مرضعة له؛ ولم يقبل الطفل الارتضاع من أي من النساء اللواتي أتين، وهنا تدخلت أخته لتقترح لهم مرضعة وهي أم موسى، وبهذا تمكنت من أن تختتم مهمتها.

التعاليم

١ - إفشاء الأسرار من علامات الوهن وضعف الإيمان، ﴿لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

- ٢ - طمأنينة القلب بيد الله ﷻ، ﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.
- ٣ - السكينة وطمأنينة القلب من علامات الإيمان، ﴿رَبَطْنَا... لِنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٤ - الإيمان هو الذي له أهميته عند الله ﷻ، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ﴿لِنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مع أن أم موسى امرأة.
- ٥ - ينبغي أن تتقن النساء والبنات حسن تدبير المسائل الاجتماعية، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ﴾.
- ٦ - لا بد من أن نوكل بعض القضايا الحساسة والعاطفية إلى الآخرين، ﴿لِأُخْتِهِ﴾، فأم موسى كانت في حالة عاطفية لا تسمح لها بمتابعة أمر ابنها إذ يخشى من انكشاف أمره لو تابعت أمره بنفسها.
- ٧ - التوكل على الله ﷻ لا يعني اتخاذ موقف اللامبالاة. فمع أن أم موسى كانت امرأة مؤمنة إلا أنها أرسلت ابنتها لكي تقص أثر أخيها، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ﴾.
- ٨ - عنصر المتابعة والمراقبة ضروريان جداً عند التعامل مع الأنظمة الطاغوتية والمستبدة، ﴿قُصِّيْهِ﴾.
- ٩ - التظاهر بالسلوك الاعتيادي أمر ضروري لحفظ الأسرار، ﴿عَنْ جُثْيٍ﴾. (فقد أخذت أخت موسى تراقب الصندوق من مكان بعيد، لكي يظهر هذا التصرف منها أمراً عادياً ولا يلتفت العدو إلى ذلك).
- ١٠ - يؤدّي المؤمن وظيفته ومهامه ولا يسمح للعدو أن يشعر بذلك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ (١٧)

إشارات:

□ «المراضع» جمع «مرضع» أي المرأة التي ترضع الوليد.

التعاليم

- ١ - إذا لم يرد الله أمراً فإنّ الجهاز الفرعوني بكل ما يملك من إمكانات يعجز عنه حتى لو كان تأمين الطعام لطفل صغير، ﴿حَرَمْنَا﴾.
- ٢ - أبسط الأعمال كارتضاع الطفل من الثدي لا يمكن أن يتحقق إلا أن تقضي الإرادة الإلهية به، وإلا فلن يتحقق، ﴿حَرَمْنَا﴾.
- ٣ - الإرضاع وإيكال أمر الطفل إلى مرضعة من المسائل الموغلة قدماً في التاريخ، ﴿الْمَرَضِعُ﴾.
- ٤ - عندما يصطدم الإنسان المتكبر بمشكلة يعجز عن حلّها يلجأ إلى القبول بأي مقترح لعلاج مشكلته حتى لو كان من غير ذوي الاختصاص، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.
- ٥ - لا بد من التظاهر بالحياد والتحلي بالهدوء عند تقديم مقترح يتعلّق بأمر يثير الحساسية والريبة، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.
- ٦ - لا بد من امتلاك الحيلة في مواجهة العدو، (لم تأت أخت موسى على ذكر اسم الأم فلم تقل: على أمّه، بل ذكرت ذلك على أساس أنه بيت مجهول)، ﴿عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ﴾.
- ٧ - لا تنحصر حاجة الطفل بالطعام والغذاء، بل يحتاج إلى العطف والمحبة أيضاً؛ لذا فإن أخت موسى قالت لهم يكفلونه أي يهتمون به من كافة الجوانب، ولا يحصرون اهتمامهم بالإطعام، ﴿يَكْفُلُونَهُ﴾.
- ٨ - لا بد من تقديم أي مقترح نريد أن نصل إليه بنحو يجعل المخاطب يرى فيه مصلحة وفائدة له، ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾.
- ٩ - الكفالة المطلوبة والتي لها أهميتها هي التي تنطلق من السعي للخير والتي تفتقر بالمحبة، ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِرُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

إشارات:

□ قد تعيق الألقاب الإنسان عن القيام بعمل ما، فأم موسى قبلت إرضاع ولدها كمرضعة لا كام له؛ لأن عنوان الأم سوف يكون سبباً لقتل الولد والحاق الأذى بالأم.

التعاليم

- ١ - لا خلف في الوعد الإلهي. فقد وعد الله ﷻ في الآية السابعة بإرجاع الولد إلى أم موسى، ونقرأ في هذه الآية تحقق الوعد الإلهي برجوع الولد إليها، ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ يُرْوَدُ... فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾.
- ٢ - الطفل الوليد قرة عين الأم، ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.
- ٣ - لا يهتم أهل الحق بالعناوين بل الذي يهمهم هو الوصول إلى الأهداف، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ فقد عاد الوليد إلى حجر أمه وإن كانت مستأجرة على أنها مرضعة؛ ولا يهم العنوان بل عودة وليدها إليها.
- ٤ - نظراً للارتباط العميق بين الأم وولدها فإن لها دوراً أساساً في حياته، ﴿إِلَىٰ أُمِّهِ﴾. (ولم تأت الآيات على ذكر والد موسى).
- ٥ - عاقبة المصاعب الوصول إلى المطلوب والوصال خاتمة الفراق، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ (بعد فترة من القلق والغم أعاد الله ﷻ إلى أم موسى وليدها)، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.
- ٦ - الإرادة الإلهية إذا تحققت جعلت من شخص واحد قرة عين لعدوين متخاصمين، (أسرة فرعون وأسرة موسى)، ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِیَ وَلَکَ... نَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.
- ٧ - الفرح والسرور والحزن والغم حالات لها تأثيرها على بصر الإنسان، ﴿نَقَرَّ

عَيْنَهَا، كما نقرأ في الآية ٨٤ من سورة يوسف أن بعد يوسف عن أبيه وفراقه له أصابه بالعمى، ﴿وَأَيُّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾.

٨ - للإيمان بالله ﷻ مراحل ودرجات. فأم موسى امرأة مؤمنة، ﴿رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولكن لا بد للمؤمن من أن يصل إلى مرحلة اليقين والعلم العميق، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

٩ - فلسفة بعض الحوادث وسبب وقوعها إنما هو لنيل حقانية الوعد الإلهي وإدراكه، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

١٠ - لا يتعدى إدراك أكثر الناس ظواهر الأشياء ولا يدركون عمق التدبير الإلهي، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

إشارات:

□ كلمة «أشد» من «الشدة»، وهي تعني امتلاك القوة والقدرة، واستوى من الاستواء بمعنى كمال الخلقة المعتدلة.

□ تكرر تركيب «حكماً وعلماً» في مواطن ثلاث في القرآن الكريم وفي جميعها تقدم الحكم على العلم، و«الحكم» هو بمعنى الفهم الصحيح والقدرة على الحكم الصحيح، و«العلم» هو بمعنى اكتساب المعرفة والمعلومات.

التعاليم

- ١ - أول شرط لتحمل المسؤولية هو البلوغ الجسمي، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾.
- ٢ - لا يتحقق البلوغ الحقيقي بالنمو الجسدي والقدرة الجنسية؛ بل يتحقق بكمال الفكر والعقل أيضاً، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾.
- ٣ - لا خلف في الوعد الإلهي، ﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... وَلَمَّا بَلَغَ... ءَاتَيْنَاهُ﴾.
- ٤ - لا بد لنزول الألطاف الإلهية من توافر الظروف الملائمة لذلك، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ... ءَاتَيْنَاهُ﴾.

- ٥ - الحكمة تتقدم على العلم، ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.
- ٦ - اللطف بالمحسنين سنة من السنن الإلهية، ﴿وَكَذَلِكَ﴾.
- ٧ - جزاء المحسنين لا ينحصر بالآخرة، ﴿وَكَذَلِكَ يُجْزَى الْمُحْسِنِينَ﴾، (فامتلاك موسى للعلم والحكمة كان جزاء إلهياً على إحسانه).

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

□ يظهر أن موسى كان قبل نبوته يعيش خارج المدينة، ولعل ذلك يرجع إلى حركته الثورية التي كان يقوم بها أو نظراً إلى كونه يقيم في قصر فرعون وكان محله خارج المدينة.

□ سؤال: إذا كان أنبياء الله ﷺ معصومين، فماذا نبرر فعل موسى وضربه الرجل بنحو أدى إلى قتله؟

الجواب: إن كلمة هذا في قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لا يرجع إلى فعل موسى بل إلى الخصومة والنزاع الذي كان دائراً بين المتخاصمين، والإشارة لا ترجع إلى فعل موسى، أي إن إيجاد الخصومة والاختلاف هو من فعل الشيطان.

□ لم يكن قصد موسى القتل، وإنما كان غرضه الدفاع عن مؤمن؛ ولذا لم يرد لوم من الله ﷻ على فعله ذاك، وذكر في موضع آخر: ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا فَجَعَلْنَاكَ مِنْ الْفَعْرِ﴾^(١).

التعاليم

- ١ - العاملون على إصلاح المجتمع قد يلجأون أحياناً إلى الحضور بين الناس دون أن يعرفهم أحد فيعتمدون على أن يكون ذلك بشكل خفي، ﴿وَدَخَلَ الْبَلَدَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.
 - ٢ - لقد كان لموسى حتى قبل النبوة شيعه وأنصار، ﴿مِن شِيعَتِهِ﴾.
 - ٣ - على الرغم من أن موسى تربى في بيت فرعون، ولكن المستضعفين من الناس كانوا يرون فيه ناصراً لهم وزعيماً؛ لأنه كان يشاركهم في تفكيرهم ورؤاهم، ﴿فَاسْتَعْنَاهُ﴾.
 - ٤ - من أولويات أولياء الله ﷺ حماية المظلومين والدفاع عنهم، ﴿فَوَكَّرَهُ مُوسَى﴾.
 - ٥ - يتحلّى الأنبياء بصفة الغيرة، الحمية، نصرة المظلوم ومحاربة الظلم، ﴿فَاسْتَعْنَاهُ... فَوَكَّرَهُ مُوسَى﴾.
 - ٦ - قد يلجأ رجال الله إلى الاصطدام ومواجهة العدو، وردعه عن ظلمه وتعديه على الحقوق، ﴿فَوَكَّرَهُ مُوسَى﴾.
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١١)

إشارات:

□ سؤال: ما معنى أن يقول نبي من الأنبياء ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾؟

الجواب: المراد من الظلم هنا تحمل الآثار الاجتماعية المترتبة على القتل غير العمدى، لا الذنب الذي يتنافى مع مقام العصمة؛ لأن الله ﷻ ذكر أن موسى كان من المخلصين: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَخْلَصًا﴾^(١). ومن يصل إلى هذه الدرجة لا يمكن أن يرتكب الذنوب؛ لأن الله ﷻ ذكر أن الشيطان لا سلطان له عليه، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا تُؤْمِنُهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢).

(١) سورة مريم: الآية ٥١.

(٢) سورة ص: الآيتان ٨٢ - ٨٣.

التعاليم

- ١ - ذُكِرَ الله في الدعاء ينبغي أن يكون بصفة (رب)، ﴿قَالَ رَبِّ﴾.
- ٢ - لا ينبغي تجاهل آثار المعصية الطبيعية والوضعية وإن كان صدورها عن غير عمد، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾؛ (فموسى عليه السلام) كان في فعله قاصداً نجاة مؤمن؛ ولكن القتل صدر منه خطأ ولا يعد هذا بعد ذلك ذنباً، ولكن جعله يعاني المتاعب والمصاعب).
- ٣ - الصالحون يعمدون إلى الاستغفار مباشرة حتى لبعض ما يصدر منهم عن غير عمد، ويسعون لتجنب تبعات ذلك العمل، ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾. (فموسى عليه السلام) طلب من الله ﷻ عند استغفاره عما صدر منه أشياء عدة ومنها محو الآثار الاجتماعية لفعله، وبث الطمأنينة في نفسه عما ينتظره في المستقبل من انتقام فرعون منه).
- ٤ - دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿فَقَفَرُ لَّهُمْ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧)

إشارات:

□ لعل المراد من قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، ما ناله من الغفران والعفو الإلهي.

التعاليم

- ١ - القوة البدنية هي من النعم الإلهية، ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ (فموسى عليه السلام) كان يمتلك من القوة ما قتل بها كافراً بوكزة من يده).
- ٢ - شكر النعم الإلهية يكون بالابتعاد بها عن إلحاق الظلم بالآخرين، ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٣ - معونة الظالمين نوع من أنواع الظلم، ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (ورد في بعض الروايات أن الرضا بفعل المعاصي هو من المعاصي).

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾

التعاليم

- ١ - ليس كل خوف بمذموم، بل الخوف من العجز عن تحقيق الأهداف المطلوبة أو من وصول العدو إلى هدفه هو خوف ممدوح، ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.
- ٢ - لا بد من ترقب نتائج ما يقوم به الإنسان من عمل وما يتخذه من قرار، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾.
- ٣ - على الرغم من أن موسى كان يعيش في قصر فرعون؛ ولكنه كان ينسج علاقات مع الناس، وكان الناس يعرفون أنه يؤدي دوراً في الإصلاح بينهم، ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾.
- ٤ - عندما تجب التقية في مورد ما، وتقضي الضرورة كتمان بعض الأهداف لأجل الوصول إلى المصالح المبتغاة، فلا بد من الهدوء والبعد عن إثارة الأجواء، بل إن ذلك يعد من الذنوب، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾.
- ٥ - لا بد من لوم الأتباع الذين لا يبالون برعاية المطلوب، ولا ينبغي تجاهل ذلك منهم لمجرد أنهم من نفس الحزب أو من نفس الفئة، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَیْ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ﴾

إشارات

□ كلمة «بطش» هي بمعنى الغضب المقترن بالعنف واستخدام القوة.

التعاليم

- ١ - توجيه النقد للصديق عند ارتكابه للمخالفة لا يكون سبباً للتخلي عنه وعدم

الدفاع عن حقوقه، (على الرغم من أن موسى في الآية السابقة خاطب أحد أتباعه بقوله: إنك لغويّ مبين، ولكنه قام بنصرته والدفاع عنه)، ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾.

٢ - لا تفي الموعظة وحدها في جميع الحالات، بل لا بد من الاعتماد على القوة والبطش أحياناً، ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾. («الوقار» لا يعني اللامبالاة والانزواء، فموسى كان في كل يوم يمشي بين الناس).

٣ - ينظر الإنسان في المجتمع الذي يحكمه المستكبرون إلى فرعون، الذي يقتل طفلاً بريئاً عمداً، على أنه إله! ويصف موسى الذي قتل كافراً دون قصد لذلك بأنه جبار، ﴿تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

إشارات

□ المراد من مفردة «رجل» في هذه الآية هو «مؤمن آل فرعون»، وقد أطلق على سورة غافر تسمية سورة «المؤمن» باسم هذا الرجل. والذي كان عوناً لموسى في كتمانته لإيمانه وممارسته للثقة.

التعاليم

١ - لقد كان لموسى أنصار في قصر فرعون وضمن حاشيته وأعوانه، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾.

٢ - لا يجوز مد يد العون للظالم بأي نحو كان؛ ولكن تولي الوظائف في دولة الظلم لأجل معونة أهل الإيمان أمرٌ حسنٌ، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾. (فتعاونُ علي بن يقطين مع بني العباس على الرغم من كونهم من الظالمين كان من هذا الباب).

٣ - لا يقيم الطواغيت بين الناس وداخل المدن وذلك حفظاً لأمنهم وضماناً لراحة بالهم، ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾.

- ٤ - لا بد من بذل كل جهد ممكن لأجل حفظ روح قادة المجتمع ونخبه، ﴿يَسْتَعِ﴾.
- ٥ - وصول الخبر في وقته والإسراع في إنجاز العمل قد يؤدي أحياناً إلى تحديد مصير أمة، ﴿يَسْتَعِ﴾. (فلو أن هذا الرجل لم يتمكن من إخبار موسى ﷺ بتآمر القوم عليه ولم يخرج موسى من المدينة لوقع في يد فرعون ولأدى ذلك إلى قتله).
- ٦ - إن شخصاً ثورياً كموسى ﷺ يهز جبهة الكفر ويجعلها تعاني الاضطراب والقلاقل، ﴿إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِرُونَ﴾.
- ٧ - أعوان الطواغيت شركاء في جرائمهم، ﴿يَأْتِرُونَ بِكَ﴾.
- ٨ - يجب فضح المؤامرات والخطط التي تحاك للشر، ﴿يَأْتِرُونَ بِكَ﴾.
- ٩ - على من يتصدى للإصلاح الاجتماعي أن يوطن نفسه على الهجرة على الدوام، ﴿فَخَرَجَ﴾.
- ١٠ - ينبغي الاهتمام بالنصيحة التي تنبع من القلب وتقبلها من الآخرين، ﴿فَأَخْرَجَ... فَخَرَجَ﴾.
- ١١ - الشجاعة لا تعني إلقاء النفس في يد العدو، ﴿فَخَرَجَ﴾.
- ١٢ - حياة الأنبياء تمتاز في الغالب بالمصاعب والمشاق، ﴿فَخَرَجَ﴾.
- ١٣ - علينا السعي والعمل الجاد وأما نتائج ذلك فهي بيد الله ﷻ، ﴿فَخَرَجَ... قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾.
- ١٤ - لا بد من ضم السعي والجد إلى الدعاء، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا... قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾.
- ١٥ - يستمد أولياء الله ﷻ العون منه في كل حال، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْغُلَامِينَ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾^(١)، ﴿رَبِّ بِمَا أَنْصَمْتُ عَلَىٰ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾^(٢) و﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَتَزَلَّىٰ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٣).

(١) سورة القصص: الآية ١٦.

(٢) سورة القصص: الآية ١٧.

(٣) سورة القصص: الآية ٢٤.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢﴾

إشارات

□ «مدین»: اسم مدينة في جنوب الشام وشمال الحجاز، قريبة من تبوك وكانت في ذلك الزمان خارج سلطة فرعون.

التعاليم

- ١ - لا بد في أي عمل تغيير من اعتماد التحرك، والهجرة، واعتماد تكتيك مختلف، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾.
- ٢ - لا بد لنا من العمل أولاً ثم الدعاء والشعور بالأمل، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي﴾.
- ٣ - الأمل محمود في كافة الأحوال، ﴿عَسَىٰ رَبِّي﴾.
- ٤ - المشاق والصعاب سنة إلهية في تربية الإنسان، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّي﴾.
- ٥ - نبداً كل عمل بطلب العون من الله ﷻ، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّي﴾.
- ٦ - في الأماكن التي تخضع لحكم الطاغوت حيث تتوافر دواعي المعصية والانحراف لا بد من اللجوء إلى الله ﷻ بطلب الهداية منه، ﴿يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا يَصْدِرَ الرِّعَاءِ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾

إشارات

- «تذودان» من «ذود» بمعنى المنع والحيلولة.
- تكررت كلمة «وجد» في الآية مرتين الأمر الذي يدل على أنه نظر نظرتين

مستقلتين، ولو أن الرجال والنساء كانوا معاً لاكتفى بنظرة واحدة لتكوين الصورة التي تحكي عنها الآيات.

التعاليم

- ١ - لا ينبغي استغلال ضعف النساء وحيائهن. فلولا القانون وحماته لتجاهل الكثير من الرجال حقوق النساء، ﴿أُمَّةٌ... يَسْقُوتُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ﴾.
- ٢ - وجود الحريم (الحد الفاصل) بين الرجال والنساء في غاية الأهمية، وابنتا شبيب كانتا ممن يراعي ذلك، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ﴾.
- ٣ - تقوم بنات أنبياء الله بالرعي؛ ولكنهن لا يلجأن إلى الاستجداء وما فيه المذلة، ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.
- ٤ - رعي الماشية كان مهنة للكثير من أنبياء الله ﷺ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فلو أن أباهما لم يكن شيخاً كبيراً لكان تولى الرعي بنفسه.
- ٥ - لا ينبغي لمشاكلنا الخاصة أن تشكل مانعاً من حماية الآخرين، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ (فموسى كان مهدداً بالخطر على حياته، وكان هارباً من سطوة فرعون يبحث عمن يعينه ويحميه).
- ٦ - الدفاع عن النساء قيمة من القيم الإنسانية، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.
- ٧ - لا مانع من أن يكلم الرجل المرأة إذا كان ذلك ضمن حدود الأدب، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.
- ٨ - ينبغي الاختصار مهما أمكن عند الحديث مع المرأة الأجنبية، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.
- ٩ - لا ينبغي التعامل بلا مبالاة إزاء ما يجري من أحداث، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.
- ١٠ - لا مانع من عمل المرأة خارج بيتها شرط:
 - أ - أن لا تكون في مكان العمل وحدها، ﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾.
 - ب - أن لا تختلط بالرجال، ﴿مِنْ دُونِهِمْ... لَا سَتَى حَتَّى يُصْدِرَ الزَّعَاةُ﴾.

- ج - أن لا يكون في البيت رجل قادر على العمل، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.
- ١١ - إذا كنا في موطن شبهة علينا أن ندفع الشبهة عن أنفسنا، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.
- ١٢ - عندما يعجز رب الأسرة ومعيها عن العمل فإن وظيفة الأولاد كافة حتى البنات القيام بما كان عليه من مسؤولية، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.
- ١٣ - لا تضع شرطاً لمد يد العون للآخرين، بل عليك الإسراع بذلك، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾؛ فإن موسى اكتفى بما أخبرته به المرأتان من حالهما ليقدم على عونهما وقضاء حاجتهما دون أن يدخل في سؤال وجواب معهما.
- ١٤ - علينا أن نخدم الآخرين بإخلاص ونطلب حاجاتنا من الله ﷻ، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ... رَبِّ إِنِّي﴾. (فقد قام موسى بسقي غنم الفتاتين، ولكنه لرفع حاجة الجوع فيه لجأ إلى ﷻ ولم يطلب منهما العون في ذلك).
- ١٥ - نلجأ في طلب كل شيء إلى الله ﷻ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.
- ١٦ - لا ينبغي أن نحدد المصداق في طلب الحاجة من الله ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (فموسى على الرغم من جوعه ولكنه لم يطلب من الله ﷻ نوعاً محدداً من الطعام).
- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

التعاليم

- ١ - لا بد من الإسراع في مجازاة من أحسن إلينا، ﴿فَجَاءَتْهُ﴾.
- ٢ - خروج المرأة من بيتها لا بد من أن يكون على أساس الحياء والعفة، ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، (والحياء من أفضل خصال المرأة في التوصيف القرآني).

٣ - يجب أن تكون الدعوة من الرجل للرجل ومن المرأة للمرأة، ﴿إِنَّكَ أَمْرٌ يَدْعُوكَ﴾.

٤ - لا تكن ضيفاً لم تُوجَّه الدعوة إليه، ﴿إِنَّكَ أَمْرٌ يَدْعُوكَ﴾.

٥ - من يخرج هارباً من ظلم طاغوت فإن بيت نبي الله يكون ملجأه ومأواه، ﴿إِنَّكَ أَمْرٌ يَدْعُوكَ﴾.

٦ - إيواء ابن السبيل من أبرز خصال الأنبياء، ﴿يَدْعُوكَ﴾.

٧ - ينبغي النظر بعين التقدير إلى ما يقدمه الآخرون من خدمات، ﴿لِيَجْزِيكَ﴾.

٨ - لا تنافي بين قصد القرية وبين تقدير الآخرين للعمل، ﴿أَجَرَ مَا سَقَيْتَ﴾ (فموسى ﷺ سقى لهما طلباً لرضا الله ﷻ، ولكن شعيباً ﷺ قدر له ما قام به وجزاه على عمله).

٩ - ينبغي أن نطلع أهل الخبرة على ما يجري من أحداث وتحليلها والاستنتاج منها، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾.

١٠ - عاقبة أهل الإيمان الاستقامة والنجاة، ﴿نَجَوْتَ﴾.

١١ - دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿نَجَوْتَ﴾؛ ففي الأمس كان دعاء موسى ﷺ: ﴿رَبِّ يَخَيِّرْ لِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، واليوم يسمع قول شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

١٢ - لقاء أولياء الله سبب للطمأنينة والإحساس بالأمن والأمان، ﴿نَجَوْتَ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَخَافُ أَنْ تُتَّخِذَ مِنْكُمُ الذَّكْوَىٰ شَجَرَةً ۚ إِنَّكُمْ لَخَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُمُ الْقَوَىٰ الْأَمِينُ﴾^(٢)

إشارات:

□ عن الإمام الرضا ﷺ: «لما قالت: ﴿أَسْتَجِرُّهُ إِنَّكُمْ لَخَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُمُ الْقَوَىٰ الْأَمِينُ﴾، قال أبوها: كيف علمت ذلك؟ قالت: لما أتيت برسالتك فأقبل معي

قال: كوني خلفي ودليني على الطريق، فكنت خلفه أرشده كراهة أن يرى مني شيئاً^(١).

التعاليم

- ١ - للبنات في الأسرة حق تقديم المقترحات ولا يفترون بذلك عن غيرهم، ﴿قَالَتْ لِحَدِيثِهِمَا يَتَأْتِي أَسْتَجِرَةٌ﴾.
- ٢ - العلاقة الحسنة بين الأبوين والأولاد ومنح الأولاد حرية التعبير هو من القيم المهمة، ﴿يَتَأْتِي أَسْتَجِرَةٌ﴾.
- ٣ - لكل فرد من الأسرة حق الرأي؛ ولكن الرأي النهائي هو لرب الأسرة، ﴿أَسْتَجِرَةٌ﴾.
- ٤ - تسمى المرأة العفيفة للحد من خروجها من المنزل، ﴿أَسْتَجِرَةٌ﴾؛ (لا بد من الاعتماد على الرجل في المهام الصعبة التي تؤدي خارج المنزل).
- ٥ - العمل ليس عيباً؛ لذا كان أولياء الله من العمال، ﴿أَسْتَجِرَتْ﴾.
- ٦ - لا بد من اختيار الأفضل عند تعدد الاختيارات، ﴿خَيْرَ مَنِ أَسْتَجِرَتْ﴾.
- ٧ - لا بد عند استئجار فرد ما لعمل ما أو استخدامه، أن يكون حائزاً على عنصرين هما: القدرة (التخصص) والأمانة (التدين)، ﴿أَلْفَوِيُّ أَلَامِينُ﴾.
- ٨ - لا بد من السعي لمعرفة الإمكانيات والقدرات التي يمتلكها الفرد ومدى أمانته دون أن يشعر بذلك، ﴿أَلْفَوِيُّ أَلَامِينُ﴾، (يتستر غالب الأفراد على واقعهم من خلال التملق والرياء والتصنع؛ ولكن موسى تمكن من أن يبين ما لديه من إمكانيات وما يتمتع به من عفة في ظروف طبيعية).

العمل والعمال

- أراد الله ﷻ من هذا الإنسان أن يعمر الأرض وهو أمر لا يتحقق دون سعي

- وبذلٍ للجهد الممكن، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(١).
- ورد التأكيد في القرآن الكريم على العمل الصالح وله معنى واسع جداً.
 - أنبياء الله ﷺ كانوا يعملون بالرعي والزراعة والخيطة والنجارة.
 - العمل عبادة في تعاليم الإسلام بل هو بمنزلة الجهاد^(٢).
 - لا يستجاب دعاء الذي يترك العمل ويكتفي بالدعاء.
 - العمل وسيلة لتربية الجسم والروح، فملء أوقات الفراغ بمنع الفتنة والفساد، وهو عامل نمو ونبوغ وابتكار، وهو باب التنمية الاقتصادية، العزة والاستقلال وتقديم العون للآخرين.
 - قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾^(٣).
 - يعظم الإسلام من شأن العمل وقد أوصى بمراعاة حق العامل، وإرضائه وإعطائه أجره فوراً، والزيادة على ما وقع الاتفاق عليه، والتعامل معه باحترام.
 - كما أوصى الإسلام بالزراعة حتى عد ري شجرة بالماء بمثابة ري إنسان مؤمن.
 - يوصي الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى أحد عماله بالاهتمام بالزراعة من العاملين في الأرض وعدم ظلمهم ومداراتهم في أخذ الخراج منهم.
 - للعمل الفكري قيمته وأهميته أيضاً؛ لذا كان تفكير ساعة خير من ساعات في العبادة.
 - التهاون واللامبالاة في العمل أمر منهى عنه في الإسلام وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن»^(٤).
 - حث القرآن على البدء بعمل جديد فور الفراغ من العمل الذي بين يديك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(٥)؛ لذا لا يصح البقاء دون عمل. فالفراغ سبب للكسل والتعب وباب ينفذ منه الشيطان لإيجاد الفتنة ونشر الفساد.

(١) نهج الفصاحة، ص ٨٠١.

(٢) سورة الانشراح: الآية ٧.

(٣) سورة هود: الآية ٦١.

(٤) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣.

(٥) سورة الملك: الآية ١٥.

- جعل الإسلام للعمل وقتاً محدداً لا ينبغي تجاوزه؛ لذا أطلق على من يعمل في أيام العطل تسمية معتدي^(١).

- ما هو مورد اهتمام الإسلام نوع العمل لا مقداره وكميته^(٢).

- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات ساعة لمناجاة الله وساعة لأمر المعاش وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم غيوبكم ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها للذائكم في غير محرم وبهذه الساعة تفيدون على الثلاثة ساعات - لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل ومن حدثها بطول العمر بخرص^(٣)».

- من تعظيم الإسلام لأهمية العمل ما ورد في الحديث: «إن الله ﻻ يبغض كثرة النوم، وكثرة الفراغ^(٤)». وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل^(٥)».

- في الرواية: «أصابَتْ أَنْصَارِيًّا حَاجَةً فَأَخْبَرَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: التَّيْنِي بِمَا فِي مَنْزِلِكَ وَلَا تُحَقِّرْ شَيْئاً؛ فَأَتَاهُ بِحُلْسٍ وَقَدَحٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَشْتَرِيهِمَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا عَلَيَّ بِدَرَمٍ؛ فَقَالَ: مَنْ يَزِيدُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا بِدَرَمَيْنِ؛ فَقَالَ: هُمَا لَكَ ابْتِغِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاماً لِأَهْلِكَ وَابْتِغِ بِالْآخَرِ قَاساً؛ فَأَتَاهُ بِقَاسٍ؛ فَقَالَ: مَنْ عِنْدَهُ نِصَابٌ لِهَذَا الْقَاسِ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: عِنْدِي فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَثْبَتَهُ بِيَدِهِ؛ فَقَالَ: اذْهَبْ وَاخْتِطُبْ وَلَا تُحَقِّرَنَّ شَوْكاً وَلَا رَطْباً وَلَا يَاسِئاً؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً فَأَتَاهُ وَقَدْ حَسُنَتْ حَالُهُ فَقَالَ ﷺ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَحِيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِكَ كُدُوحُ الصَّدَقَةِ^(٦)».

(١) «الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ فِي النَّبِيِّ»؛ سورة البقرة: الآية ٦٥.

(٢) «إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»؛ سورة هود: الآية ٧. (٣) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٢١.

(٤) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٧. (٥) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٧.

(٦) مجموعة ورام، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦.

والمستفاد من هذه الرواية أمور:

- ١ - إن الأنبياء يفكرون في ما فيه نفع حياة الناس.
- ٢ - إن أضعف أفراد المجتمع يتمكن من ملاقة الشخص الأول في المجتمع الإسلامي.
- ٣ - إن المجتمع بحاجة إلى التعاون، فالفأس من شخص والعصا من آخر.
- ٤ - لا بد لمحاربة الفقر من وضع أدوات الإنتاج تحت يد القوى الفاعلة والمنتجة.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ عَلَيْهِ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧)

إشارات:

□ يمكننا أن نجعل من كل عمل نقوم به مصداقاً لما يريد الله ﷻ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(١)، فيمكننا كلما أردنا أن نغسل وجوهنا أن ننوي الوضوء، وكلما أردنا الجلوس نجلس باتجاه القبلة، وأن نجعل الهدف من الدرس والتحصيل العلمي نيل رضا الله ﷻ دون المنصب والمقام، وأن نشترى الثياب لزوجاتنا في مناسبة إسلامية كعيد الغدير أو ولادة الزهراء ﷺ، وكذلك نجعل من الهدايا والعطايا التي نقدمها لأبنائنا بدلاً عما اكتسبوه من مقام معنوي، كما استبدل في الآية التعبير بثمان سنوات بقوله: ثماني حجج.

التعاليم

- ١ - العمل الذي يقوم به الإنسان بدافع إنساني ويقصد إعانة الضعيف، يترتب عليه الأجر الدنيوي مضافاً إلى الأجر الأخروي، ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾؛

(فموسى عليه السلام) كان إلى ساعات سابقة يعيش الخطر على حياته، ولكنه بعد العمل الإنساني الذي قام به أصبح في أمان على حياته، وله زوجة، وصاحب عمل).

٢ - نتعلم من الأنبياء سنن الزواج وآدابه (كالحضور إلى منزل الفتاة والتحدث مع أبيها)، ﴿إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ... إِنَِّّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾.

٣ - من الضروري أن يحصل التعرف على الرجل قبل تزويجه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ... قَالَ إِنَِّّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾ (فقد ذكر موسى ويصدق ما جرى معه لشعيب، وكان ذلك سبباً لاطمئنان شعيب له؛ وحينئذ اقترح عليه تزويجه من ابنته).

٤ - إذا علمت أمانة الرجل، وقدرته وإرادته الجدية للعمل والسعي في طلب الرزق ﴿الْقَوِيُّ الْآمِنُ﴾، فلا ينبغي أن يقف افتقاده للبيت أو القدرة المالية حائلاً أمام تزويجه من قبل الأب، ﴿إِنَِّّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾.

٥ - لا مانع من أن يقوم الأب بعرض الزواج من ابنته على من يراه مناسباً، ﴿إِنَِّّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾.

٦ - ليس من الضروري رعاية الترتيب في تزويج البنين وتزويج البنات الكبرى قبل الصغرى كقاعدة عامة، ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ فشعيب قال لموسى إنه يريد أن يزوجه إحدى ابنتيه ولم يشترط عليه أن تكون هي الأولى أو الثانية.

٧ - لا ينبغي للأب أن يميز بين بناته في الزواج، ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

٨ - لا مانع من جلوس الفتاة والشاب معاً عند خطبتها وعرض الزواج عليها، ﴿هَاتَيْنِ﴾.

٩ - لا بد من أن نراعي الغريزة الجنسية، حتى في بيت النبوة، فلأجل تأمين سلامة البيئة في العمل والسكن لا بد من الاهتمام أولاً بمسألة الزواج ثم الانتقال بعد ذلك إلى مسألة استئجار العامل، ﴿أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ... عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾.

١٠ - يترتب على الزواج مهر للزوجة، ﴿عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾.

- ١١ - لا يلزم أن يكون المهر مالاً أو ثروة. فشعيب عرض زواج ابنته على موسى على أن يعمل لديه ثمانين سنوات، ﴿وَعَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجًا﴾؛ (لا بد في شريعة الإسلام من مراجعة فتاوى الفقهاء في هذا الشأن).
- ١٢ - تحديد الآجال ينبغي أن يكون على أساس أوقات العبادات والأمور المعنوية، ﴿ثَمَانِي حِجَجًا﴾؛ (فقد ذكر الحجج ولم يقل ثمانية أعوام).
- ١٣ - من وسائل نشر المعروف تعظيم أيام الله ﷻ، ﴿ثَمَانِي حِجَجًا﴾.
- ١٤ - لا يمنع مقام النبوة من الحديث عن مقدار المهر ومال الإجارة، ﴿ثَمَانِي حِجَجًا﴾.
- ١٥ - لقد كان للحج مراسمه في الأديان السابقة، ﴿حِجَجًا﴾.
- ١٦ - عند الحديث عن المهر يجب على والد الفتاة أن يختار الحد الأدنى ويجعل اختيار الزائد بيد الرجل، ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾؛ فقد جعل شعيب الخيار لموسى ﷺ في إتمام العشر.
- ١٧ - لا ينبغي التشدد في أمر المهر، ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾.
- ١٨ - على والد الفتاة أن لا يتشدد في أمر الزواج، وأن ينظر في مسألة المهر إلى قدرة الزوج، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾.
- ١٩ - ليس من الصالحين من يستخدم القسوة والشدة مع العاملين لديه أو الأجراء عنده، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٢٠ - لا بد للرجل من أن يعيش الطمأنينة مع الجماعة الذين يرتبط معهم حديثاً، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٢١ - لا تعد أحداً بأمر في المستقبل إلا أن تقول: «إن شاء الله» وتقصد طلب الاستعانة بالله، ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٢٢ - لا بد من دوام الثقة بين الزوج وأهل الزوجة، ﴿سَتَجِدُنِي... إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

أهمية الزواج

ورد في الرواية أن من تزوج فقد أحرز نصف دينه. وأن ركعتين يصليهما

المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما العازب. وأن المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب^(١).

وخلافاً لمن يعتقد بأن الزواج سبب للفقر فإن رسول الله ﷺ يذكر أن الزواج سبب لنزول الرزق.

وقد ورد عنه ﷺ: «من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا، فقد أساء الظن بالله ﷻ»^(٢).

ونجد في الروايات أيضاً: «من زوج أعزباً كان ممن ينظر الله ﷻ إليه يوم القيامة»^(٣).

وقد أكد القرآن الكريم على الزواج وأهميته بناء الأسرة^(٤)، ونهى عن خوف الفقر، وأن العباد الصالحين إن كانوا فقراء فإن الله ﷻ يغنيهم من فضله^(٥).

الزواج وسيلة للسكن^(٦)، وبالزواج تتقارب العوائل وتراحم القلوب وتتوافر الظروف المناسبة لتربية النسل وقيام روح التعاون والتألف^(٧).

وورد في الرواية: «إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر فإذا أئعن الثمر فلا دواء له إلا اجتناؤه وإلا أفسدته الشمس»^(٨).

اختيار الزوجة

المعيار الذي يعتمد عليه الناس في اختيار الزوجة يعتمد على: الثروة، الجمال، الحسب، والنسب؛ ولكننا نقرأ في الروايات قولهم: «عليك بذات الدين»، أي إن المعيار هو العقيدة^(٩). وفي حديث آخر ورد أن الجمال قد يكون سبباً للهلاك والثروة قد تكون سبباً للطغيان^(١٠).

(٦) سورة الروم: الآية ٢١.

(٧) ميزان الحكمة.

(٨) ميزان الحكمة.

(٩) كنز العمال، ح ٤٦٦٠٢.

(١٠) ميزان الحكمة.

(١) ميزان الحكمة.

(٢) ميزان الحكمة.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٣٣١.

(٤) سورة النور: الآية ٣٢.

(٥) سورة النور: الآية ٣٢.

وورد عن رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب [إليكم] فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير»^(١).

وورد عن الإمام الحسن عليه السلام في جوابه لرجل جاء يستشيريه في تزويج ابنته: زوجها من رجل تقي، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»^(٢).

وورد في الروايات النهي عن تزويج شارب الخمر، سيء الخلق، أهل الشبهات ممن تربى في بيئة الفساد^(٣).

نعم الزواج على نوعين: دائم ومؤقت، وقد حث القرآن الكريم كما حثت الروايات عليهما معاً، ولكن للأسف فإن الزواج الدائم وبسبب بعض العادات والتقاليد التي لا أساس لها، والتي ترجع إلى حالات التفاخر بين الأقارب، وتحقيقاً لأحلام أهل الفتاة يصبح أكثر صعوبة وأشد تعقيداً إلى حد لا يمكن أن يطيقه الشباب. وأما الزواج المؤقت فقد أصبح قبيحاً بنظر الناس حتى أصبحت الفحشاء بديلاً له.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

إشارات:

□ فسرّت عبارة ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ﴾ بمعنيين؛ أحدهما، أن مهر الفتاة التي تزوجها سواء أكان ثمانين حجج أو عشر حجج فإنه ليس في ذلك من ظلم علي؛ وثانيهما، إن مراده من ذلك أنه لو أراد بعد انقضاء أحد الأجلين الذهاب والمغادرة فلا مانع من ذلك، أي أنه يبقى هذه المدة وما بعدها يكون الأمر تابعاً لاختياره.

(٣) ميزان الحكمة.

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٣٧٢.

(٢) مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٤٦.

التعاليم

١ - لا يلزم في عقد الزواج (وخلافاً للطلاق) أن يكون أمام شهود يشهدون عليه، ﴿يَتْنِي وَيَتْنَكُ﴾.

٢ - على الإنسان أن يجعل في العقود التي يمضيها بعض الخيارات له، ويبقي لنفسه مجالاً ليكون حراً في بعض المسائل، ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.

٣ - الإيمان بالله ﷻ ضماناً لسلامة أي عقد أو اتفاق، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

﴿قَلَّمَ قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

□ «آنست» من «الأنس» بمعنى المشاهدة الموجبة للاطمئنان والسكون. «الجذوة» هي القطعة وكلمة «تصطلون» من «صلى» بمعنى الإحماء بالنار.

□ خطاب موسى لأهله كان بصيغة الجمع: ﴿امْكُثُوا... آتِيكُم... لَعَلَّكُمْ... تَصْطَلُونَ﴾، ولعل ذلك منه كان لوجود ولد أو أولاد له بعد عشر سنين من زواجه.

□ المستفاد من الجمل: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، ﴿آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ في هذه الآية ومن جملة: ﴿أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ في الآية العاشرة من سورة طه أن حركة موسى كانت في الليل، وكانت ليلة باردة مظلمة وأنه قد ضلَّ الطريق.

التعاليم

١ - المؤمن يلتزم بالوفاء بأي شرط أو عقد يصدر منه، ﴿قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾.

٢ - الزواج ووجود الأبناء لا ينبغي أن يشكل عائقاً أمام الهجرة والقيام بأداء

الوظائف والمسؤوليات، كما لا ينبغي للرجل أن يترك أسرته وعائلته ويهاجر بل عليه أن يجعلها ترافقه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾.

٣ - في المكان الذي لا نأمن فيه على الأهل لا ينبغي أن نصحبهم معنا، ﴿أَمْكُتُوا﴾، ف رؤية النار أمر اختص به موسى، ﴿إِنِّي مَأْتِسْتُ تَارًا﴾، وحيث كان محل النار مبهما بالنسبة إليه فقد أمر أهله بالبقاء وانتظاره حتى يذهب ليرى ما حول النار وحده.

٤ - لا تنطق بوعد قطعي لأحد ما دمت غير مطمئن بتحقيق وعدك، ﴿لَعَلِّي مَأْيِكُمْ...﴾ (كلمة لعل هي للترجي).

٥ - الرجل هو المسؤول عن تأمين حاجات أهله وأسرته، ﴿لَمَلَكُوا تَصَلُّوْا﴾.

٦ - لا يتوقف الوصول إلى المقامات المعنوية والعرفانية على ترك الأهل، بل يمكن للإنسان أن يعيش حياة طبيعية كسائر الناس ويصل إلى أعلى درجات العرفان، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ... قَالَ لِأَهْلِيهِ... لَمَلَكُوا تَصَلُّوْا﴾.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ
مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعَ إِفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٥)

إشارات

□ «الشاطئ» هو الجانب والساحل، «الوادي» أسفل ملتقى الجبلين، «البقعة» هي القطعة من الأرض التي تختلف عن سائر القطع الملاصقة لها^(١).

□ الوحي الإلهي مفتوح على أشكال متعددة، فقد يكون عن طريق الإلهام في القلب، أو إرسال الرسول من الملائكة، أو حتى صدور الصوت من الشجرة مخاطباً النبي الذي يريد إنزال الوحي عليه.

كما ورد في سورة الشورى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(٢).

التعاليم

- ١ - لبعض الأمكنة قداستها الخاصة، ﴿الْبَقْعَةُ الْمُبْرَكَةُ﴾.
 - ٢ - في المواطن التي تكون مثار تعجب لا بد من زيادة التأكيد، (فموسى عندما سمع الصوت لأول مرة تعجب ولذا تعدد التأكيد في كلام الوحي الإلهي، ﴿إِنِّي أَنَا﴾.
 - ٣ - إذا أراد الله ﷻ أمراً جعل تفكير الإنسان ورؤيته للأمور تتجه نحوه، فقد ذهب موسى لما رأى النار؛ لكي يأتي منها بقبس ينير لأهله الطريق ويقيهم البرد به؛ ولكن الله أراد أمراً آخر، ﴿أَلَعَلَّ إِنَّا أَنَا اللَّهُ﴾.
- ﴿وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَازِلُهَا تَبَوَّأَ مَكَانًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾
- ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾

التعاليم

- ١ - تستطيع القدرة الإلهية الإتيان بالمعجزة من أي شيء كان، ﴿آتَىٰ عَصَاكَ... كَانَتْ جَانًّا﴾.
 - ٢ - لا بد عند القيام ببعض المهمات العظيمة من التدريب والتمرين المسبق، ﴿آتَىٰ عَصَاكَ﴾ (فلا بد لموسى أن يرى معجزته قبل أن يتحدى الناس بها وفعلها أماهم).
 - ٣ - الأنبياء كسائر الناس بالنسبة للطباع البشرية كالخوف والقلق، ﴿وَلَا تَخَفْ﴾.
- ﴿أَسْأَلُكَ بِدَعَايَ جِبْرِيلَ تَخْرُجُ بِيَصْبَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾
- ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾

إشارات

□ جملة ﴿وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ إما بمعنى أنك عند الخوف والاستبحاش عليك أن تضع يدك على صدرك أو على فخذك وذلك خلافاً

لبعض الناس إذ يرفع يده إلى الأعلى عند الخوف، أو بمعنى العزم والتصميم والإقدام على تنفيذ الأمر الإلهي بثبات^(١).

□ ورد في التوراة: «ثم قال له الرب أيضاً أدخل يدك في عبك. فأدخل يده في عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج»^(٢). ولكن القرآن لم يتحدث عن بياض يد موسى من المرض بل جعل ذلك دليلاً على سعة القدرة الإلهية في مقام الاستدلال وسد الباب أمام أي شبهة أو انحراف، ﴿بَيَّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

التعاليم

- ١ - عندما تظهر الغلبة والقهر لا بدّ من أن تظهر معهما اللطف أيضاً، ﴿تَهْتَرُ كَأَنَّهُ جَانٌ... تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.
- ٢ - ليس في المعجزات الإلهية نقص أو ضرر، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.
- ٣ - لا بدّ من أن تفتن الدعوة والإرشاد بالحجة المنطقية والإلهية، ﴿بُرْهَانَيْنِ مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - تبدل العصا حية وخروج اليد بيضاء علامة على الترغيب والتحذير، فالإنذار والتبشير عنصران أساسان في مجال التربية، ﴿بُرْهَانَيْنِ مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ٥ - لإصلاح المجتمع لا بد من الاتجاه بدايةً ناحية رؤوس الفسق والفساد ومنابعهما، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾.
- ٦ - لقانون القصص تاريخه الطويل، ﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.
- ٧ - لا بد عند تقبل المسؤولية من معالجة الموانع والعوائق، ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح الرابع، الجملة ٦.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمَا وَمِنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِيُونَ ﴿٣٥﴾

إشارات

- هارون: (هو في اللغة بمعنى ساكن الجبال أو القاصد) هو الأخ الأكبر لموسى وهو من أنبياء بني إسرائيل وقد أثنى عليه الله ﷻ في القرآن.
- خوف موسى ﷺ في أداء وظيفته من بلاغ الرسالة كان من أمرين: قصاص القتل: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، وتكذيب الحق: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.
- عند اختيار شخص ما لأداء مسؤولية عظيمة لا بد من ملاحظة صفاته وخصائصه كافة. فهارون وإن كان أكبر من موسى ﷺ وأفصح منه؛ ولكن المسؤولية أُلقيت على عاتق موسى ﷺ لأنه يمتلك من الصفات والقابليات ما يجعله أولى، مع أن هارون كان نبياً من أنبياء الله ﷻ.
- قد يستلزم الأمر أحياناً عند التبليغ، الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيام أكثر من فرد معاً بذلك، ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ﴾.

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر الأساس هو التأثير؛ فإن كان التأثير يحصل بالإشارة فلا بد منها، وإن استلزم ذلك الصراخ فلا بد منه. وإن كان ذلك عبر التظاهر، أو إصدار البيانات، أو الاعتصام، أو إقامة التجمعات، أو التهديد، أو الترغيب، فلا بد من سلوك ذلك بالنحو الممكن، فلا بد من الوقوف بوجه الفساد قلباً ولساناً وعملاً، وإن كان التأثير لا يتحقق إلا بالتكرار فلا بد منه.

التعاليم

- ١ - الاعتراف بكمالات الآخرين هو بنفسه صفة كمال وقيمة، ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾، فموسى ﷺ مع كونه نبياً ومن أولي العزم يعترف لأخيه بالكمال.
- ٢ - امتلاك القدرة على البيان من العوامل المؤثرة في جذب الناس ونجاح العمل التبليغي، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾.

٣ - لا بد عند الإرشاد والدعوة من استثمار أفضل الوسائل في ذلك، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾.

٤ - ينبغي استخدام كل طاقة من الطاقات في موردها ومحلها، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾ (فهارون كان يمتلك أسلوباً في البيان وكان له دور أساس في وظيفة البلاغ؛ لذا طلب موسى ﷺ مرافقة أخيه هارون له في أداء الرسالة).

٥ - لا ينبغي أن يكون المسؤول والمتصدي لأمر أفضل في كافة الكمالات، بل لا بد من أن يكون أكثر لياقة من حيث المجموع، ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾، (فعلى الرغم من كون موسى هو المسؤول عن أداء الرسالة إلا أن هارون كان أفضل من موسى ﷺ في بعض الجهات).

٦ - قد يلزم أحياناً قيام الإنسان وفي سبيل رفع بعض العوائق من تقديم اقتراحات وتقديم حلول للجهات المسؤولة، ﴿وَأَخِي هَكَرْتُ... فَأَرْسِلْهُ﴾.

٧ - التوقع والتخطيط واستشراف المستقبل تختلف عن الخوف المذموم، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾.

٨ - المساعد في أداء الرسالة الإلهية يكون تعيينه من الله ﷻ أيضاً، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ كما نعتقد بأن خليفة النبي لا بد من أن يكون تعيينه من عند الله ﷻ.

٩ - إيمان ذوي القربى ودفاعهم عمن يؤدي الرسالة الإلهية له تأثيره على المؤدي لتلك الرسالة وعلى الآخرين أيضاً، ﴿أَخِي... يُصَدِّقُنِي﴾.

١٠ - دعاء الأنبياء وطلبهم مستجاب، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ... سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾، فموسى طلب من الله ﷻ مرافقة هارون له ليكون معيناً له ومصدقاً فاستجاب الله ﷻ له ذلك.

١١ - أفضل أنواع الأخوة، الأخوة في نصرة الحق ونصرة الأخ في المسيرة الإلهية، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

١٢ - انتصار الأنبياء يتحقق في ظل الآيات الإلهية، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا﴾.

١٣ - الأنبياء أيضاً يحتاجون إلى روح الأمل والطمأنينة. فقد وعد الله ﷻ موسى وهارون ﷺ وأتباعهما بالنصر وبث روح الأمل فيهما، ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَلِيُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَبْتَغِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَكِينَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَى﴾ ﴿٣٦﴾

التعاليم

١ - الانتهام أعظم سلاح يواجهه المستكبرون إلى صدور المصلحين، ﴿وَمَا سَكِينَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا﴾.

٢ - تعاليم أنبياء الله ﷻ ليست تابعة لتقاليد الآباء، ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا﴾.

٣ - يكمن الملاك والمعيار في الاعتقاد والمنطق والبرهان، لا في سيرة الآباء، ﴿وَمَا سَكِينَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا﴾ (فعدم وجود سابقة لفكرة ما لا يدل على فسادها).

٤ - يضحى بعض الناس بالمنطق الواضح في سبيل الماضي المظلم، ﴿جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَبْتَغِي... وَمَا سَكِينَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أن فرعون وقومه وصفوا معجزة موسى ﷻ وبوقاحة تامة بأنها سحر وأنكروا أن يكونوا قد سمعوا هذا الكلام من آبائهم، وهنا رد عليهم موسى ﷻ كناية بأنهم كاذبون إذ كان يوسف ﷻ قبل موسى داعية لدين إبراهيم في آبائهم.

التعاليم

- ١ - لا بد للإنسان من التوكل على الله ﷻ في مواجهة تكذيب الكفار للمعجزات ووصفهم لها بأنها سحر، ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ... رَفِئَ أَعْلَمُ...﴾.
 - ٢ - لا بد من رد الدعاوى الباطلة باستخدام الشعار الإلهي، ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ... رَفِئَ أَعْلَمُ...﴾.
 - ٣ - لم يدع الله ﷻ قوماً دون هاد وقائد، ﴿رَفِئَ أَعْلَمُ يَمَن جَاءَ بِالْهَدَى...﴾.
 - ٤ - المهتدون لهم العاقبة الحسنى، ﴿لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ...﴾.
 - ٥ - الدعوة إلى المعاد تقع على رأس دعوة الأنبياء، ﴿وَقَالَ مُوسَى... وَمَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ...﴾.
 - ٦ - من يصف الأنبياء بأنهم سحرة هم الظالمون الذين لا يفلحون، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ...﴾.
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْدِمُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات

□ كلمة «صرح» تعني البنيان المرتفع. وتفيد هذه الآية بأن أهل مصر القديمة كانوا يتقنون صنع الآجر وبناء الأبراج العالية.

التعاليم

- ١ - روح الاستكبار تمنع الإنسان من اتباع الحق؛ فقد قال فرعون ما علمت لكم من إله غيري، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي...﴾.
- ٢ - يفرض المستكبرون عقائدهم وأفكارهم على الآخرين فرضاً، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي...﴾.
- ٣ - شعار المستكبرين: كل ما لا نعلم به لا وجود له، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم...﴾.

٤ - توقع أن الله ﷻ يُرى بالعين الجسمية نمط تفكير فرعوني، ﴿أَطْلِعْ إِلَّاهُ مُؤْمِنٌ﴾.

٥ - يعمد المستكبرون وفي سبيل حرف أفكار عامة الناس إلى التوسل بالسلطة والاحتياال على الناس، ويظهرون لهم أنهم يقومون بالبحث بشكل جدي عن الحقيقة، ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَكْهَنُونَ﴾.

٦ - يرى المستكبرون أنهم هم محور كل شيء، (فقد كان فرعون في كلامه يجعل من نفسه أساس كل شيء) ﴿مَا عَلِمْتُ... غَيْرِي... فَأَوْقَدْ لِي... فَأَجْعَلْ لِي... لَعَلِّي أَطْلِعُ... وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾.

﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (٢٩)

الاستكبار والمستكبرون

- في كل عصر وعلى مر التاريخ، يوجد أناس من أهل الغرور والتكبر يرون أنفسهم أساس كل شيء. وفي هذه السورة نجد كيف أن فرعون يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ وعندما آمن السحرة بموسى ﷺ قال: ﴿ءَاْمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ مَآذَنَ لَكُمْ﴾.

فقد كان فرعون يرى أنه لا يحق لأحد أن يعتقد بأي اعتقاد دون إذن منه. والفراغة اليوم المتمثلون بالقوى الكبرى يرون أنفسهم محور كل فكر، وسياسة، واقتصاد، وأنهم أصحاب القرار في هذا العالم.

- قد يقدم المستكبرون ولإظهار مدى قوتهم على إباداة إنسان أو جماعة أو بلد، أو تقديم العون لهم. فنمرود خاطب إبراهيم بقوله: ﴿أَنَا أُخِي وَأُمِّيْتُ﴾^(١)، أي إن حياة الناس وموتهم بيدي، فمن أريد قتله أقتله ومن أريد تحريره وإطلاقه أفعل.

- يعمد المستكبرون إلى ذر الرماد في عيون الناس بإظهارهم ما يملكون من مال ومتاع في هذه الدنيا كقول فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥١.

- قد يلجأ المستكبرون إلى استخدام العنف لجعل الناس يخضعون لهم. فقد خاطب فرعون السحرة عندما آمنوا بموسى ﷺ بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ ظَنَّفْتُمْ﴾^(١).

- يسعى المستكبرون لخداع ضعاف النفوس من الناس بإظهار مدى تمكنهم وسطوتهم وما يملكونه من مال. فقارون عندما خرج على الناس في زينته تمنى بعضهم أن يكون لهم ما لقارون^(٢).

- يسعى المستكبرون لشراء عقول الناس من خلال تطميعهم فيشترون بذلك عقولهم وأفكارهم. كما خاطب فرعون السحرة بقوله: ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٣).

- يعتمد المستكبرون ومن خلال سيرهم في الأرض إلى زرع الشك في القلوب. ولذا قال تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٤).

- يستخدم المستكبرون الحرب النفسية من خلال احتقارهم للآخرين، وينسبون إلى أتباع الأنبياء ما لا يليق، ذماً منهم لهم، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾^(٥).

- يسعى المستكبرون للسيطرة على قلوب الناس ببناء ما يوجب الرهبة في نفوسهم كتشييد بناء مرتفع. فقد خاطب فرعون وزيره هامان بقوله: ﴿وَقَالَ رَفَعُونَ بِالْحَمْرِ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾^(٦).

وبهذا تظهر عظمة القرآن الكريم في بيانه ووصفه لصفات المستكبرين وخلقهم وسلوكهم، بالنحو الذي نجد أنه ينطبق عليهم حتى في زماننا هذا.

التعاليم

١ - الناس على دين ملوكهم وحكامهم، ﴿وَأَسْتَكَبَرُوا هُوَ وَحُودُهُمْ﴾.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٦

(٥) سورة الشعراء: الآية ١١١

(٦) سورة غافر: الآية ٣٦

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٤

(٢) سورة القصص: الآية ٤

(٣) سورة الأعراف: الآية ١١٤

- ٢ - الحق هو معيار المدح والذم الواردين في آيات القرآن الكريم، ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾.
 ٣ - الغفلة عن أن الدنيا دار ممر، وظن الخلود فيها، هو سبب روح الاستكبار في النفوس، ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُرْجَعُونَ﴾.
 ٤ - عدم الاعتقاد بالمعاد واللامبالاة بالحساب هو سبب قيام روح الاستكبار في النفوس، ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الظَّالِمِينَ﴾

إشارات

□ في الآية الكريمة تشبيه لفرعون وجنوده بشيء لا قيمة له يؤخذ من الأرض ويرمى به في الماء. وهذا الاحتقار لهم لأن أي عظمة وسطوة ليست بشيء أمام القهر الإلهي.

□ «نبد» بمعنى أن يرمي من الأشياء ما لا قيمة له.

التعاليم

- ١ - لا يختص العقاب الإلهي بالعقاب الأخروي، (فرعون أهلكه الله ﷻ بالفرق في هذه الدنيا)، ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾.
 ٢ - أنصار الظلمة شركاء لهم في المصير الذي يصيبهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾.
 ٣ - خاتمة المستكبرين الذلة والهزيمة، ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾.
 ٤ - لأجل قطع جذور الفساد لا بد من إبادة كل من تلوث به، ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾.
 ٥ - لا بد من النظر إلى أحداث التاريخ بعين العبرة، ﴿فَاَنْظُرْ﴾.
 ٦ - مصير الظالمين واحد، ﴿عَذَابُهُ الظَّالِمِينَ﴾ (فالله ﷻ عبر في آياته بعاقبة الظالمين ولم يقل عاقبة فرعون).
 ٧ - المهم هو عاقبة العمل لا مظاهره الموقته، ﴿فَاَنْظُرْ... عَذَابُهُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(١)
 ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾^(٢)

إشارات

□ كما استخدم القرآن الكريم مفردة «أئمة» في أئمة الهدى والنور إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(١)، كذلك استخدم هذه المفردة في أئمة الضلال والنار، فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾، ولذا يحضر الناس في يوم القيامة للحساب في محكمة العدل الإلهي مع إمامهم، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾^(٢). وفرعون هو أيضاً من أئمة الكفر الذين يوردون قومهم نار جهنم، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَزْدَهُمُ النَّارَ﴾^(٣).

التعاليم

- ١ - روح الاستكبار تجعل الإنسان إماماً لأهل النار، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً...﴾.
- ٢ - لا يمكن تجاهل دور الدول في صناعة ثقافة المجتمع وعقيدته، ﴿آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾.
- ٣ - دعوة المستكبرين في حقيقتها دعوة إلى النار، ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾.
- ٤ - المستكبرون اليوم الذي يفخرون بعددهم وعدتهم، لن يجدوا لهم ناصراً يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.
- ٥ - العقاب الإلهي لا يختص بالآخرة، ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾.
- ٦ - لعنة الناس وغضبهم مظهر من مظاهر العذاب الإلهي، ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، كما إن دعاء الناس للإنسان بالخير وذكره الحسن مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة الإلهية، ﴿وَلَجَّلَ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤).

(٣) سورة هود: الآية ٩٨.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧١.

- ٧ - ينبغي التبرؤ من الظالم حتى بعد موته وفناؤه، ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ... لَنُكَفِّرَنَّ﴾.
 ٨ - العمل السيء في الدنيا سبب لكون الإنسان من المقبوحين في الآخرة، ﴿وَيَوْمَ
 الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
 بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

إشارات

□ كلمة «بصائر» جمع «بصيرة» بمعنى العلم والمعرفة وكلمة أبصار جمع بصر
 بمعنى العين.

التعاليم

- ١ - عند هزيمة الطاغوت تتوافر الظروف لدولة الصالحين، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا﴾.
 ٢ - خاتمة عمل المستكبرين الهلاك والزوال، ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾.
 ٣ - التدين لا بد من أن يقوم على أساس البصيرة، ﴿بَصَائِرَ﴾.
 ٤ - إرسال الكتب والرسل يقوم على أساس الرحمة الإلهية، ﴿لِلنَّاسِ... وَرَحْمَةً﴾.
 ٥ - الكتب السماوية عامل بصيرة وهداية، ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾.
 ٦ - ما لم يصل الإنسان إلى البصيرة لن ينال الهدى، وما دام لم ينل الهدى فلن
 يتلقى رحمة الله ولطفه، ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾.
 ٧ - الدين مغروس في فطرة الإنسان ووظيفة الكتب السماوية إزالة الحجب عن
 هذه الفطرة، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.
 ٨ - على الرغم من وجود الكتب السماوية وأنبياء الله إلا أن بعض الناس لا
 يهتدون، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِّقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

إشارات

- يتمكن الإنسان من خلال دراسة تاريخ الماضين من أن يعيش معهم، وإن لم يكن حاضراً بينهم. ففي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام يقول: «فإني وإن لم أكن عُمرت عُمرَ من كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم وفكرتُ في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عُدتُ كأحدهم...»^(١).
- عبارة (ما كنت) وردت مرتين في هذه الآية وتكررت في الآيات اللاحقة لأجل التأكيد على كون أخبار القرآن من الغيب.

التعاليم

- ١ - نُقِلَ ما جرى مع النبي موسى عليه السلام بكافة تفاصيله على لسان النبي صلى الله عليه وآله الذي لم يكن حاضراً في تلك الأحداث هو من دلائل حقية القرآن الكريم وإعجازه، ﴿وَمَا كُنْتَ﴾، ﴿وَمَا كُنْتَ﴾.
- ٢ - بعض أخبار القرآن الكريم هي من الغيب وليس من نقل شهود عيان، ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ...﴾.
- ٣ - الجانب الغربي من الطور هو محل نزول التوراة، ﴿بِجَانِبِ الْفَرِّقِ﴾.

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا
فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

إشارات

- كلمة «ثاويًا» من «ثوى» وهي بمعنى المقيم، كما إن كلمة «مثنوى» من هذه المادة بمعنى المكان والمستقر.

التعاليم

- ١ - حاجة الناس إلى التعاليم والمعارف الإلهية حاجة مستمرة في كل زمان ومكان، ﴿وَمَا كُنْتَ... تَتْلُوَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾.
- ٢ - مرور الزمان أدى إلى ضعف حضور تعاليم الأنبياء بين الناس، وبسبب ذلك توافرت أسباب بعثة نبي الإسلام ﷺ، ﴿فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْمُعْمرُ... كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.
- ٣ - بعثة الأنبياء سنة من السنن الإلهية، ﴿كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦)

التعاليم

- ١ - الأنبياء لولا صلتهم بعالم الوحي لكانوا كسائر الناس في علمهم بالغيب، ﴿وَمَا كُنْتَ...﴾.
- ٢ - المقارنة بين الجهل والعلم، العجز والقدرة، الفقر والغنى، النقص والكمال مفتاح لمعرفة الذات والسعي نحو الله ﷻ، ﴿وَمَا كُنْتَ... وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.
- ٣ - إخبارات القرآن الكريم كلها من الوحي السماوي، ﴿وَمَا كُنْتَ... إِذْ نَادَيْنَا﴾.
- ٤ - بيان القصص الصحيحة والتي فيها عبرة في القرآن الكريم وسيلة للتربية والإنذار، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾.
- ٥ - إنذار الخلق مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿وَمَا كُنْتَ... إِذْ نَادَيْنَا﴾.
- ٦ - الإنذار والتحذير وسيلة نافعة لهداية الغافلين، ﴿لِتُنذِرَ... مِّن نَّذِيرٍ﴾، (على الرغم من أن دعوة الأنبياء جاءت ضمن لسانِي الترغيب والترهيب، ولكن لما كان للترهيب أثره البالغ في نفوس الغافلين نجد في القرآن اهتماماً بذلك).
- ٧ - الناس أحرار في اختيار معتقداتهم ولا إكراه في دعوة الأنبياء، ﴿لِتُنذِرَ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٨ - يعلم الناس من خلال الفطرة المودعة فيهم الكثير من الأمور، ولكن حذراً من النسيان لا بد من تكرار تذكيرهم، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أن الهدف من بعثة الأنبياء إنذار الناس وتحذيرهم، وفي هذه الآية تعرض لهدف آخر من بعثة الأنبياء وهو إلقاء الحجة وسد باب العذر أمام الناس.

□ مفهوم هذه الآية أن الكفار يقولون: إن سبب مصائبنا هو بسبب عملنا الفاسد لعدم وجود أنبياء بيننا، ولو كان لدينا أنبياء لما كنا من الكافرين، ويجيبهم الله ﷻ بأن إرسال الأنبياء والرسول هو لإلقاء الحجة عليهم.

التعاليم

١ - الكثير من المصائب والحوادث الأليمة هي نتاج فعل الإنسان، ﴿تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، فعمل الخير وعمل الشر له آثار تظهر في هذه الدنيا.

٢ - الإيمان بالله واتباع الأنبياء هما سر النجاة من المصائب، ﴿تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ... لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾.

٣ - العلم والفطرة والعقل أدوات لا تنفع بمفردها، بل لا بد من أن ينضم إليها الوحي أيضاً، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾.

٤ - يقبح العقاب بلا بيان، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾ (بعثة الأنبياء هي لإتمام الحجة، حتى لا يحتج أحد بعدم العلم ويبرر ارتكابه للذنوب بذلك).

٥ - الاتباع والطاعة علامة الإيمان الحقيقي، ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلَ مَا أُوفِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوفِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

□ في تحديد المراد من قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ اختلاف؛ ويحتمل جداً أن يكون المراد بملاحظة الآيات التالية القرآن والتوراة.

التعاليم

- ١ - رسالة النبي ﷺ والقرآن حق، ﴿لَوْلَا أَرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا... فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾.
 - ٢ - منكرو الحق يستبدلون البحث عن الحق بالقياسات الباطلة التي لا أساس لها، ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ... لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلَ مَا أُوفِيَ﴾.
 - ٣ - لا يمتلك المتحجرون من الناس الاستعداد لقبول أي منطق جديد، ﴿لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلَ مَا أُوفِيَ مُوسَىٰ﴾.
 - ٤ - السحر واتهام النبي بأنه ساحر من أكثر التهم انتشاراً في مواجهة الأنبياء، ﴿سِحْرَانِ﴾؛ (فالمنكرون يُظهرون للناس أن القرآن والتوراة سحر يحمي بعضه الآخر).
 - ٥ - يتجه أعداء الحق لرمي الحق بصفات الباطل لفتح الباب أمام أنفسهم للإنكار، ﴿سِحْرَانِ... إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ﴾.
- ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا مَنَاسِكَ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

التعاليم

- ١ - لا بد من الرد المناسب على شبهات المنكرين، ﴿قُلْ...﴾.
- ٢ - قد يلزم أحياناً لإثبات الحق استخدام أسلوب التحدي والمواجهة والمناظرة، ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا مَنَاسِكَ الْكَتَابِ...﴾.

- ٣ - لا يكفي توجيه النقد، بل لا بد من تقديم الاقتراحات والحلول مع النقد، ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا... فَأَتَوْا بِكِتَابٍ﴾.
- ٤ - من خصائص الأنبياء التحدي في طلب المعجزة والكتاب، ﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ... أَهْدَى﴾.
- ٥ - التوراة غير المحرفة والقرآن الكريم من أفضل الكتب السماوية لهداية الناس، ﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ... أَهْدَى مِنْهُمَا﴾.
- ٦ - لا بد لأتباع الأديان الإلهية من السعي لحماية بعضهم بعضهم الآخر، قال تعالى: ﴿أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ ولم يقل «أهدى مني»؛ نعم في مقابل المشركين من الكفار الذين لا يؤمنون بأي من الكتب السماوية والذين يطلقون شعار «إنا بكل كافرون» من الدفاع عن القرآن والتوراة وجعلهما إلى جانب بعضهما.
- ٧ - ينبغي على القادة الدينيين استخدام المنطق الأمثل في رد شبهات المنكرين، ﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ... أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبَعُ﴾.
- ٨ - القاعدة في الاختيار هي اتباع الأفضل، ﴿أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبَعُ﴾.
- ٩ - المعيار في اختيار المربي للكتاب وللصديق هو كونه هادياً، ﴿أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبَعُ﴾.
- ١٠ - الإنسان عاجز عن الإتيان بكتاب أفضل من القرآن والتوراة غير المحرفة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفْتَرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

إشارات

□ للإنسان أعداء ثلاثة من الأمور المعنوية: زينة الدنيا، الميول النفسية والوساوس الشيطانية. ومن بين هذه الثلاثة الدنيا وزينتها هي مفتاح إذا تحرك باتجاه انفتح بابه وإذا تحرك باتجاه آخر سد بابه، أي يمكن استخدام زينة الدنيا في سبيل الخير ويمكن استخدامها في طريق الشر. والوساوس الشيطانية هي

أيضاً وإن كان لها دور أساس؛ ولكنها لا تؤدي إلى إجبار الإنسان، مضافاً إلى أن الشيطان لا طريق له للنفوذ في قلب أولياء الله ولا يتسلط عليهم؛ ولكن العدو الثاني هو أخطرها لأن الهوى والميول النفسية أخطر عدو للإنسان^(١).

التعاليم

- ١ - عبادة الهوى، (من خلال أسلوب الترويج، التزيين، المغالطة واتباع الأكثرية)، قد تكون أحياناً بنحو لا يمكن التعرف عليها إلا مع امتلاك البصيرة والدقة، ﴿فَاعْلَمْ﴾.
- ٢ - إذا لم تفلح الهداية فإن الهوى يكون الحاكم، ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا...﴾.
- ٣ - منكرو الحق وعبادة الهوى هم أضل الناس، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.
- ٤ - الهدى الحقيقي هو الهدى الذي ينبع من العلم والحكمة غير المتناهيين، ﴿هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾.
- ٥ - عبادة الهوى والظالمون أبعد الناس عن هدى الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمَّا هُمْ يَنْذُرُونَ﴾ (٥١)
 ﴿الَّذِينَ ءَايَنَتْهُمْ اَلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)

إشارات

- كلمة «وَصَّلْنَا» من «الوصل» بمعنى الارتباط والاتصال. والمراد من هذا الاتصال تنابع التذكير الإلهي وتتاليه أو كون المضامين متفقة ومتوافقة.
- هداية الناس وعدم انقطاع هذه الهداية هي سنة من السنن الإلهية، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾^(٢)، واستمرارها بالآيات الإلهية، وعن طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وعلماء الدين؛ ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾، وعندما لا يكون لطائفة من يهديهم يجب أن ينفر منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

التعاليم

- ١ - لا بد في التربية من أن يكون التذكير تدريجياً، خطوة بعد أخرى، متكرراً ومتنوعاً، ﴿وَصَلَّأْ﴾ (لذا لا ينبغي أن نتوقع تحقق الإصلاح بمجرد التذكير مرة أو مرتين).
- ٢ - بين آيات القرآن تألف وارتباط، ﴿وَصَلَّأْ لَكُمْ الْقَوْلَ﴾.
- ٣ - بين الآيات الإلهية، الكتب السماوية، وقادة الدين وحدة في الكلام والهدف المنشود، ﴿وَصَلَّأْ لَكُمْ الْقَوْلَ﴾.
- ٤ - الإنسان موجود مبتلى بالنسيان، ولا بد من اتباع أسلوب التذكير له على الدوام، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٥ - أهل الكتاب بحق هم الذين يؤمنون عندما يسمعون دعوة الإسلام، ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبُ... بِهِ يَوْمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا يُنَالَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

- ١ - من يطلب الحق يبحث عنه دون أن يلحظ من جاء به، ومن يكون، ومن أي طائفة وبأي لغة يأتي به، ﴿إِذَا يُنَالَى... قَالُوا ءَامَنَّا﴾، «يتلى» وردت بصيغة المجهول، أي لا عبرة بالقائل).
- ٢ - إذا كانت الروح طاهرة فإنها تؤمن بمجرد سماع الحق، ﴿يُنَالَى... ءَامَنَّا﴾ (وعلى العكس من ذلك إذا لم تكن الروح مهيئة فإن التلاوة حتى لو استمرت فلا يرجى منها الإيمان).
- ٣ - الإيمان الصحيح هو الذي يقوم على أساس العلم والمعرفة بالحق، ﴿ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾.
- ٤ - تختلف حالات الأفراد وخصائصهم في نيلهم الألفاف الإلهية، ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

٥ - لا بد، لقبول الحق، من التحلي بالصبر على مواجهة المشاكل والعقبات، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا... يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ... بِمَا صَبَرُوا﴾.

٦ - الصفح عن الإساءة والإنفاق على من أساء، إنما يكون حسناً متى كان صفة وخلقاً لدى الإنسان، ﴿وَيَذَرُوهُمْ... يُنْفِقُونَ﴾ (يدلّ الفعل المضارع على الدوام والاستمرار، فالمؤمنون يمدحون متى كانوا من أهل العفو والصفح والإنفاق).

٧ - عندما نعلم بأن الرزق بيد الله ﷻ فسوف يسهل علينا الإنفاق، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

٨ - لا ينحصر الإنفاق بالمال، بل العلم أيضاً يقبل الإنفاق، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا

وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

□ في الآية السابقة وعد الله ﷻ الذين يصبرون على الأذى في سبيله والذين يدرؤون بالحسنة السيئة وينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ بمضاعفة الأجر، وتذكر هذه الآية نماذج من الصبر والتعامل بالحسنى.

□ «اللغو» هو «العبث» وهو يصدق على القول وعلى العمل والمؤمن موسى بالإعراض عنه. ومن خصائص الجنة أنها مكان لا لغو فيه ولا باطل، ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْيِيْدٌ﴾^(١).

□ «المدارة» هي التواضع والصفح عند القدرة، كالأب الذي يمسك بيد ولده وهو قادر على المشي مسرعاً ولكنه يمشي ببطء مراعاةً لابنه؛ وأما المداينة فهي الصفع والتواضع في موضع العجز والضعف؛ ككثير من رؤساء الدول الذين

يفتقدون الشجاعة فيخضعون لسيطرة القوى الكبرى. أما أنبياء الله ﷺ وأوليائهم فيدارون الناس؛ ولكنهم لا يداهنون الكفر.

التعاليم

- ١ - المؤمن حقاً هو الذي يعرض عن اللغو إذا سمعه، فضلاً عن عدم جلوسه في مجالس اللغو ومجانسته اللغو في كلامه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.
- ٢ - من نماذج الصبر الإعراض عن اللغو وعدم اتباعه، ﴿صَبَرُوا... أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.
- ٣ - الإعراض عن اللغو قولاً، وسماعاً، وعشرةً كمال ممدوح في كافة الأديان الإلهية، ﴿سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، (هذه الآية في مقام وصف طائفة من أهل الكتاب).
- ٤ - من الأساليب البسيطة والعامة للنهي عن المنكر الإعراض عنه، ﴿سَمِعُوا... أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، (لا تردّد اللغو باللغو).
- ٥ - الإنسان مسؤول عما يسمعه أيضاً، ﴿سَمِعُوا... أَعْرَضُوا﴾.
- ٦ - يكشف كلّ من الحسم، والحزم، وعدم اللين عن الإيمان الراسخ، ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾.
- ٧ - المنفعة والضرر في كل عمل تعودان إلى الفاعل، ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾.
- ٨ - لا بدّ من أن يكون الإعراض بأسلوب كريم، ﴿أَعْرَضُوا... سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾.
- ٩ - لا بدّ من أن يقترن الإعراض بتوجيه التحذير لأهل اللغو، ﴿أَعْرَضُوا... لَا تَنْتَهِي الْجَاهِلِينَ﴾.
- ١٠ - اللغو ثمرة الجهل وأهل اللغو هم الجهلة، ﴿لَا تَنْتَهِي الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

إشارات

□ مضمون هذه الآية فيه تسلية للنبي الأكرم ﷺ، وقد تكرر في آيات أخرى

وبتعبير مختلفة، ومن ذلك ما نقرأه في سورة يوسف: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وفي سورة البقرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

□ ورد في المجلد الخامس من تفسير الدر المنثور (من تفاسير أهل السنة) روايات بهذا المضمون، وأن النبي ﷺ عرض الإسلام على أبي طالب والد أمير المؤمنين علي عليه السلام في لحظات احتضاره؛ ولكنه لم يقبل فنزلت الآيات.

ومع غض النظر عن ما رُوي عن سبب نزول الآية ومدى ارتباطها بأبي طالب عليه السلام، فإن المتأمل ولو قليلاً في هذه الآية يعلم عدم ارتباطها به؛ لأن الآية تتحدث في سياق استعراض حال طائفة من المؤمنين من أهل الكتاب مقابل مشركي مكة، سنتعرض لشيء من الكلام عن هذه الروايات وعن إيمان أبي طالب عليه السلام.

يذكر العلامة الأميني صاحب الكتاب المعروف بـ «الغدير» في المجلد الثامن من هذا الكتاب العظيم من الصفحة ١٩ فما بعدها هذه الروايات ويتعرض لها بالنقد والتمحيص ويثبت كون هذه الروايات موضوعة استناداً إلى المصادر التاريخية، ويعتقد أن رواة هذا النوع من الروايات كانوا في زمان وفاة أبي طالب أطفالاً رضع أو أنهم لم يكونوا قد أسلموا بعد كأبي هريرة. وكذلك يذكر في الصفحات من ٣٣٠ إلى ٤١٠ من ذلك المجلد نفسه أدلة على إيمان أبي طالب، كما يذكر الكثير من شعر أبي طالب، وعشرات القصص، وأربعين حديثاً عن أهل بيت النبي ﷺ تدل جميعها على إيمان أبي طالب بالله ﷻ وبرسوله ﷺ. وبعض هذه الأدلة عبارة عن:

١ - أحاديث وكلمات النبي والأئمة المعصومين عليه السلام عن إيمانه.

٢ - حزن النبي ﷺ عند وفاته.

٣ - دعاء النبي ﷺ له على المنبر وتشيعه جنازته.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

- ٤ - حديث النبي ﷺ بأنه شفيح لأبويه ولعمه أبي طالب في يوم القيامة.
- ٥ - وصية أبي طالب لبني هاشم بالدفاع عن نبي الإسلام ﷺ.
- ٦ - وصيته لزوجته ولابنه جعفر بالدفاع عن النبي ﷺ والاهتمام بالإسلام وبالصلاة.
- ٧ - دفاع أبي طالب عن النبي ﷺ في الليالي التي كان يشعر فيها بالخطر على النبي، إذ كان يجعل علياً عليه السلام مكانه في الفراش فيعرض ولده للخطر دفاعاً عن النبي.
- ٨ - بقاء فاطمة بنت أسد مع أنها أسلمت حتماً مع أبي طالب، فلو أن أبا طالب لم يكن مسلماً فكان لا بد من أن تنفصل زوجته فاطمة عنه.
- ٩ - الأشعار الوافرة التي تدل على إسلامه.
- نعم، لا نغفل عن أن ذنب أبي طالب الوحيد أنه كان والد علي بن أبي طالب عليه السلام! وأعداء علي لم يجدوا وسيلة للطعن في شخصيته سوى اختلاق هذه الروايات، فجعلوا من اتهمه بالكفر وسيلة لإيجاد نوع من التوازن بين أبي طالب والد علي عليه السلام وبين أبي سفيان والد معاوية.

التعاليم

- ١ - وظيفة الأنبياء إبلاغ الرسالة الإلهية للناس وهدايتهم إلى سبيل الهدى. وأما إيمان الناس بذلك أو رفضهم لذلك، فهو لا يرجع إلى الأنبياء، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾.
- ٢ - الأنبياء يعيشون الشوق والرغبة في إيمان الناس وهداية أهل الضلال، ﴿مَنْ أَحْبَبَ﴾.
- ٣ - الهداية من عند الله ﷻ، وهي لا تشمل إلا من كان قلبه نقياً خالصاً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾.
- ٤ - الإرادة الإلهية تابعة لعلمه وحكمته ﷻ، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾.

﴿وَقَالُوا إِن نَّبْتَغِ الْهَدْيَ مَعَكَ نَنْخَطِفَ مِنْ أَزْصِنًا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)

إشارات

□ احتج جمع من مشركي مكة أمام النبي ﷺ لعدم إيمانهم به بأنهم لو آمنوا به واتبعوه، فإنهم سوف يُخرجون من بيوتهم وتُخرب حياتهم وتسلب أموالهم. ويجيبهم الله ﷻ في هذه الآية:

أولاً: بأن الله ﷻ الذي جعل لهم هذا البلد، أي مكة، مكاناً آمناً ورزقاً واسعاً ووافراً يمكنه أن يحفظ لهم أمنهم ورزقهم، (وفي هذا الجواب تشويق وترغيب).

وثانياً: ما ورد في الآية التالية بأنهم إن كان احتجاجهم على عدم إيمانهم بخوفهم من أن يسلبوا رزقهم وما لديهم من منافع؛ فما الذي يدفع عنهم عذاب الله ﷻ؟ (وفي هذا الجواب تحذير وإنذار).

وثالثاً: ما ورد في الآية ٦٠ من هذه السورة وهو السؤال عن متاع الحياة الدنيا وقيمتها التي تدعو الإنسان إلى ترك الإيمان، مع أن ما عند الله ﷻ خير وأبقى، إذا لا مبرر لعدم إيمانهم على الإطلاق.

التعاليم

- ١ - الدين ليس مجرد اعتقاد بل هو برنامج عمل أيضاً، ﴿نَبْتَغِ الْهَدْيَ مَعَكَ﴾.
- ٢ - حذر الأعداء لا يقتصر على طريق الحق والصراط الإلهي؛ بل يسلكون سبيل الاعتراض على طريق الحق وعلى قادة الحق أيضاً، ﴿نَبْتَغِ الْهَدْيَ مَعَكَ﴾.
- ٣ - الإيمان لا يقتصر على معرفة الحق، بل لا بد من امتلاك الجراءة أيضاً، ﴿إِن نَبْتَغِ الْهَدْيَ مَعَكَ نَنْخَطِفَ﴾ (فهؤلاء طائفة من الناس علموا أن الإسلام حق؛ ولكنهم لم يؤمنوا حفظاً لمصالحهم الشخصية).
- ٤ - الإنسان يحب وطنه، ﴿مِنْ أَزْصِنًا﴾.

٥ - الخوف من زوال النعم يعالج بتذكر الألفاظ الإلهية على الإنسان، ﴿أَوَلَمْ تُكِنَّا لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾؛ (فذكر النعم الإلهية سبب لنيل حالة التوكل ورفع الوسواس).

٦ - التنمية الاقتصادية والرقي المادي يتحقق في ظل الأمن والاستقرار الاجتماعي، ﴿ءَامِنًا يُبْجَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ﴾.

٧ - الأمن والرزق نعمتان مضمونتان للإنسان في حرم الله ﷻ (مكة)، ﴿ءَامِنًا يُبْجَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٨ - أفضلية الإيمان على الرفاه والاستقرار أمر يخفى على السواد الأعظم من الناس، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَكَ مَسَكِنُهُمْ
لَمْ تُشْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾

إشارات

□ «البطر» الطغيان والغرور بسبب وفرة الثروة والمال.

□ تحدثت الآية السابقة عن جماعة من الناس احتجوا على عدم الإيمان بأن ذلك يكون سبباً لزوال نعمة الأمن والاستقرار الذي يعيشون فيه، وكان جواب الله ﷻ عن حاجتهم تلك بأن الله ﷻ هو الذي جعل لهم مكة محلاً للأمن والاستقرار، وأن هذه النعمة تُحفظ لهم بعد الإيمان بالقدرة الإلهية. وفي هذه الآية يحذرهم الله ﷻ بتذكيرهم بالعذاب الذي نزل على قري كانت آمنة مطمئنة، فهؤلاء الذين يعتذرون لعدم إيمانهم بالخوف من زوال النعم، ماذا يفعلون لدفع العذاب الإلهي لو نزل بهم؟!

□ المراد من قوله تعالى: ﴿فَنَلَكَ مَسَكِنُهُمْ﴾ المساكن الخربة لقوم عاد في منطقة الأحقاف (بين اليمن والشام) أو قوم ثمود في منطقة سدوم، وكان أهل الحجاز يمرون في أسفارهم على تلك المساكن ويشاهدونها بأعينهم.

التعاليم

- ١ - الثروة والنعيم المادي قد لا يكون سبباً للسعادة؛ بل لعله يكون سبباً للغرور والطغيان والهلاك، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا... بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا﴾.
 - ٢ - مصير الأفراد والمجتمعات مرتبط بأعمالهم، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا... بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا﴾.
 - ٣ - من السنن الإلهية هلاك المترفين من غير أهل الإيمان، ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبِكُمْ بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا﴾.
 - ٤ - الآثار الخربة المتبقية من الحضارات السابقة خير درس للأجيال اللاحقة، ﴿فَإِنَّكَ مَسْكُوتُهُمْ﴾؛ (من وسائل التربية أن يزور الإنسان تلك الأماكن).
 - ٥ - سوف يتخلى المترفون عن أموالهم ويهلكون. فالهداية والسعادة الأبدية لا تستبدل بالرفاه والنعم الدنيوية، ﴿نَحْنُ الْوَرِثِيُّنَ﴾.
- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩)

التعاليم

- ١ - تلاوة آيات الله ﷻ على الناس من أهم وظائف الأنبياء، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾.
- ٢ - مكة أم قرى الإسلام، ﴿يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾.
- ٣ - المجتمعات الظالمة في معرض العذاب الإلهي، ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى...﴾.
- ٤ - لا ينزل العذاب من عند الله ﷻ إلا بعد إتمام الحجة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾.
- ٥ - العذاب الإلهي تدبير إلهي لتربية الناس، (كلمة «مهلك» جاءت بعد كلمة «ربك») ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾.
- ٦ - مكان الدعوة لا بد من أن يكون في محال اجتماع الناس ومراكز المدن والقرى، ﴿يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾ (تبين الآية دور المكان في التبليغ والدعوة).
- ٧ - عدم الاستجابة لدعوة الأنبياء ظلم، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ... وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

٨ - هلاك الظالمين في الدنيا سنة من السنن الإلهية، ﴿مُهْلِكِي الْقُرَى... وَأَهْلَهَا ظَلِمُونَ﴾.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

إشارات

□ هذه الآية جواب ثالث على المشركين الذين اعتذروا عن الإيمان بحجة أن ذلك سوف يكون سبباً لإخراجهم من أرضهم وحرمانهم من رزقهم. وفي هذا الجواب تذكير لهم بأن ما لديهم من نعم وأمان مصيره الفناء والزوال وأن ما عند الله ﷻ خير وأبقى.

التعاليم

- ١ - الثروات والأموال لا ترجع إلى سعي الإنسان وفطنته بل هي من رزق الله ﷻ، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾.
- ٢ - النعم الدنيوية محدودة، ﴿فِي شَيْءٍ﴾؛ ولكن الثواب الإلهي غير محدود ولا يمكن تصويره، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.
- ٣ - إذا أدى الإيمان إلى فقدان نعم هذه الدنيا فإن النعم الإلهية التي هي خير وأبقى سوف تكون من نصيبك، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.
- ٤ - كل من يجعل الباقي ثمناً للفاني، ويستبدل النعم الأبدية باللذات المؤقتة غير الخالصة من العذاب ليس من العقلاء، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

الدنيا في القرآن الكريم

- وردت أوصاف عدة في القرآن الكريم للدنيا. وفي آيات الكتاب الكريم تحذير للإنسان من الإقبال على الدنيا والتعلق بها من ذلك:
- الدنيا عرض، ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

- الدنيا لعب، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^(١).
- الدنيا متاع قليل، ﴿فَمَا مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢).
- الدنيا سبب للغفلة والغرور، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾^(٣).
- الدنيا مزيّنة للكافر، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾.
- المال والبنون زينة الدنيا، ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾^(٤).
- الدنيا زهرة لا تكون ورداً لأحد، ﴿زَهْرَةٌ لِّلْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾^(٥).
- لماذا تباع الآخرة بالدنيا؟ ﴿أَشْتَرُوا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^(٦).
- لماذا ترضى بالحياة الدنيا التي مصيرها الزوال والفناء؟ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾^(٧).
- لماذا تفرح بالحياة الدنيا سريعة الزوال؟ ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾^(٨).
- لماذا تفضل الدنيا على الآخرة؟ ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾^(٩).
- لماذا تطمع بالحياة الدنيا؟ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾^(١٠).
- لماذا لا تفكر إلا في الدنيا؟ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾^(١١).
- ألا يعلم أهل الدنيا أن مآلهم إلى جهنم؟ ﴿وَأَنزَلَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَهَنَّمَ هِيَ الْأُمُورُ﴾^(١٢).

نعم هذا التحذير المتتالي إنما هو لمن تعلق قلبه بالدنيا، وما ورد ذمّه في الآيات هو عبادة الدنيا، بيع الآخرة بالدنيا، الغفلة، الغرور، تجاهل حق الفقراء، ولكن من يسعى للدنيا بعدل وإنصاف، ولا يغفل عن الكمالات الأخرى وعن

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة الأنعام: الآية ٣٢. | (٧) سورة التوبة: الآية ٣٨. |
| (٢) سورة التوبة: الآية ٣٨. | (٨) سورة الرعد: الآية ٢٦. |
| (٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥. | (٩) سورة إبراهيم: الآية ٣. |
| (٤) سورة الكهف: الآية ٤٦. | (١٠) سورة الحجر: الآية ٨٨. |
| (٥) سورة طه: الآية ١٣١. | (١١) سورة النجم: الآية ٢٩. |
| (٦) سورة البقرة: الآية ٨٦. | (١٢) سورة النازعات: الآيات ٣٨ و ٣٩. |

الآخرة، ويؤدي حق الفقراء، ولا يمارس الظلم في سعيه للدنيا فإن هذه الدنيا تكون فضلاً من الله ﷻ ورحمة.

﴿أَفَنَنْ وَعَدَّئُهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعًا
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٦١)

إشارات

□ هذه الآية تأتي في سياق الآيات السابقة التي تحدثت عن الذين اختاروا الكفر لأجل حفظ الحياة الدنيا.

□ الوعد الذي أشارت إليه هذه الآية هو الوعد الذي تكرر في القرآن الكريم لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومن ذلك ما ورد في الآية التاسعة من سورة المائدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

□ من كفر بالنبي الأكرم ﷺ هم المترفون وأصحاب الأموال.

التعاليم

١ - الوعد الإلهي والثواب الأخروي عظيم وحسن، ﴿وَعَدَّا حَسَنًا﴾؛ (كلمة «وعداً» وردت مع التنوين وذلك إشارة إلى كونه أمراً عظيماً وكلمة «حسناً» تدل على أنه وعد حسن).

٢ - الوعد الإلهي قطعي ومسلم، ﴿وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ﴾.

٣ - أسلوب المقارنة هو من أفضل أساليب الدعوة والتبليغ والتربية، ﴿أَفَنَنْ وَعَدَّئُهُ... كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ...﴾، (هل يمكن مقارنة وعد الله بوعده غيره؟ ومن وعده الله بغيره؟).

٤ - التوفيق لنيل متاع الدنيا بيد الله ﷻ أيضاً، ﴿مَتَّعْنَاهُ﴾.

٥ - نيل متاع الدنيا ليس دليلاً على الأمان في الآخرة، ﴿مَتَّعْنَاهُ... مِنْ الْمُحْضَرِينَ﴾.

٦ - في متاع الدنيا حساب وعقاب، ﴿مَتَّعْنَاهُ... مِنْ الْمُحْضَرِينَ﴾.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»^(١).

٧ - النعم مع الغفلة سبب للإحضار مع الذلة في الآخرة، ﴿مِنَ الْمُخَضِرِينَ﴾ فإن اللذة التي تكون عاقبتها عذاب جهنم ليست بخير.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١٧) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (١٨) وَقِيلَ أَذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَذَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (١٩)

إشارات

□ يوم القيامة مسرح لأحداث عجيبة ومتنوعة، وتشير هذه الآيات إلى بعض هذه الأحداث والوقائع؛ منها الأسئلة التي يقصد منها التوبيخ والتي يوجهها الله ﷻ للمشركين. ومنها إظهار ما كان يعبد من دون الله نفوره وبراءته ممن كان يعبد. وثالثها اللوم الذي يوجهه المنحرفون إلى الشيطان، وجواب الشيطان لهم بأن لا يلوموه بل عليهم لوم أنفسهم؛ ﴿فَلَا تُلْؤُمُونِي وَلُؤْمُؤَا أَنفُسِكُمْ﴾^(٢)، ففي يوم القيامة يسعى كل إنسان ليرمي ذنبه في عنق غيره؛ ولكن الجواب يأتيه لسمع قوله: ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ﴾^(٣).

□ بعض ما عُبد من دون الله لا ذنب له في ذلك كعيسى عليه السلام والملائكة؛ وأما من كان كالشيطان والطواغيت والعلماء من أصحاب البدع والانحراف في الدين، فإنهم شركاء في الذنب، وسيترل بهم العذاب الإلهي لا محالة.

التعاليم

- ١ - لا ينبغي نسيان مواقف يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ...﴾.
- ٢ - محكمة القيامة علنية ووجاهية، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾.

(٣) سورة الصفات: الآية ٣٠.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

٣ - لا تقم بعمل لا تملك جواباً عنه في يوم القيامة فتقف عاجزاً حائراً، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾.

٤ - الشرك والاتكال على غير الله ﷻ وهم وخيال وسراب، ﴿تَزْعُمُونَ﴾.

٥ - المعبود العزيز في هذه الدنيا مصيره أن يكون محكوماً وذليلاً في الآخرة، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾.

٦ - كل من يدعو الناس إليه بدل دعوتهم إلى الله ﷻ فإن مصيره العذاب الإلهي الحتمي، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾.

٧ - عبادة غير الله غواية، ﴿أَغْوَيْنَا﴾.

٨ - من يقع في الغواية يقوم بغواية غيره أيضاً، ﴿أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

٩ - للإنسان حرية اختيار الطريق، وهو قادر على اختيار طريق الانحراف والضلال، ﴿غَوَيْنَا﴾.

١٠ - سوف يتبرأ ما كان يُعبد من دون الله ممن كان يعبد، ﴿تَبَرَّأْنَا﴾.

١١ - حقيقة الشرك هي عبادة الهوى، ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَمْشُونَ﴾.

١٢ - ما يُعبد من دون الله لن يستجيب لمن يعبده عندما يستغيثه، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾، (فتعلق القلب بغير الله ﷻ في هذه الدنيا سبب للحرمان من نصرته في يوم القيامة).

١٣ - يوم القيامة هو يوم الحسرة والندامة، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا

يَنْتَسِعُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَقَ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

□ السؤال في الآية السابقة كان عن التوحيد؛ ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ ﴿أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، وفي هذه الآيات السؤال عن النبوة، ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

التعاليم

- ١ - الناس كافة مسؤولون عن دعوة الأنبياء، ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - في يوم القيامة تنسد الطرق كافة أمام معرفة ما يجري ولذا يقع الجميع في حيرة وارتباك، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾.
- ٣ - في يوم القيامة لا يتمكن الناس من اللجوء إلى التفكير أو المشورة أو سؤال الآخرين لأجل الوصول إلى جواب عن سؤال محكمة العدل الإلهية، ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾.
- ٤ - لا طرق مسدودة في الإسلام، فطريق الرجوع والتوبة مفتوح للجميع، ﴿مَنْ تَابَ﴾.
- ٥ - التوبة ليست ندماً في القلب فقط، بل تطلب الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.
- ٦ - لا يضمن أحد أن يكتب له التوفيق لتوبة تامة الشرائط، مقبولة، مستمرة، دائمة، ولذا لا بد للإنسان من أن يعيش دائماً حالة الخوف والرجاء، (كلمة «عسى» بمعنى الأمل، أي بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح يأتي الأمل بالنجاة).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

التعاليم

- ١ - القدرة المطلقة بيد الله ﷻ، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.
- ٢ - التكوين (خلق عالم الوجود) والتشريع (قوانين الحياة) بيد الله ﷻ، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.
- ٣ - اختيار القادة الإلهيين بيد الله ﷻ لا بيد الناس، ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.

٤ - الخالق لهذا الوجود هو الذي له حق التشريع والتقنين، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ... لَهُ الْحُكْمُ﴾.

٥ - من يرضى بالقانون البشريّ بديلاً عن القانون الإلهيّ فقد أشرك بالله ﷻ، ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٦ - حيث لا معبود غير الله فلا مدح ولا ثناء إلا له، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ﴾.

٧ - الخلق والخيرة لله ﷻ؛ ولكنه لا يختار الباطل، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١)

إشارات

□ كلمة «سرمد» تعني الدائم والمستمر.

□ جملة: «أفلا تسمعون» تتناسب مع مضمون الآية في حديثها عن الليل، لأن قدرة الإنسان على الاستماع في الليل تبقى قائمة، وإن كان لا يرى شيئاً، كما إنه في الآية التالية وحيث كان مضمون الآية الحديث عن النهار ورد التعبير بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

□ من الطرق لمعرفة الله ﷻ التفكير في أمر زوال النعم واستبدالها؛ نعم توالي الليل والنهار من أعظم النعم والآيات الإلهية.

التعاليم

١ - نتعلم من الله ﷻ كيف نمارس الحجاج مع الذين نختلف معهم، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾.

٢ - أفضل الأدلة لمعرفة الله ﷻ هو ما يصل إليه كل إنسان في أي مكان وفي أي زمان، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾.

٣ - من أساليب القرآن الكريم ما يورده من أسئلة منبهة للإنسان، ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ...﴾.

- ٤ - حركة الأرض وإيجاد الليل والنهار خاضع للإرادة الإلهية، ﴿جَعَلَ... أَيْلَ سَرْمَدًا﴾.
- ٥ - الطبيعة أجمل لوحة وأفضل كتاب لمعرفة الله ﷻ، ﴿أَيْلَ سَرْمَدًا... بِضِيَاءٍ﴾.
- ٦ - لا تقليد في الاعتقاد، ﴿أَرَأَيْتُمْ... أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.
- ٧ - في العمل التبليغي ينبغي أن نستمد العون من وجدان الناس، ﴿أَرَأَيْتُمْ... مِنْ إِلَهِ... أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢)

التعاليم

- ١ - النظام الحاكم على عالم الوجود هو من عند الله ﷻ ولو أراد الله لبدله إلى نظام آخر، ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ...﴾.
- ٢ - القدرة الإلهية على الظواهر كافة سواء، ﴿جَعَلَ... أَيْلَ سَرْمَدًا... جَعَلَ... النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾.
- ٣ - الليل سكن وراحة، والإنسان بحاجة إلى السكن والراحة، ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾.
- ٤ - من لا بصيرة له يستحق التوبيخ واللوم، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.
- ٥ - فقدان البصيرة سبب للشرك، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ... أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

إشارات

□ ذكر الليل يتقدم على النهار في القرآن الكريم دائماً. ولعل ذلك لأن ظلمة الليل ذاتية وأما ضياء النهار فهو من الشمس ولذا كان عارضاً على الأرض.

التعاليم

- ١ - منشأ الخلقة وإعطاء النعم ليست بسبب حاجته تعالى لذلك أو بسبب طلبنا نحن لذلك؛ بل عفوه ورحمته، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ﴾.
- ٢ - سكون الليل مقدمة للسعي في النهار، ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ... لِيَتَنَفَّوْا﴾.
- ٣ - الله ﷻ رحيم كريم ولكن على الإنسان السعي، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ... لِيَتَنَفَّوْا﴾.
- ٤ - الليل للسكن والنهار للعمل والنشاط، ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِيَتَنَفَّوْا مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٥ - كل ما ناله هو من فضل الله، لا بجهدنا وسعينا فقط، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٦ - لا بد من أن تكون النعم المادية سبباً للشكر ولنيل المراتب المعنوية، ﴿لِتَسْكُنُوا... لِيَتَنَفَّوْا... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ٧ - إذا كانت الدنيا وسيلة لشكر الله ﷻ والتقرب إليه فإنها ليست مذمومة ولا قبيحة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤)

إشارات

□ هذه الآية تشبه الآية ٦٢ من هذه السورة وقد تقدّم الكلام على بعض الإشارات فيها.

التعاليم

- ١ - موقف حضور المشركين في يوم القيامة موقف يستحق الذكر والإشارة، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ...﴾.
- ٢ - من نسب لله شريكاً لا يملك الجواب لو سئل عن ذلك، ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾؛ (الإنسان مسؤول عن معتقداته وأفكاره).
- ٣ - يوم القيامة هو يوم ظهور بطلان آلهة المشركين وعجزها، وانكشافها، ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾.

٤ - كافة آلهة الشرك في عدم امتلاك القدرة على التأثير سواء، وكافة المشركين في عدم امتلاك الجواب سواء، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾.

٥ - القاضي في محكمة القيامة هو الذات المقدسة الإلهية، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾.

٦ - لا يملك أحد غير الله ﷻ شيئاً من السلطة في يوم القيامة، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾.

٧ - لا شريك لله، وما ينسب لله من شركاء مجرد زعم باطل، ﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا

أَنَّهُ الْحَقُّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥)

إشارات

□ تتعدد المواقف في يوم القيامة ففي موقف يختم على فم الإنسان وتنطق سائر الأعضاء والجوارح بالشهادة: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَيُلُودُهُمْ﴾^(١)؛ وفي موقف آخر يتمكن الإنسان من الكلام: ﴿وَقَفُّوا لَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢)؛ وفي موقف ثالث لا يكلم الإنسان: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾^(٣)؛ وفي موطن آخر يقول تعالى: ﴿هَآتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

□ احتمل بعضهم أن يكون المراد من هذه الآية أن الله ﷻ يختار من كل طائفة من المشركين رجلاً بارزاً بينهم فيحضره للسؤال ويطلب منه البرهان على الشرك؟ ولكن بملاحظة الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية^(٤)، يبدو أن المراد من الآية هو أنه في كل عصر وزمان يوجد إمام معصوم (نبي أو وصي نبي) يطلع على أعمال العباد، وهو الذي يأتي يوم القيامة ليشهد على أعمالهم.

(١) سورة فصلت: الآية ٢٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٤.

(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٢٠.

التعاليم

- ١ - يستدعى الشهداء في يوم القيامة من الأمم نفسها، ﴿وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ﴾.
 - ٢ - المحاكمات في يوم القيامة تكون علنية وحضورية، ﴿شَهِيدًا فَقُلْنَا﴾.
 - ٣ - لا بد من أن نبني أفكارنا ومعتقداتنا على أساس البرهان والدليل المحكم؛ لأن الشرك لا برهان عليه بل في الآخرة لا قيمة له ولا أحد يشتريه، ﴿هَكَائُوا بُرْهَنَكُمْ﴾.
 - ٤ - ليس للمشركين منطق ولا برهان، ﴿هَكَائُوا بُرْهَنَكُمْ﴾.
 - ٥ - أي نوع من كتمان الحقائق إنما يكون في هذه الدنيا، وأما في الآخرة وبعد زوال الحجب فإن الحق والحقيقة يظهر ويتجلى، ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾.
 - ٦ - إذا ظن المشركون في يوم القيامة أن بإمكانهم الإنكار فإن حضور الشهود يسد الباب أمامهم، ﴿شَهِيدًا... فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾.
 - ٧ - الباطل مصيره الزوال، ﴿وَمَسَدٌ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.
- ﴿إِنْ قَدَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَاتُنَا مِنْ الْكُذُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات

□ ورد في رواية ذكرها في تفسير مجمع البيان أن قارون كان ابن خالة موسى عليه السلام وكان إنساناً عالمياً ومن أهل التوراة بل كان أقرأ الناس للتوراة، وكان في أول أمره من أنصار موسى عليه السلام ومن السبعين الملازمين لموسى عليه السلام والذين اختارهم لتلقي التوراة، ولكنه لما نال من الثروات والكنوز والأموال ما لا عد له ولا حساب خالف علمه فكان محلاً للعذاب الإلهي.

□ واجه موسى عليه السلام في عصور جهاده محاور ثلاث أساس للفساد والطغيان هي: أحدها، محور السلطة والظلم الذي كان يرأسه فرعون، ثانيها، محور القوة المالية والاقتصادية والذي كان يرأسه قارون، ثالثها، محور الخديعة والاحتيال

والذي كان يرأسه السامري. وبعبارة أخرى: واجه موسى ﷺ مثلثاً هو الظلم والمال والخديعة.

التعاليم

- ١ - في ذكر النماذج التاريخية عبرة لللاحقين، ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ...﴾.
- ٢ - السابقة الحسنة لا تدل على أن مستقبل الإنسان يكون حسناً أو على كونه مصوناً من الانحرافات الجديدة، ﴿كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.
- ٣ - الانتساب إلى عائلة النبي ليس سبباً مستقلاً للنجاح والتوفيق، ﴿كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.
- ٤ - وجود المنحرفين من الأقارب لا يقلل من قيمة الأفراد الصالحين وشأنهم، ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ...﴾.
- ٥ - الثروة دون حساب وسيلة للسلطة والسلطة سبب للظلم والطغيان، ﴿الْكُفْرُ...﴾.
- ٦ - لا ينبغي للثروة أن تجعلنا من أهل الغرور والتكبر، ﴿لَا تَفْرَحْ﴾.
- ٧ - النهي عن المنكر في مواجهة أصحاب رؤوس الأموال لازم حتى على الطبقة المحرومة من الناس، ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾.
- ٨ - أهل الغرور محرومون من المحبة الإلهية، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (نعم امتلاك الثروة والمال لا يدل على محبة الله ﷻ).

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧)

إشارات

□ ورد في رواية عن علي بن أبي طالب ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنْسَ﴾

نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿١﴾ قال: «لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة»^(١).

□ أشارت هذه الآية إلى بعض التعاليم التربوية:

- أ - الاهتمام بالآخرة لا يتنافى مع ان ينال الإنسان شيئاً من الدنيا.
- ب - الإحسان إلى الغير ينطلق من الاهتمام باللطاف الله ﷻ بهذا الإنسان.
- ج - البعد عن الفساد بملاحظة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِينَ﴾.

التعاليم

- ١ - الدنيا مزرعة الآخرة، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (خطوب قارون ووعظ بأن يستخدم إمكاناته لنيل الآخرة).
- ٢ - كل ما لدى أهل الثروة من مال هو من عند الله، ﴿ءَاتَاكَ اللَّهُ﴾.
- ٣ - لا بد من العمل للآخرة بجهد، وإن كان لا ينبغي أن ينسى الإنسان نصيبه من هذه الدنيا، ﴿وَابْتَغِ... وَلَا تَنْسَ﴾.
- ٤ - المال والثروات قد تكون وسيلة لنيل السعادة الآخروية، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾.
- ٥ - توجيه الموعظة إلى أصحاب الأموال عمل حسن، ﴿وَابْتَغِ...﴾.
- ٦ - ينبغي للإنسان أن يكتفي بنصيبه ورزقه ويصرف ما زاد عنه في طلب الآخرة، ﴿وَابْتَغِ... وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ...﴾.
- ٧ - لا بد في الموعظة من ملاحظة الاحتياجات الطبيعية، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ﴾.
- ٨ - الثروة دون حد لا تعني صرفها دون حساب. بل نصيب كل إنسان مشخص ومحدد، ﴿نَصِيبَكَ﴾.
- ٩ - طلب الآخرة يجب أن يحصل بالإحسان، ﴿وَابْتَغِ... وَأَحْسِنَ﴾.

١٠ - في سبيل دعوة الآخرين إلى الإحسان لا بد من تذكيرهم بإحسان الله ﷻ عليهم، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١١ - أصحاب رؤوس الأموال ممن ليس من أهل الإيمان هم في معرض الفساد، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

إشارات

□ سؤال: مع أننا نقرأ في كثير من آيات القرآن الكريم أن الناس جميعاً في معرض السؤال في يوم القيامة: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، وأن السؤال سوف يكون عن كل شيء: ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، عن كافة الحالات: ﴿وَلَن تُبْذَرُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوُا يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٣)؛ وعن أي مكان: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾^(٤)، فكيف يرد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الجواب: الآيات التي تدل على السؤال لا ترتبط بالقيامة، ولكن الآية الأخيرة تشير إلى زمان نزول العذاب الإلهي في هذه الدنيا فإن نزول هذا العذاب لا فرصة فيه للسؤال والجواب.

التعاليم

١ - الغرور العلمي قد يؤدي بالإنسان إلى حد يرى أن كل شيء من عنده، وأنه لا دور لأحد ولا لشيء غير ذاته في ما وصل إليه، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٦.

(١) سورة الأعراف: الآية ٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٣.

- ٢ - لا تفخر بما لديك من علم فذلك من أخلاق قارون، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.
- ٣ - لا بدّ من أن ندرك أن الثروة والسلطة هي من إحسان الله إلينا لا بما نملكه من علم ونبذله من جهد، (فالناس خاطبوا قارون بقولهم: الله مَعَكَ أَتَاكَ هَذَا، فكان جوابه: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾)، ﴿أَحْسَنَ اللَّهُ... عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.
- ٤ - معرفة التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿أَوَلَمْ يَلْمَ... مِنْ قَبْلِهِ﴾.
- ٥ - إخضاع أهل التكبر وقمعهم من السنن الإلهية، (فالسطة والمال لا يمنعان نزول العذاب الإلهي)، ﴿أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾.
- ٦ - السلطة والثروة ليست سبباً للسعادة بالضرورة، ﴿أَهْلَكَ... أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.
- ٧ - لكل فرعون موسى، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ﴾.
- ٨ - حذار، فإنّ العذاب الإلهي إذا حل لا يبقى مجال للسؤال والجواب، ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩)

التعاليم

- ١ - إذا نال أهل الغفلة الثروة والسلطة كان ذلك سبباً للفخار لديهم، والاعتداد بالذات، والتفاخر على الناس، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.
- ٢ - الافتخار بالمال صفة قارونية، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.
- ٣ - أصحاب الصفات القارونية يرون أنفسهم أفضل من سائر الناس، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾.
- ٤ - مظهر الحاكم قد يكون عاملاً لتغيير ثقافة الناس، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ... يَلِيتَ لَنَا...﴾.
- ٥ - ظواهر الدنيا البراقة فخ يقع فيه أصحاب الفكر المحدود، ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

٦ - أمنية الإنسان بأن يصبح قاروناً هي أمنية عبّاد الدنيا ضعيفي العقل، ﴿يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلَحُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ﴾

إشارات

□ كان قارون يرى أنه من أهل العلم وأنه إنما جمع ثروته بما يملكه من علم؛ ﴿أُوْنِسْتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِي﴾؛ ولكن الله ﷻ يقول في هذه الآية إن العلم الحقيقي لا يجتمع مع حب المال.

التعاليم

- ١ - لا بد من توجيه اللوم والتحذير لمن يتعلق قلبه بالدنيا، ﴿وَيَلَكُمْ﴾.
- ٢ - أثنى الله ﷻ على حكماء بني إسرائيل الذين ردّوا على أصحاب القلوب العاشقة للدنيا، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ﴾.
- ٣ - العلم الحقيقي هو الذي يسوق الإنسان إلى الآخرة والتقوى والعمل الصالح، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.
- ٤ - العالم لا تغرّه مظاهر الحياة الدنيا وزينتها ولا ينجذب إليها بل هو يحتقر أهل الدنيا، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.
- ٥ - ينبغي على العلماء تحذير الناس من الوقوع في حب الدنيا، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.
- ٦ - إذا منعنا الإنسان من شيء ما، فلا بد مع الإمكان من أن نعرض عليه ما يكون بديلاً أفضل، ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.
- ٧ - الإيمان والعمل الصالح إنما يكونان سبباً لسعادة الإنسان متى تحلى بالصبر والثبات عليهما، ﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلَحُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ﴾.

﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ الْفِتْنَةِ﴾

إشارات

□ يتمكن الإنسان من التحرك بين قوسين: قوس صعودي يصل به إلى المعراج وقوس نزولي يهبط به إلى الأرض.

التعاليم

- ١ - الهلاك ثمرة الظلم، ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ... خَسَفْنَا بِهِ﴾.
- ٢ - الأرض قد تكون وسيلة للعذاب الإلهي، ﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ﴾.
- ٣ - خاتمة تراكم الثروات البخل والغرور والهلاك، ﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ﴾.
- ٤ - الثروة ليست وسيلة للنجاة من عذاب الله، ﴿وَمَا كَانَتْ مِنْ الْفِتْنَةِ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾

التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن نسرع في معالجتنا لبعض القضايا بالحكم عليها، (فالذين كانوا يتحسرون بالأمس ويتمنون ما لقارون من مال أصبحوا اليوم يشكرون الله على أنهم لم يكونوا مثله)، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ... وَيَكَابُ...﴾.
- ٢ - لا ينبغي إطلاقاً أن يتمنى الإنسان أن يكون كأصحاب الثروات من أهل الغفلة والغرور، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ... وَيَكَابُ﴾.
- ٣ - يجب أن يتحلى الإنسان بالقناعة بدل تمنى ما لدى الآخرين من ثروات، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ... يَسْطُرُ الرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٤ - ليس كل ما يتمناه الإنسان هو لمصلحته بالضرورة، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾.

- ٥ - عدم استجابة الدعاء وعدم تحقق الأمانى قد يكون من أعظم أنواع اللطف الإلهي بالإنسان، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ... مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾.
- ٦ - الحوادث سبب لإيقاظ الفطرة واستبدال الأمانى والظنون الخاطئة، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.
- ٧ - الثروات التي لا يرى الإنسان أنها من الله ولا يرى أنها لله تصل بالإنسان إلى الكفر، ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣)

إشارات

- هذه الآية هي كالبیان الختامی لقصة قارون، وتفيد بأن الاغترار بالمال والتفاخر على الناس يكون سبباً للهلاك في الدنيا والشقاء في الآخرة. وطبقاً لما ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام أنه كان يقرأ هذه الآية على التجار^(١)، كان الإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية (قدس سره) يهتم في ختام درسه الأخلاقي الذي يلقيه على طلاب وفضلاء الحوزة العلمية في قم بذكر هذه الآية.
- ورد في الحديث أن الرجل ليعجب بشسع نعله فيصبح مصداقاً لهذه الآية، فيكون ممن يريد علواً في الأرض.
- فكم من الناس من يفتخر على سائر الناس بالبيت، والثياب، والكلام، والزواج، والاسم، والشهرة، والأولاد، فهؤلاء هم مصداق من يريد علواً في الأرض.

التعاليم

- ١ - الحياة الآخرة عظيمة جداً، (كلمة «تلك» لبيان عظمتها).

- ٢ - كل طلب للعلو في الأرض منهي عنه، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾.
 ٣ - منشأ الفساد العلو في الأرض، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا... وَلَا فَسَادًا﴾.
 ٤ - المتقون هم الذين لا يريدون العلو ولا التفاخر على الآخرين، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا... وَالْعِزَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

التعاليم

- ١ - العمل الحسن مطلوب وممدوح من أي شخص كان وبأي مقدار كان، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾.
 ٢ - بقاء العمل الحسن إلى يوم القيامة أهم من العمل نفسه، ﴿جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾، (فكم من عمل حسن يأتي به الإنسان ولكنه بسبب الذنوب، المن، العجب، أو احتقار الآخرين يزيله ويبطله فلا يستطيع أن يأتي به في يوم القيامة).
 ٣ - الناس أحرار في اختيار طريقة حياتهم ولا أحد يجبرهم على الحسنة ولا على السيئة، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ... وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾.
 ٤ - حتى في القول لا بد من أن يبدأ الإنسان بالكلام الحسن، (ابتدأت الآية بـ «كلمة حسنة» ثم بعد ذلك وردت كلمة سيئة).
 ٥ - في نظام اللطف الإلهي العام، جزاء الحسنة يكون أكثر من الفعل نفسه وإن لم يصل إلى مرحلة العمل بل وقف عند قصد العمل وإرادته، أما العقوبة على العمل السيء فهي بمقدار العمل وبشرط أن يتم فعلاً ولا عقاب على مجرد القصد والإرادة، ﴿عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾.
 ٦ - لا ينبغي أن ننسى عمل الخير الصادر من الغير، حتى لو كان العمل في غاية القلة، ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾، ولكن عقاب المسيء على عمله إنما يكون متى كان مصراً على عمله السيء، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
 ٧ - يثيب الله ﷻ المحسن بفضله، وأما المسيء فيحاسبه بعدله، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا... فَلَا يُجْزَى... إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ
قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

إشارات

□ تقدم في الآية السابعة من هذه السورة أَنَّ الله ﷻ أوحى إلى أم موسى أن تلقي ولدها في اليم ووعدها بأن يعيده إليها وأن لا تخاف ولا تحزن، ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ... إِنَّا رَاؤُوهُ إِلَيْكَ﴾.

وفي هذه الآية يعد الله ﷻ نبي الإسلام ﷺ بأن يعيده إلى وطنه، ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، فالقدرة الإلهية التي أعادت موسى ﷺ إلى أمه سوف تعيد النبي ﷺ إلى مكة.

□ اختلفت الآراء في بيان معنى المعاد ومصادقه؛ فبعضهم ذكر أنه مكة موطن النبي الأكرم ﷺ. في هذه الآية إخبار بالغيب، أي سوف يأتي زمان أيها النبي تتمكن فيه من فتح مكة فتعود إليها. وذكر جماعة أنه المقام المحمود الذي وعد به النبي ﷺ وهو مقام الشفاعة، وفسر جمع ذلك بيوم القيامة والجنة.

أما الروايات فقد ورد فيها ذلك هو يوم رجعة النبي ﷺ إلى الدنيا.

والرجعة هي من العقائد المقطوع بها والتي وردت بها الكثير من الآيات والروايات، أي إن الله ﷻ سوف يعيد جماعة من أوليائه إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

التعاليم

١ - إبلاغ النبي بالقرآن كان سبباً لتمرد الكفار ولهجرة النبي ﷺ، ولكن رب القرآن سوف يعيد النبي إلى بلده ووطنه، ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.

٢ - تلاوة القرآن، وبيانه للناس، والعمل به فرض على النبي ﷺ قبل أي أحد، ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾.

٣ - التعبير بـ ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ دليل على أهمية القرآن الكريم وعظمته.

٤ - في مقام البيان لا بد من البدء أولاً بالنقاط الإيجابية، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْمُهْدَى... مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦)

إشارات

□ ذكرت هذه الآيات على ما يظهر منها، نوعين من الشبه بين النبي موسى ﷺ ونبي الإسلام ﷺ:

١ - إن موسى ﷺ سار إلى النار ليأتي منها بقبس فوصل منها إلى النور: ﴿فَلَمَّا
أَنَّهَا نُورٌ...﴾^(١)، ونبي الإسلام قصد غار حراء للتعبد فتلقى الوحي الإلهي،
﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾.

٢ - في الآية السابعة عشر ورد على لسان موسى ﷺ: ﴿رَبِّ يَمَّا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ
أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾، وفي هذه الآية يخاطب الله ﷻ نبيه الأكرم ﷺ:
﴿يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ... فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾.

التعاليم

١ - حتى الأنبياء مع صفاء روحهم وكمال عبوديتهم لم يكونوا يتوقعون تلقي
الوحي، فالوحي رحمة من الله ﷻ وفضل، ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو... إِلَّا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ﴾.

٢ - بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية شأن من شؤون الربوبية، ﴿رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ﴾.

٣ - تظهر أهمية البراءة من الكفار ومن نصرتهم بأن جعلت الآية من ذلك نوعاً
من أنواع الشكر على نزول الوحي، ﴿يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ... فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

٤ - أي نوع من نصرة الكفار ومدّهم بالعون منهى عنه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ
وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧)

إشارات

□ للبعثة مراحل:

أ - تلقي الوحي، ﴿يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾.

ب - البراءة من الكفار، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً﴾.

ج - الثبات في أداء الرسالة، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾.

د - دعوة الناس، ﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾.

هـ - الإخلاص في العقيدة والعمل، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

□ أهمية التوحيد ورفض الشرك والكفر تظهر من خلال التحذير المتكرر للنبي ﷺ من ذلك. فأكثر الجمل الواردة في هذا الصدد في الآيات الأخيرة وردت مع نون التأكيد وبلغة المبالغة، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ... وَلَا يَصُدُّكَ... فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

التعاليم

١ - التقصير في أداء الوحي فيه نوع من تقوية الكفر، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ وَلَا يَصُدُّكَ﴾.

٢ - الأعداء يستهدفون في خططهم شخص النبي ﷺ أيضاً، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾.

٣ - قادة السماء بحاجة أيضاً إلى التذكير الإلهي، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾.

٤ - لا بد من أن تقترن الرسالة بالعزة والحزم، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ... بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ﴾.

٥ - العلم والمعرفة تجعل المسؤولية أثقل على الإنسان، ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾.

٦ - من يوفق لدعوة الحق لا بد من أن يكون مصوناً وحازماً، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ... وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾.

٧ - لا بد من الإخلاص في الدعوة إلى الله ﷻ وأن لا يطلب الإنسان بذلك إلا رضا الله ﷻ، ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (نعم من يلاحظ في دعوته إلى الله رضا الآخرين وانزعاجهم يقع في الشرك يكن مدركاً لذلك).

٨ - لا بد من أن تكون الدعوة إلى الله ﷻ لا إلى أنفسنا، ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

٩ - محاربة الشرك ومواجهة الكفر هي على رأس مهام الأنبياء، وقد ورد التأكيد الشديد عليها من الله ﷻ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ
إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

إشارات

□ تعتقد الفرقة الوهابية بأن كل من يدع غير الله ﷻ فهو مشرك؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١)، ولذا يصيحون بوجه كل من يتوسل بأولياء الله ﷻ بأن ذلك شرك! ولكن هذه الآية تبين لنا أن المشرك هو من يدعو غير الله ﷻ باعتقاد أنه إله، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، ومن الواضح أن الشيعة لا يدعون غير الله ﷻ على أنه إله، بل يدعونه لأنه من المقربين عند الله ﷻ، والله ﷻ جعله من المقربين كأنبياء الله ﷻ وأوليائه، ولا يدعون كل شفيع موهوم، كما كان يفعل عبدة الأصنام؛ إذ كانوا يظنون في خيالهم أن الأصنام شفعاء عند الله.

□ ورد في هذه الآية إبطال الشرك بعبارات مختلفة:

أ - تسمية غير الله بأنه إله.

ب - لا معبود إلا الله.

ج - كل من عليها مصيره الفناء إلا الله ﷻ.

د - الحكم لله فقط.

هـ - الكل يرجع إلى الله ﷻ.

□ كان ملك السعودية يدعو أعلام الفرق الإسلامية في كل سنة في عيد الأضحى لضيفته، وفي إحدى السنوات كان العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (من علماء لبنان الأجلاء) في ضيافة الملك، ولما دخل إلى لقاء الملك قدم له قرآنًا في جلد هدية. فتلقى الملك الهدية وقبّلها. فخاطبه السيد شرف الدين بأن هذا شرك. فانزعج الملك من هذه التهمة، وسأله عن سبب اتهامه له بذلك؛ فقال له السيد شرف الدين: لأنك قبلت الجلد وهو جلد حيوان وتقبل جلد الحيوان شرك.

فقال له الملك: أنا لا أقبل أي جلد، فحذائي من جلد الحيوان ولا أقبله، وأنا لم أقبل جلد الحيوان بل جلد القرآن.

فأجابه العلامة: نحن الشيعة أيضاً لا نقبل الحديد بل نقبل الحديد الذي يكون قفصاً للضريح، وشباك قبر النبي ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ.

نعم الشرك هو أن نجعل الله ﷻ عدلاً ونرى له قدرة مستقلة عن الله ﷻ، والشيعة لا يرون قدرة أولياء الله ﷻ مستقلة عن القدرة الإلهية، بل هي تابعة للقدرة الإلهية، وتعظيم أولياء الله بإقامة الأضرحة والمقامات هو لأجل إرشاد الناس إلى مكان دفن رجل التوحيد. فالمدفون هنا هو من استشهد من أجل رفع راية التوحيد. فالمقام والضريح مكان لإطلاق صرخة التوحيد عالياً، وليس محلاً مقابلاً للمسجد.

□ ورد في الرواية عن الإمام الرضا ﷺ «أن وجه الله هم أنبياء الله وحجج الله على الأرض الذين بهم عرّف الناس الله ﷻ والدين^(١). وفي دعاء الندبة نقراً في وصف صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: «أين وجه الله الذي منه يوتى»، ونقرأ أيضاً: «أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء؟».

التعاليم

- ١ - الموحد الحقيقي هو الذي تحرر من كافة المعبودات، والقوى الكبرى، والطواغيت، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا لَّخَرَ﴾.
 - ٢ - لا ينبغي أن يتعلق القلب بما يفنى ويزول، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، كما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(١).
 - ٣ - الحكم لله عز وجل وحده، ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾.
 - ٤ - المعبود الحقيقي لا بدّ من أن يكون:
 - أ - غير فان، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.
 - ب - له الحكم، ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾.
 - ج - نهاية الإنسان إليه، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
 - ٥ - الموت ليس فناءً ولا عدماً بل عودٌ إلى حيث البدء، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
- اللهم ارزقنا حلاوة تلاوة القرآن والتدبر به.
- اللهم أنر قلوبنا بضياء القرآن.
- اللهم اجعلنا في القول والعمل تابعين للقرآن ولسيرة النبي الأكرم ﷺ وسنته وأهل بيته المعصومين عليه السلام.

«آمين رب العالمين»

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

السورة: ٢٩ الجزء: ٢٠ - ٢١

عدد الآيات: ٦٩

ملاح سورة العنكبوت

نزلت سورة العنكبوت في مكة وعدد آياتها تسع وستون. وأسماء بعض سور القرآن كالبقرة، الفيل، النمل والنحل يرجع إلى ما تعرضت له آياتها من ذكر لهذه الحيوانات.

وفي الآية ٤١ من هذه السورة ورد تشبيه بيت الشرك ببيت العنكبوت وهو أوهن البيوت؛ لذا أطلق على هذه السورة اسم سورة العنكبوت. تتعرض هذه السورة لموضوعات عدة منها: الإيمان، تكليف الناس، الامتحان الإلهي، تاريخ بعض الأنبياء، النهي عن الجدال إلا بالتي هي أحسن، والنهي عن التوكل على غير الله ﷻ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

إشارات

□ الفتن والفتنة في اللغة بمعنى تصفية الذهب لفصل غير الخالص منه عن الخالص، ولما كانت المصاعب والابتلاءات تصقل جوهر الإنسان عن ظاهره الكاذب أطلق على المصائب والابتلاءات كلمة فتنة.

التعاليم

- ١ - الإيمان ليس شعاراً ولا قولاً باللسان، بل لا بد من أن يمر الإنسان بالاختبار والامتحان، ﴿أَحْسِبَ... وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ (لا يكفي الادعاء بل لا بد من ملاحظة العمل والحكم على أساسه).
- ٢ - الامتحان سنة إلهية تاريخية، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٣ - الحوادث لا تأتي صدفة، بل كلها أسباب لاختبارنا وامتحاننا، ﴿فَتَنًا﴾.
- ٤ - معرفة التاريخ وما جرى على الأمم السالفة تعدُّ الناس لتقبل ما يجري عليهم من أحداث، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٥ - الاختبار الإلهي هو مظهر تحقق العلم الإلهي الأزلي وسببه تمييز المؤمن الصادق، وتنمية الاستعدادات الداخلية لدى الإنسان، والخروج بها من القوة إلى الفعل، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ... الَّذِينَ صَدَقُوا... الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١)
 مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

إشارات

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام أن المراد من لقاء الله ﷻ هو يوم القيامة^(١).

التعاليم

- ١ - ارتكاب الذنوب وتكررها له تأثيره على تفكير الإنسان وخياله، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾.
- ٢ - لا بد من أن نضبط الخيال من خلال ذكر المعاد والموت. فالمؤمن عليه أن يدرك أنه دائماً في معرض الاختبار، والكافر عليه أن يدرك أن الفرص قد انتهت وأن العذاب الإلهي سوف يأتيه، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا... أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...﴾.
- ٣ - مدعو الإيمان ليسوا بمأمن من الاختبار الإلهي، كما إن أهل الكفر ليسوا بمأمن من الانتقام الإلهي، ﴿يَسْفُتُونَا﴾؛ (يظن أهل المعاصي أن يد الله لا تصل إليهم).
- ٤ - لا بد من إدانة أي فكر أو ظن باطل، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.
- ٥ - الله ﷻ عليم بما نظهره من إيمان وبما نخفيه في نفوسنا من ظنون ونيات، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

إشارات

□ المراد من «الجهاد» في هذه الآية ليس هو جهاد الأعداء بالسيف، بل المراد

(١) تفسير نور الثقلين؛ والشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٢٦٧.

كل جهد وسعي يبذل؛ سواء أكان ذلك في سبيل بناء الذات وهو الذي يطلق عليه في الاصطلاح جهاد النفس، أم كان بقصد محاربة الشيطان ووساوسه أم مع الأعداء الظاهرين.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ غني عن جهادنا، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾.
- ٢ - لترغيب الناس في الجهاد والسعي في الخير لا بد من استخدام الميول الداخلية والفقيرة كحب النفس، (يسعى الإنسان بفطرته إلى تحصيل مصالحه)، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾.
- ٣ - الغنى الإلهي حقيقي وحتمي، (خلافاً لما نظهره نحن من غنى مع أننا عین الفقر والحاجة)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٤ - الله غني عن العالمين بشراً كانوا أم ملائكة أم من سائر الموجودات، ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧)

إشارات

□ أفضل الجهاد الذي تعرضت له الآية السابقة هو الجهاد بالإيمان والعمل الصالح وهذا ما تعرضت له هذه الآية.

التعاليم

- ١ - لا بد للإنسان لكي ينال الثواب الإلهي من أن يتحلى بأمرين هما: الإيمان والعمل الصالح، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٢ - المؤمن ليس مصوناً من الخطأ والزلل، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا... لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

٣ - الثواب الإلهي لا يقتصر على العفو عن الذنوب، بل يشمل الثواب والأجر الجزيل، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

٤ - تلقي الأجر والثواب يكون بعد تكفير الذنوب، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنِيتُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

التعاليم

١ - الإحسان إلى الوالدين أمر إنساني، وليس إيمانياً فقط، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾.

٢ - لا قيد ولا شرط في الإحسان إلى الوالدين، ﴿حُسْنًا﴾ (فلا وجود لشرط يرتبط بالعرق، السن، المكان، العلم، الاجتماع، السياسة، الاقتصاد، والإيمان، بل لا بد من الإحسان لهما حتى لو كانا مشركين أو كافرين).

٣ - الوالدان المنحرفان يسعيان لانحراف أبنائهم، ﴿جَاهِدَاكَ﴾.

٤ - لا ينبغي أن نسيء الاستفادة من احترام الآخرين، (لا ينبغي للأبوين أن يستخدما احترام أولادهم لهم لدعوتهم إلى الشرك)، ﴿وَلَنْ جَاهِدَاكَ﴾.

٥ - لا بد من أن يمتلك الأبناء القدرة على التفكير الصحيح، ﴿جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

٦ - ليس للشرك من دليل ولا برهان، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٧ - لا ينبغي للإنسان أن يهادن أحداً في مسألة التوحيد والشرك، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

٨ - الإحسان إلى الوالدين مطلق ومستدام؛ وأما طاعة الوالدين فهي مشروطة بأن لا يتعد الإنسان عن الله ﷻ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

٩ - الإيمان بالمعاد ضماناً لتنفيذ الأوامر الإلهية، ﴿وَوَصَّيْنَا... إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾.

١٠ - الله ﷻ عليم بكل فعل يصدر من الإنسان، ﴿فَأَنِيتُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٩)

إشارات

□ المراد من المؤمنين في هذه الآية هم الأبناء الذين يكونون تحت سلطة الأبوين الذين يدعون أبناءهم إلى الشرك، فإن قاوموا تلك الدعوة فهاجروا من بيوتهم مع صعوبة فراق الأبوين، فإن الله ﷻ سوف يعوض لهم ذلك في يوم القيامة بأن يدخلهم في زمرة الصالحين^(١).

□ ورد في الآيتين السابقتين أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو تكفير الذنوب والعطاء الإلهي. وفي هذه الآية وعد الله ﷻ بأن يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الصالحين. وفي آية أخرى نقرأ أن الالتحاق بالصالحين هو من دعاء النبي إبراهيم عليه السلام والنبي يوسف عليه السلام، ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢).

التعاليم

- ١ - الإيمان لا ينفصل عن العمل، ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا﴾.
- ٢ - لا يلحق الإنسان بالصالحين بمجرد أن يأتي بالعمل الصالح. بل لا بد من العمل الصالح الذي يقوم على أساس الإيمان بالله ﷻ، ﴿ءَامِنُوا... لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠)

إشارات

□ الظاهر أن المراد من «العالمين» كل موجود ذي شعور سواء أكان بشراً أم ملائكة أم جنًا^(٣).

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١؛ وسورة الشعراء: الآية ٨٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

□ في أول آية من هذه السورة ورد قوله تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا﴾، أي إن الناس لن يتركوا دون اختبار إيمانهم. وفي هذه الآية بيان لنموذج من نماذج الامتحان الإلهي.

التعاليم

- ١ - بعض الناس يظهرون الإيمان بلسانهم، ولا إيمان في قلوبهم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَآمَنَّا﴾.
- ٢ - قد يلزم من الإيمان أحياناً لحوق الأذى والضرر ولا بد للإنسان من أن يتحمل ذلك، ﴿ءَآمَنَّا... أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾.
- ٣ - المؤمن مقاوم، ﴿وَلَصَّبِرَنَّ عَلَى مَا ءَازِيْتُمُونَا﴾^(١)؛ ولكن المنافق لا يصبر على الأذى، ﴿فَإِذَا أُوذِيَ... جَعَلَ...﴾.
- ٤ - الإيمان الحقيقي يظهر عند مواجهة الأذى والمصاعب، ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال»^(٢).
- ٥ - المنافق يتحين الفرص، فمتى انتصر المؤمنون جعل نفسه منهم، وأصرَّ على أن ينال ما ينالون، ﴿يَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.
- ٦ - لا نفع بالمظاهر؛ لأن الله ﷻ عالم بالضمائر، ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَآمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة الإشارة إلى أن المنافقين يدعون وبكل تأكيد أنهم من بين المؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، وفي هذه الآية يؤكد الله ﷻ علمه بالجميع، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾.

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٧.

□ مع أن الله ﷻ بكل شيء عليم، بالمؤمن والمنافق؛ ولكنه يختبرهم ويفتنهم ليميز بينهم^(١).

التعاليم

- ١ - الإيمان بالعلم الإلهي سبب للخروج من حالة النفاق، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.
- ٢ - الله ﷻ هو وحده الذي يعلم المؤمن الحقيقي من مدعي الإيمان، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢)

إشارات

- عندما يدعو المنحرفون الناس ويرغبوهم بالمعاصي يدعون أن الخطايا تتعلق برقابهم هم. مع أن أحداً لا يحمل خطايا غيره، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ﴾.
- لعل من الممكن القول إن الكفار يرغبون في أن يترك الناس الإيمان: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾^(٢)، وهم في سبيل ذلك يتبعون الخطوات الآتية:
- أ - يعمدون إلى إيذاء المؤمنين لصدّهم عن الإيمان: ﴿يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)
 - ب - يلجأون إلى محاربة المؤمنين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾^(٤).
 - ج - يدعونهم إلى اتّباعهم في العمل فقط: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، وبعد ذلك لا يلحق بكم الأذى ونحن نحمل خطاياكم.

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٥؛ وسورة الأعراف: الآية ٤٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

د - إذا لم يكتب لهم النجاح في خطواتهم السابقة فإنهم يرغبون في المداينة مع المؤمنين كحد أدنى، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^(١).

التعاليم

١ - لن يكفَّ أعداء الدين عنكم، بل هم يعلنون عن أهدافهم، (فالمسلمون كانوا يتعرضون للأذى الجسدي من الكفار، (فتنة للناس) كما إنهم كانوا في معرض الأذى الفكري والإعلامي والنفسي)؛ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾.

٢ - الارتداد والعودة إلى الكفر ذنب كبير يدعي الكفار أنهم يحملون خطيئته، ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾.

٣ - في الرؤية الإسلامية لا يحمل أحد خطايا غيره، ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)؛ ولكن الآخرين لا يحملون هذه الرؤية، ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ (ما زالت الكنيسة إلى الآن تشتري ذنوب العباد).

٤ - وعد الكفار ووعد الشيطان لا أساس له وهو مجرد خيال، ﴿وَمَا هُمْ بِمَحْمِلِينَ﴾ (فالشيطان يأمر الإنسان بالكفر ولكنه بعد كفره يتبرأ منه)، ﴿إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَا قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكُمْ﴾^(٣).

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾
﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١٤)

إشارات

□ سؤال: كيف تذكر الآية السابقة أن أحداً لا يحمل خطايا غيره، وفي هذه الآية ورد أن المضلين يحملون أوزارهم وأوزار غيرهم؟

(٣) سورة الحشر: الآية ١٦.

(١) سورة القلم: الآية ٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

الجواب: الآية السابقة كانت جواباً لقول الكفار إنهم يحملون خطايا المؤمن إذا كفر وأنه لا مسؤولية عليه ولا تبعة، وجاء الرد الإلهي بأن أحداً لا يحمل خطايا غيره، وأما في هذه الآية فالذي يضل يحمل تبعة ضلاله، ولكن الذي يضل غيره فإنه مضافاً إلى مسؤوليته عن فعله هو مسؤول عن ذنوب غيره ممن أضله دون أن ينقص من ذنب الضال شيئاً.

□ ورد في تفسير الدر المنثور وتفسير (نمونه) ذكر العديد من الروايات التي تدل على أن كلَّ من سنَّ سنةً حسنة أو سيئة بين الناس، فمضافاً إلى الثواب أو العقاب الذي يناله فاعل ذلك العمل فإنه يكون شريكاً له في الثواب والعقاب.

التعاليم

- ١ - يحمل المضلون أوزار الضالين مع أوزارهم، ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.
- ٢ - إضلال الناس يحتمل الإنسان المضل وزراً ثقيلاً، ﴿وَأَنفَالًا﴾.
- ٣ - تبعة الذنب ثقيلة، ﴿أَنفَالِهِمْ﴾.
- ٤ - الافتراء على الله وعلى رسوله منهج يتبعه الكفار، ﴿كَأَنُورًا يَفْتُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤) فَأَجْنَحَتْ وَأَصْحَبَ السَّيْفَيْنَا ۚ وَإِيَّكَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

إشارات

□ ورد في بداية هذه السورة أن الله ﷻ لن يدع من يظهر الإيمان دون أن يختبره ويمتحنه في دعواه. وبدءاً من هذه الآية يتعرض لذكر نماذج من قصص النبي نوح، إبراهيم، لوط، شعيب، هود، صالح، وموسى ﷺ، وما مر على الأمم السابقة من امتحان إلهي.

بين القرآن الكريم المدة الزمانية لرسالة نبي من الأنبياء سوى النبي نوح ﷺ التي بلغت تسعمائة وخمسين عاماً، وهي مدة رسالة النبي نوح إلى زمان طوفان؛ وأما مدة حياته بعد الطوفان فلم يتعرض لها القرآن الكريم.

التعاليم

- ١ - الأفضل في أسلوب التبليغ أن يبدأ الإنسان ببيان القضايا العامة ثم بعد ذلك يورد النماذج والتفاصيل. ففي الآيات السابقة نقراً: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، والآن بدأ بالتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.
- ٢ - اهتم القرآن الكريم بذكر ما جرى على الأمم السالفة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (ففي بيان تاريخ الأنبياء السابقين تسلياً للنبي ﷺ).
- ٣ - الأنبياء كانوا من الناس، ﴿فِيهِمْ﴾ (فلو أن نبياً خرج من بين الناس وتركهم فإنه يعاقب على ذلك، ففي قصة يونس نقراً: ﴿وَاللَّفْمَةُ الْخَوْتُ﴾^(١)).
- ٤ - يثبت القرآن الكريم أن طول عمر الإنسان ليس أمراً مستحيلاً، ﴿أَلَفَ سَنَةً...﴾.
- ٥ - إذا لم يكن لدى الناس الأهلية والقابلية فإن ألف سنة من الدعوة لن يكون لها أثرها فيهم، ﴿أَلَفَ سَنَةً إِلَّا خَسِيتَ عَامًا﴾.
- ٦ - لا بد في التربية والدعوة من الصبر والثبات، ﴿أَلَفَ سَنَةً إِلَّا خَسِيتَ عَامًا﴾ وهذه الآية تتحدث عن ثبات نوح وتحمله أذى قومه.
- ٧ - لا بد من ذكر الأرقام بدقة، ﴿أَلَفَ سَنَةً إِلَّا خَسِيتَ عَامًا﴾.
- ٨ - اتخاذ موقف اللامبالاة إزاء دعوة الأنبياء ظلم، والظلم مفتاح العذاب الإلهي، ﴿فَاخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.
- ٩ - الأنبياء وأتباعهم في مأمن من عذاب الله ﷻ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ﴾.
- ١٠ - طوال عمر نوح، كان ﷺ يصنع السفينة، إلى أن جاء الطوفان الذي عم الأرض كلها وكان بأمر من الله ﷻ، ﴿أَرْسَلْنَا... أَلَفَ سَنَةً... فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ﴾.

١١ - نصرة الله ﷻ لا تعني ترك العمل والسعي. فنوح وأتباعه قاموا بصنع السفينة، ﴿السَّفِينَةَ﴾.

١٢ - بعض الحوادث والأشخاص يتجاوزون الزمان والمكان، ﴿ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاِبْرٰهٖمَ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖ اَعْبُدُوا اللّٰهَ وَاتَّقُوْهُ
ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ (١٦)

إشارات

□ النبي إبراهيم عليه السلام هو ثاني أنبياء أولي العزم، وكانت بعثته بعد نوح عليه السلام.

التعاليم

- ١ - التوحيد والتقوى مفهومان في أعلى قائمة دعوة الأنبياء، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوْهُ﴾.
- ٢ - العبادة بلا تقوى لا تنفع، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوْهُ﴾.
- ٣ - نيل الخير يكون في ظل عبادة الله وتقواه، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوْهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ﴾.
- ٤ - من يستبدل التوحيد والتقوى بغير الله ﷻ فيتبع الفساد هم الجاهلون حقاً، (العلم إذا لم يتزين بالتقوى كان جهلاً)، ﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾.
- ٥ - بالعلم وتطوره يتمكن الإنسان من الوصول إلى مصلحة العبادة والتقوى، ﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿اِنَّمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَوْثَانًا وَتَخْلُقُوْنَ اِفْكًا لِتَكُوْنُوا لِلَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوْا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوْهُ وَاَشْكُرُوْا لَهُٓ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾ (١٧)

إشارات

□ دعا النبي إبراهيم عليه السلام الناس كما ورد في الآية السابقة إلى عبادة الله وطاعته، وفي هذه الآية يردّهم عن عبادة غير الله ويبين لهم أنها بلا ثمرة وفي ختام هذه الآية يعاود التأكيد على عبادة الله.

□ ليس لعبادة الأصنام والشرك أي منطق أو برهان لأنه:

أولاً: الأصنام جمادات لا أكثر، ﴿أَوَنُنَّا﴾.

ثانياً: إن عبدة الأصنام هم الذين يصنعونها، ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾.

ثالثاً: إنها لا تملك لعبدة الأصنام نفعاً ولا ضرراً، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ﴾.

□ في هذه الآية خاطب النبي إبراهيم عليه السلام المشركين ثلاث مرات، وهذا يدل على الخطاب المباشر مع الضالين، ﴿تَبْدُونَ... وَتَخْلُقُونَ... تَبْدُونَ﴾.

التعاليم

١ - يسعى أهل الانحراف إلى تبرير انحرافهم، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾.

٢ - من الدوافع التي تجعل الإنسان يعبد غير الله ﷻ طلب الرزق، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾.

٣ - لا يملك غير الله ﷻ القدرة على الرزق، لا أنهم يملكون ولا يعطون، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ (ولم يقل: لا يرزقونكم).

٤ - في الدعوة والإرشاد لا بد بعد إثبات بطلان فكرة ما، من بيان الحق، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾.

٥ - لا يلجأ الناس إلى الله ﷻ إلا بعد يأسهم من غيره، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٦ - الله ﷻ هو الرزاق؛ ولكن على الإنسان السعي، ﴿فَابْتَغُوا﴾.

٧ - لا بد من سد حاجات الناس المادية والمعيشية أولاً، ثم دعوتهم وإرشادهم، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾.

٨ - منبع الرزق من عند الله، ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾.

٩ - العبادة تليق بمن بيده القدرة، ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾.

١٠ - القيامة هي ضمانه الالتزام بالأوامر الإلهية، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَبَ أَمْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمِيثُ﴾ (١٨) **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴿١٩﴾

إشارات

□ في هاتين الآيتين إشارة إلى الأصول الثلاثة المشتركة بين الأديان:

- أ - التوحيد: ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾.
- ب - النبوة: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾.
- ج - المعاد: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

التعاليم

- ١ - لكل نبي أعداء يرفضون دعوته، فلا ينبغي للإنسان الخوف من وجود أعداء له، ﴿كَذَّبَ أَمْرٌ...﴾.
- ٢ - الحوادث التاريخية متشابهة وقد تكرر، ﴿أَمْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.
- ٣ - في التعرف على حوادث التاريخ نوع من تسلية خاطر الإنسان، ﴿كَذَّبَ أَمْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.
- ٤ - لا ينبغي لتكذيب الكفار أن يكون سبباً لعدم الدعوة، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ...﴾.
- ٥ - الناس أحرار في اختيار عقيدتهم ولا يمكن حتى للنبي أن يجبرهم على ذلك، ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا... وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمِيثُ﴾.
- ٦ - الدعوة والإرشاد لا بد من أن تكون ببلاغ مبين، ﴿أَلْبَلُغُ الْمِيثُ﴾.
- ٧ - أيقظوا فطرة الناس من خلال مواجهتها بالسؤال، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٨ - الإسلام دين التفكير وهو يدعو الناس جميعاً إلى التفكير، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾.
- ٩ - عالم الخلقة مظهر من مظاهر القدرة الإلهية وذلك في خلق الحياة والموت في ظواهر الطبيعة، ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

- ١٠ - الاعتقاد بالمبدأ سبب للاعتقاد بالمعاد، والجهل بقدرة الله ﷻ سبب لإنكار المعاد، ﴿يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.
- ١١ - الخلق، الإمامة والإحياء ثانية فعل إلهي مستمر، ﴿يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ (الفعل المضارع يدل على الاستمرار).
- ١٢ - الخلق الأول وإعادة الخلق في يوم القيامة أمر سهل على الله ﷻ؛ لأنه يتحقق بإرادة واحدة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ
ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

التعاليم

- ١ - السير في الأرض والسياسة والتفكير في مظاهر الطبيعة إذا كان لهدف وغاية كان واجباً له قيمته، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾.
- ٢ - السياحة في الأرض سبب يدفع الإنسان إلى التفكير، ﴿قُلْ سِيرُوا... فَانظُرُوا﴾.
- ٣ - نرفع الشك الذي يراودنا من خلال التفكير في دقة خلق الله ﷻ، وبذلك نتعرف على الله ﷻ أكثر، ﴿فَانظُرُوا...﴾.
- ٤ - أفضل دليل على المعاد ملاحظة مظاهر القدرة الإلهية في خلق الموجودات أول مرة، ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١) وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)

إشارات

□ يعتمد الأسلوب التربوي في القرآن الكريم عند إرادته لبيان العذاب الإلهي على بيان سعة رحمته أولاً ثم يتعرض لعذابه، ولكن لما كان موضوع هذه الآية يتعرض لتكذيب الكفار كانت البداية بالحديث عن العذاب الإلهي ثم جاء على ذكر الرحمة الإلهية.

□ متى وردت كلمة (من يشاء) في القرآن الكريم وكان المراد منها الحديث عن إرادة الله ﷻ فإن المشيئة تكون تابعة للحكمة والعدل؛ لأن الإرادة الإلهية لا تكون إلا عن حكمة.

□ ورد في مجمع البيان أن الولي هو من يمد يد العون دون طلب، وأما النصير فهو من يمد يد العون بعد الطلب والكفار محرومون من الصنفين.

التعاليم

- ١ - مهما فعل أعداء الدين ومهما سعوا وتآمروا فإنهم لن يقهروا الإرادة الإلهية ولن يخرجوا من تحت سيطرتها، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾
- ٢ - للخلاص من الشرك لا بد من نفي كل موهوم باطل، ﴿مَا أَنْتُمْ... وَلَا فِي السَّمَاءِ... وَلَا نَصِيرٌ﴾؛ لذا يخاطب أعداء الدين والكفار بأنهم ليسوا بمعجزين وأنه لا ولي لهم ولا نصير.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَتِ إِلَهُهُ وَلَقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

التعاليم

- ١ - الطائفة الوحيدة التي تعيش اليأس من أن تشملها رحمة الله الواسعة هم الكفار، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ﴾، وكذا في الآية ٨٧ من سورة يوسف يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

□ عزم الكفار وعلى رأسهم نمرود على قتل إبراهيم في مواجهتهم لتعاليم الحق

المنزلة عليه؛ لذا قاموا بإيقاد نار عظيمة لرمي إبراهيم عليه السلام فيها، ولكن الله سبحانه كتب له النجاة من تلك النار، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

التعاليم

- ١ - ليس للكفار من منطق بل منطقهم القتل والتعذيب، ﴿أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾.
- ٢ - قد يقع الاختلاف بين الكفار ولكنهم يتفقون على الهدف، ﴿أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾.
- ٣ - الأنبياء تحت رعاية الحماية الإلهية، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.
- ٤ - الإرادة الإلهية غالبية على كل إرادة وعلى كافة الأسباب والقوانين الحاكمة في هذا العالم، ﴿أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.
- ٥ - انتصار المؤمن على الكفار كافة، وفشل كل خطط الكفار وما تأمروا عليه، والنجاة من النار، كل ذلك آية من الآيات الإلهية، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾.
- ٦ - لكي يعتبر الإنسان من التاريخ لا بد من أن يمتلك فطرة سليمة وروحاً طاهرة، ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ نعم للإيمان دور في البصيرة ووضوح الرؤية لدى الإنسان.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنَ بَعْضُكُم بَعْضًا
وَمَا وَكَلْتُمُ النَّارَ وَمَا لَكُم مِّن تَصَرُّفٍ﴾

إشارات

□ لقد كان من بين الأصنام التي تُعبد صنم أساس، وكان لكل قبيلة صنمها الخاص، فلقریش صنم يطلق عليه (عزى)، ولثقيف صنم يطلق عليه (لات)، وللأوس والخزرج صنم يطلق عليه (مناة)، وهذه الأصنام كانت هي صلة الوصل بين عبدة الأصنام وآبائهم.

□ ورد في الآية السابعة عشرة من هذه السورة أن إبراهيم عليه السلام وقبل تهديد قومه له بالنار خاطبهم بقوله: ﴿إِنَّمَا تَبْعُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾، وبعد نجاته من النار واجههم صراحة بقوله: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾، إذاً لم يكن لرمي إبراهيم عليه السلام في النار من تأثير عليه في أداء وظيفته في بيان الرسالة والدعوة إلى الله.

□ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم»^(١).

□ لا بد أحياناً من أن يكون ردنا على الكفار قارعاً لهم؛ ففي الآية السابقة لاحظنا كيف أن الكفار اقترحوا إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار «حرقوه»، وفي رد الله عليه وعلى مقترحهم هذا كان الجواب تقريراً لهم إذ قال تعالى: ﴿وَمَا أَوْنَكُمُ النَّارُ﴾.

التعاليم

١ - الارتباط العاطفي له تأثيره على معتقدات الإنسان وأفكاره، ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ... أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

٢ - المودة التي لا تكون في رضا الله ﷻ تكون مرحلية ذات أمد ونهاية، وتنقلب بعد ذلك إلى عداوة وتلاعن، ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

٣ - لا بد عند اختيار الطريق من معرفة العاقبة، ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ... وَمَا أَوْنَكُمُ النَّارُ﴾.

٤ - رفاء الكفر والسوء لا يملكون القدرة على فعل شيء في يوم القيامة، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ تُصْمِيَةٍ﴾.

﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦)

إشارات

□ ذكر أكثر المفسرين أن المراد من المهاجر هو النبي إبراهيم عليه السلام، كما ورد على

لسانه ﷺ في آية أخرى قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^(١) وذكر بعضهم أن المهاجر هو لوط ﷺ.

التعاليم

- ١ - الأنبياء يؤمن بعضهم ببعضهم الآخر، ﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ﴾؛ نعم هذا يدل على غربة النبي إبراهيم ﷺ ووحدته أيضاً.
- ٢ - قد يتعدد الأنبياء في زمان واحد؛ ولكن الإمامة والقيادة تكون لواحدٍ منهم فقط، ﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ﴾.
- ٣ - إيمان لوط كان نوعاً من إعلان النصر والمعونة للنبي إبراهيم ﷺ، ﴿فَقَامَنَّ لَهُ﴾؛ ولم يقل: «آمن به».
- ٤ - الهجرة إذا كانت هادفة كانت وسيلة تربية ورفي، ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾.
- ٥ - رجال الله لا يتعلقون بزمان ولا بمكان ولا بفرد ولا بجماعة، ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾.
- ٦ - نقوي روح الهجرة في نفوسنا بذكر اللطاف الإلهية، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ (العلاقة بالله ﷻ تجبر كل غربة).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَعَاقِبَتُهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧)

إشارات

- تطلق كلمة «أجر» على الثواب والجزاء الدنيوي والآخرى، وأما كلمة أجرة فلا تطلق إلا على الجزاء والثواب الدنيوي^(٢).
- الثواب الذي ناله إبراهيم ﷺ على جهاده وهجرته كان أربع نعم إلهية بينها الآية المذكورة:

١ - الذرية الطيبة.

٢ - مقام النبوة والرسالة في ذريته.

٣ - الذكر الحسن في الدنيا.

٤ - العزة في الآخرة.

توضيح: يعقوب، يوسف، هارون، موسى، سليمان، زكريا، يحيى وعيسى كلهم من نسل إسحاق، ونبي الإسلام ﷺ من ذرية إسماعيل؛ لذا فإن أولي العزم بعد إبراهيم ﷺ كانوا جميعاً من ذريته.

□ من مصاديق اللطف الإلهي في حق النبي إبراهيم ﷺ: النجاة من النار، الأئدة من الناس التي تهوي إلى مكة، تجديد ذكرى إبراهيم ﷺ في مراسم الحج، وهذا ما نُقِلَ إبراهيم من كونه شخصاً غير معروف إلى أن يكون شيخاً للأنبياء^(١).

□ أن يكون الإنسان صالحاً وأن يدخل في زمرة الصالحين مقام معنوي كان يتمناه الأنبياء:

- يوسف يسأل الله: ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢).

- وسليمان يدعو الله فيقول: ﴿وَادْخُلْنِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

- وشعيب يقول لموسى ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤).

- وإبراهيم ﷺ يسأل الله بقوله: ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

وهنا نجد خطاب الله ﷻ لإبراهيم ﷺ بقوله: ﴿وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَرَبُّ الصَّالِحِينَ﴾.

(١) ﴿فَقَدْ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾؛ (سورة الأنبياء: الآية ٦٠).

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٣) سورة النمل: الآية ١٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٣.

التعاليم

- ١ - الولد الصالح هبة من الله ﷻ، ﴿وَوَعَبْنَا لَهُ﴾.
- ٢ - لا بدّ من إعلام الناس بالشواب الإلهي الذي يهبه على ما يقوم به الإنسان من عمل ليكون في ذلك دافعاً لهم إلى فعل الخير، ﴿وَوَعَبْنَا لَهُ﴾.
- ٣ - الإخلاص هو أساس تلقي الألفاف الإلهية، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي... وَهَبْنَا... جَعَلْنَا...﴾.
- ٤ - أحفاد الإنسان كالأبناء هبة من الله ﷻ، ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ (مع ملاحظة أن يعقوب هو ابن إسحاق) ﴿وَمِنْ وَرَأَوْا إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(١).
- ٥ - جزاء الإحسان إلى الوالدين وطاعتهما بإخلاص تظهر في الأبناء، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾، نعم لا بدّ من أن تملك الذرية أهلية ذلك، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).
- ٦ - لا حد للعطاء والشواب الإلهي لأهل الهجرة، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي... وَهَبْنَا... جَعَلْنَا... أَتَيْنَا﴾.
- ٧ - لم يكن لنبي من الأنبياء عدا إبراهيم عليه السلام ذلك النسل وتلك الذرية، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾.
- ٨ - تعيين أئمة الدين بيد الله ﷻ، ﴿جَعَلْنَا... النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.
- ٩ - الدنيا والآخرة قد تُجمعان لإنسان، ﴿وَأَتَيْنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحْشَاءَ

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨)

إشارات

□ الفاحشة هي العمل أو القول القبيح البين القبح. ولما كان فعل اللواط فعلاً

(١) سورة هود: الآية ٧١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

قبيحاً بين القبح وكان منتشراً في قوم النبي لوط عليه السلام كان تعبير القرآن الكريم عنه بأنه فاحشة.

التعاليم

- ١ - لا بد لأئمة الدين من ملاحظة المفسد والانحرافات الاجتماعية العامة والسعي لرفعها؛ (فالنبي لوط عليه السلام حذر قومه من فعل الفاحشة التي كانوا يرتكبونها)، ﴿قَالَ... لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.
- ٢ - ليس لكل ابتكار قيمة (ابتكار الذنوب يخالف القيم)، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾.

﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

إشارات

- النادي هو المجلس العام، وقد ورد في التفاسير أن قوم النبي لوط عليه السلام كانوا قمة في سقوط الأخلاق، فكانوا منغمسين في الفساد والمعاصي؛ بنحو كانوا يتلفظون بالفحش في مجالسهم، ويلعبون بالقمار، ويتعرون في حضور الناس، ويقطعون السبل أمام الناس، ولا يبالون بخروج الريح من بطونهم في مجالسهم، ويرتكبون فاحشة اللواط مع المسافرين ويسرقون أموالهم.
- طلب الأقوام من أنبيائهم العذاب تكرر مع عدد من الأنبياء؛ فقوم نوح عليه السلام قالوا: ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾^(١)، وقوم ثمود قالوا لصالح عليه السلام: ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾^(٢) وفي زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قالت طائفة من الناس: ﴿أَفَتَيْنَا بِعَذَابِ﴾^(٣).

(١) سورة هود: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٠.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

□ قد يكون المراد من قطع السبيل في هذه الآية قطع الطريق أمام الناس لأجل سلبهم أو فعل فاحشة اللواط معهم.

التعاليم

- ١ - من العجيب أن يلجأ الإنسان إلى اللواط مع وجود طرق طبيعية وشرعية كسنة الزواج لإرضاء غريزة الشهوة، ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.
- ٢ - انتشار الفساد لا يمنع من القيام بفريضة النهي عن المنكر، ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُوا الرِّجَالَ﴾.
- ٣ - الفساد الأخلاقي يجر الإنسان إلى الفساد العقدي، (فالغرق في المعصية وتجاهل القيم الأخلاقية أدى بهؤلاء إلى إنكار نبوة لوط عليه السلام)، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ... أَفَتُنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
- ٤ - جعل الله ﷻ سبلاً لهذا الإنسان لقضاء حاجته من الغريزة الجنسية، ولم يتركه في طريق مسدود، ﴿السَّيْلَ﴾.
- ٥ - التجاهر بالمعصية من أعظم الذنوب، ﴿فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾.
- ٦ - لا بد من الحفاظ على الأمن والعفة العامة في المجتمع، ﴿فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾.
- ٧ - عاقبة التجاهر بالمعصية أن يُذكر الإنسان بالسوء دائماً، (فقوم لوط تجاهروا بالمعصية مدة معنوية؛ ولكنهم أصبحوا من ذوي الذكر السيئ على مر التاريخ)، ﴿فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾.
- ٨ - الصدق والاستقامة أمر حسن حتى في نظر أهل الباطل والمنحرفين، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
- ٩ - اللواط منكر وفاحشة، ﴿الْمُنْكَرَ... لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ومرتكب فاحشة اللواط مفسد في الأرض، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.
- ١٠ - كون الإنسان وحيداً لا يمنعه من النهي عن المنكر، فلوط عليه السلام مع أنه كان

وحيداً؛ لكنه وقف بوجه أهل الانحراف وطلب العون من الله ﷻ، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾.

١١ - يجب على الإنسان أن يديم التفكير في التغلب على المفسدين، ولا يرضى على الإطلاق بتسلطهم، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا

أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١)

إشارات

□ استجاب الله ﷻ دعاء النبي لوط عليه السلام في طلبه النصرة على المفسدين فأنزل ملائكة العذاب.

□ المنطقة التي كان يقيم فيها قوم لوط كانت هي (سدوم) قرب مكان إقامة النبي إبراهيم عليه السلام.

□ كان عمر إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة مائة عام عندما بشرهما الله ﷻ بإسحاق^(١).

□ ورد في الصحيفة السجادية ذكر طوائف الملائكة والوظيفة الخاصة الموكلة إلى كل طائفة منهم، إلا الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام فإن وظائفهم كانت متعدّدة، فهم جاؤوا بالبشرى لإبراهيم عليه السلام، وإعلان العذاب الذي سوف ينزل على قوم لوط عليه السلام، وإنزال العذاب عليهم.

التعاليم

١ - لا بد من مراعاة الترتيب، (فالملائكة الذي أمروا بإنزال العذاب على قوم لوط، كان عليهم أن يخبروا إبراهيم عليه السلام الذي هو من أنبياء أولي العزم ومن أصحاب الشرائع بذلك أولاً، ثم إخبار لوط عليه السلام الذي يدعو إلى شريعة إبراهيم عليه السلام)، ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾.

- ٢ - دعاء العباد الصالحين مستجاب عند الله ﷻ، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي... إِنَّا مُهْلِكُونَ﴾.
- ٣ - الملائكة هم الذين ينفذون أمر الله ﷻ عذاباً كان أم رحمة، ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا... بِالْبَشْرِ... إِنَّا مُهْلِكُونَ﴾.
- ٤ - اللواط وإن كان فعل جماعة من المنحرفين وأتباع الشهوات إلا أن العذاب الإلهي إذا نزل فإنه ينزل بهلاك المنطقة بتمامها، ولعل إطلاق صفة الظلم عليهم جمعياً؛ لأنهم سكتوا عن ذلك، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.
- ٥ - الظلم سبب للهلاك، ﴿إِنَّا مُهْلِكُونَ... ظَالِمِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ﴾ ﴿٣٢﴾

إشارات

- يظهر من ملاحظة هذه الآية والآية ٣٦ من سورة الذاريات حيث ورد فيها: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أن النبي لوط عليه السلام وذريته فقط هم الذين كانوا مؤمنين، بل حتى زوجته شملها العذاب الإلهي.
- المستفاد من الآية ٧٤ من سورة هود أن النبي إبراهيم عليه السلام طلب عدم إنزال العذاب على قوم لوط؛ ولكن طلبه هذا لم يُستجب وجاء الجواب بأمره بالإعراض عن ذلك: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ... يَكْفُرُ بِهِمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

التعاليم

- ١ - وجود أولياء الله ﷻ في المجتمع يمنع من نزول العذاب، ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾.
- ٢ - الأنبياء وأتباعهم في مأمن من عذاب الله ﷻ، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾.
- ٣ - الملائكة يعلمون بكل فرد من الناس، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾.

- ٤ - رجال الحق قد يكونون في غاية الغربة، (فلم يؤمن للوط عليه السلام سوى أبناؤه)،
﴿لَتُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾.
- ٥ - يستطيع الأبناء اختيار الحق من بين أفكار الأبوين وآرائهم، ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا
أَمْرَانَهُ﴾؛ (فقد اختار أبناء لوط طريق أبيهم على طريق أمهم).
- ٦ - للمرأة شخصيتها المستقلة وقد تخرج عن سيطرة الرجل أو النظام الاقتصادي
أو الثقافي المهيمن على الأسرة، ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾.
- ٧ - العلاقة والقربة ليست سبباً للنجاة، بل الاستقامة هي سبب النجاة،
﴿لَتُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾؛ (فزوجة لوط كانت ترتبط به؛ ولكنها لم تكن
في خط الاستقامة).
- ٨ - المعيار ليس هو العناوين الاجتماعية بل الإيمان والعمل، ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾؛
(فعنوان زوجة النبي ليس مهماً بل المهم أن تكون تابعة له ولما يدعو إليه).
- ٩ - زوجات الأنبياء لا يتمتعن بالعصمة، ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾؛ (حتى زوجات النبي
الأكرم عليه السلام فإن بعضهن من كانت محلاً للطف الإلهي. كما نقرأ في آية أخرى
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ
وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنْكَ الْفَتِيرَاتُ﴾

إشارات

- «سيء» أي انزعج. وانزعاج لوط عليه السلام لعله كان بسبب خوفه من تعرض أهل
السوء لضيقه في منزله أو لعله لما علمه من نزول العذاب الإلهي على قومه.
- الذراع هي جزء من اليد، من العضد إلى رؤوس الأصابع. وضيق ذرعاً كناية
عن العجز وعدم امتلاك الحيلة والسبيل؛ لأن من تكون ذراعه قصيرة يعجز عن

القيام بالكثير من الأمور. ولذا يطلق على كل من عجز عن القيام بأمر: ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾^(١).

□ «لا تخف» تتعلق بما يحتمل وقوعه من أحداث ومصاعب في المستقبل. «ولا تحزن» ترتبط بالأحداث والمصاعب التي وقعت في الماضي.

التعاليم

- ١ - أولياء الله ﷻ يعيشون ضيقاً في المجتمع الفاسد، بل يعيشون القلق حتى على حفظ ضيوفهم وذريتهم، ﴿سِئَءَ بِهِمْ﴾.
- ٢ - لا يمكن أن يقف الإنسان موقف اللامبالاة إزاء شيوع الفساد، ﴿سِئَءَ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ﴾؛ (الغيرة الدينية لازم للإيمان).
- ٣ - سبب كثير من حالات القلق الجهل بالمستقبل، ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾.
- ٤ - القلق النفسي ينعكس على الوجه. فالملائكة لما لاحظوا أثر القلق في محيا لوط عليه السلام خاطبوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾.
- ٥ - نجاة المؤمنين من حالة القلق والاضطراب بما يأتيهم من وعد حق، ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ﴾.
- ٦ - لا بد عند بيان الحقائق من ذكر الأمور الإيجابية أولاً، ﴿إِنَّا مُنْجُونَ﴾.
- ٧ - الله ﷻ هو الذي يحفظ أولياءه، ﴿إِنَّا مُنْجُونَ﴾.
- ٨ - الارتباط الأسري والعائلي لا يكون سبباً لنجاة الإنسان، بل الإيمان والعمل الصالح هو باب النجاة، ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَّ﴾.
- ٩ - للمرأة شخصيتها المستقلة وقد تقف مقابل النظام الفكري والاقتصادي للأسرة وللمجتمع، ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَّ﴾.
- ١٠ - الدال على الفساد مفسد أيضاً، ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَّ﴾؛ (فإن زوجة لوط هي التي أخبرت المفسدين بمجيء ضيوف قوم لوط، ليقدموا إليهم).

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣٤)
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

إشارات

- «القرية» هي قرية (سدوم) وهي التي كان يقيم فيها قوم النبي لوط عليه السلام، وكان عددهم كبيراً.
- «الفسق» بمعنى الخروج عن الطاعة وأبرز نموذج له الشرك والكفر.

التعاليم

- ١ - ينزل من السماء رحمة الله (كالمطر والوحي) كما ينزل عذاب الله، ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.
- ٢ - لعمل الإنسان تأثيره على الطبيعة، فكما إن فعل الخير له تأثير في نزول الرحمة والنعمة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَأْسُوءًا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، فعلى العكس من ذلك ارتكاب الذنوب يبدل النعمة إلى عذاب، ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.
- ٣ - تكرار المعصية والإصرار عليها سبب نزول العذاب الإلهي، ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.
- ٤ - يلزم أحياناً حفظ ما يبقى من آثار الأمم السالفة، وحفظ ديارهم الخربة، وعدم إعمارها، وإعادة بنائها، ﴿تَرَكْنَا... آيَةً﴾.
- ٥ - اهتم القرآن الكريم بعلم فلسفة التاريخ وتاريخ الأمم السالفة، ﴿آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
- ٦ - في الأراضي الخربة درس وعبرة أيضاً، ﴿آيَةً... لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
- ٧ - لا بد للاعتبار من امتلاك الدقة والتعقل. فأهل الغفلة لا يتمكنون وبنظرتهم السطحية من إدراك الحقائق والاعتبار بها، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
- ٨ - التعقل والتفكير شرط للهدى والاعتبار، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

إشارات

- «مدین» اسم مدينة تقع جنوب غرب الأردن وهي المعروفة اليوم باسم «معان».
- كلمة «تعثوا» من «عثا» وتعني إيجاد الفساد.
- شعيب عليه السلام كان نبياً لقيلتين هما:
- أ - أصحاب مدین الذين أهلكوا بالصيحة من السماء.
- ب - أصحاب الأيكة الذين جاءهم عذاب يوم الظلة فأهلكوا بصاعقة من السماء^(١).

التعاليم

- ١ - الأنبياء وهم الآباء الفكريون، والإيمانبيون، والأخلاقيون للناس يتعاملون مع الناس بأخوة، ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن ننسى العواطف في دعوتنا إلى الله ﷻ، ﴿يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.
- ٣ - التوحيد والمعاد يحتلان الدرجة الأولى في دعوة الأنبياء، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.
- ٤ - العبودية لله والإيمان بالمبدأ والمعاد باب للتخلص من الفساد، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا﴾.
- ٥ - ليس عامة الناس معصومين، فقد يصدر منهم الخطأ والزلل فيقعون في المعصية أحياناً؛ ولكن الأخطر من ذلك الفساد الذي يكون عن سبق علم وإصرار وتصميم، ﴿وَلَا تَعْتَوْا... مُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ٣٧﴾

إشارات

□ كلمة رجفة بمعنى تزلزل الأرض. والأراجيف هي الأخبار والأفكار التي تكون سبباً لتزلزل عقيدة الناس ومعنوياتهم، والمرجعون هم الذين ينطقون بهذه الأخبار ويطلقون هذه الأفكار.

□ جائمين بمعنى الجلوس على الركب، فكان المعذبين استيقظوا على الزلزلة حيث حلت بهم فتزل العذاب عليهم وهم في نصف قيامهم.

التعاليم

- ١ - تكذيب الأنبياء سبب لنزول العذاب الإلهي، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ﴾.
- ٢ - من لا يمتلك القدرة على الفرار من عذاب الله ﷻ كيف يقوم بتكذيب الحق؟ ﴿فَكَذَّبُوهُ... فَأَصْبَحُوا... جَنِينَ﴾.

﴿وَعَادَا وَنُعُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٣٨﴾

التعاليم

- ١ - ينبغي حفظ بعض الآثار التاريخية ليعتبر الناس بها، ﴿تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ﴾.
- ٢ - من حبال الشيطان تزيين العمل السيء، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.
- ٣ - من أسباب الانحراف عن الحق الإعلام المسموم الفكري والثقافي، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.
- ٤ - الإنسان يميل بفطرته إلى الزينة والجمال، والشيطان يسيء استغلال هذه الخصلة الإنسانية، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

- ٥ - الإنسان حتى مع كونه ذا بصيرة ومعرفة إلا أنه في معرض وساوس الشيطان، ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.
- ٦ - لا يعذب الله ﷻ قوماً دون دليل أو بينة، ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا... وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.
- ٧ - أدوات المعرفة لدى الناس هي الفطرة، العقل، وتعاليم الأنبياء، ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾؛ ولكن الشيطان لا يبقى دون عمل، ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

﴿وَقُتِرُوا وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ﴾ (٣٩)

التعاليم

- ١ - الهلاك هو عاقبة الاستكبار، والمصير السيئ الذي يلاقيهم درس وعبرة، ﴿وَقُتِرُوا وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُ﴾.
- ٢ - السنة الإلهية جرت على إتمام الحجة وبعد ذلك تأتي المؤاخذة، ﴿جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.
- ٣ - تختلف مظاهر الاستكبار؛ فقارون مظهر للطغيان بالمال، وفرعون وهامان مظهر للطغيان بالسلطة؛ ولكنهم جميعاً يشتركون في طغيانهم وعنادهم في مخالفة الحق، ﴿وَقُتِرُوا وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُ... فَاسْتَكْبَرُوا﴾.
- ٤ - لا تأثير للمال والسلطة أمام القدرة الإلهية، ﴿وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ﴾.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ
وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠)

إشارات

- «الحاصب» هو الطوفان الذي يحمل معه حصى صغيرة والخسف هو سوخ الأرض بما عليها.

□ كان هلاك قوم عاد بالطوفان، وهلاك قوم ثمود بالصيحة من السماء، وهلاك قارون بالخسف وابتلاع الأرض له، وهلاك فرعون وهامان بالغرق في الماء. فالعذاب الإلهي قد يكون أحياناً عن طريق أحد هذه الأسباب الطبيعية.

التعاليم

- ١ - من الأساليب الناجحة في التبليغ أن يقوم الإنسان بعد بيان التعاليم بتقديم خلاصة وفهرسة للنقاط التي ذكرها في حديثه، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ...﴾.
- ٢ - عذاب كل قوم يتناسب مع المعاصي التي كان يقترفها أولئك القوم، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ...﴾.
- ٣ - لم يرجئ الله ﷻ العذاب الذي يستحقه الناس إلى يوم القيامة، (بعض الناس ينال عقابه في هذه الدنيا)، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا...﴾.
- ٤ - لا ينبغي أن يغتر الإنسان بامهال الله ﷻ له؛ فإن عاقبة الذنب هي العقوبة، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ...﴾.
- ٥ - خيارات الله ﷻ مفتوحة عندما يريد أن ينزل العذاب على المستحقين، ﴿حَامِبًا... خَسَفْنَا... أَغْرَقْنَا...﴾.
- ٦ - العذاب الإلهي عدل، ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ...﴾.
- ٧ - مصير كل إنسان مرتبط بعمله، ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾.
- ٨ - التكبر في وجه الحق ظلم للنفس، ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾.
- ٩ - الأسوأ من الظلم استمرار الظلم، ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْمَكْشُورِ
اتَّخَذَتْ يَمِينًا وَإِنَّ أَوَّلَ الْبُيُوتِ لَيَبْتَ الْمَكْشُورِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١١)

إشارات

□ أطلق على هذه السورة تسمية العنكبوت لما ورد في هذه الآية.

□ نقل عن أفلاطون أن الذباب من أشد الحشرات بُخلًا، فهي تقع لتحصيل طعامها على الحامض والحلو، والتنظيف والملوث؛ ولكن العنكبوت تقبع في زاوية وتقع بما لديها، وما يلفت النظر هنا هو أن الله ﷻ جعل من أحرص الحيوانات وأكثرها حركة طعاماً لأكثر الحيوانات قناعة وسكوناً، فالذباب تذهب إلى العنكبوت وتقع في شباكه.

التعاليم

- ١ - استخدام المَثَل هو من أفضل أساليب التربية والتعليم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ...﴾ وأفضل الأمثلة هو المثال الذي يصلح لكل زمان ومكان ويكون واضحاً لكافة الناس، ﴿كَمَثَلِ الْفَكَّارِ...﴾.
- ٢ - بيت الشرك كبيت العنكبوت واهن لا أساس له، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ... كَمَثَلِ الْفَكَّارِ...﴾.
- ٣ - العنكبوت يبني بيته في الأماكن المهجورة، وكذلك حال الشرك فإنه يسكن في الأرواح البعيدة عن الله ﷻ، فإنه إنما يؤثر عليها، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ... كَمَثَلِ الْفَكَّارِ...﴾.
- ٤ - بيت العنكبوت ليس له من البيت سوى الاسم وكذلك حال غير الله ﷻ ليس لهم سوى الاسم، ﴿ذُوْنِ اللَّهِ... أَوْهَنْ الْبُيُوتِ...﴾.
- ٥ - يتخيل العنكبوت في عالم خياله أن بيته يصمد أمام الحوادث، والمشرِك أيضاً يعيش مثل هذا التوهم، ﴿أَوْهَنْ الْبُيُوتِ...﴾.
- ٦ - ولاية الله ﷻ بنيانٌ مرصوص وهي من حديد: ﴿كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾^(١)، أما ولاية غير الله ﷻ فهي في غاية الضعف والوهن، ﴿أَوْهَنْ الْبُيُوتِ...﴾.
- ٧ - قد يقف الخيال، والدوافع، ورفقة السوء عائقاً أمام معرفة الحق، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ (يقال: حب الشيء يعمي ويصم، فإذا تعلق قلب الإنسان بشيء لا يسمع ولا يبصر).

٨ - المشركون يلجأون إلى غير الله ﷻ بسبب جهلهم وعدم معرفتهم الحقائق، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤٢)
وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

التعاليم

- ١ - المبول غير الإلهية لدى الإنسان يعلمها الله تعالى، فلنحضر الجواب عنها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.
- ٢ - العلم الإلهي هو الأساس في تشبيه الشرك ببيت العنكبوت، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ... إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.
- ٣ - بدل الاتكال على غير الله، كبيت العنكبوت، مما هو ضعيف، ولا أساس له فليكن الاتكال على الله القوي العزيز، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ٤ - اتكالنا على غير الله ﷻ لن يضر الله شيئاً، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ٥ - العزة الإلهية تقتزن بالحكمة؛ (فهي ليست قدرة أو قوة لا تخضع للمنطق ومتقضيات الحكمة)، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ٦ - الأمثال القرآنية في غاية العمق، ولا بد من أن يتعمق بها الناس كافة والعلماء خاصة، ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.
- ٧ - يدعو الله ﷻ الناس ويحثهم على تحصيل العلم للتدبر في المعاني العميقة في القرآن الكريم، ﴿...وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤٤)

إشارات

□ كل ما عدا الله ﷻ هو كبيت العنكبوت في غاية الضعف ومصيره الفناء وأما الله ﷻ فهو:

- عَالِمٌ : ﴿يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.

- عزیز و حکیم: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

- خالقُ عالمِ الوجود: ﴿خَلَقَ اللَّهُ...﴾.

التعاليم

١ - خلق العالم كان لغاية ولهدف، ﴿بِالْحَقِّ﴾ فنظرنا إلى العالم لا بد من أن تكون لغاية ولهدف، ﴿لَا يَبَةُ﴾.

٢ - يتوقف المادّيون عند الظواهر الطبيعية؛ ولكن عباد الله ﷺ يتجاوزون هذه الظواهر ليصلوا إلى الله ﷻ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣ - الإيمان شرط لإدراك حقائق عالم الوجود، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِكْرَامَ الصَّلَاةِ تَهْنِ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

□ يأمر الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ في هذه الآية بتلاوة القرآن وإقامة الصلاة، لأن القرآن والصلاة مصدرا قوة لهذا الإنسان. كما يصف الله ﷻ المسؤولية التي ألقاها على نبيه بأنها مسؤولية ثقيلة: ﴿إِنَّا سَتَلِقُكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١)، ويأمر الله ﷻ نبيه بالاستعانة على أداء هذه المسؤولية بأمرين:

أحدهما: تلاوة القرآن: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٢).

ثانيهما: صلاة الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^(٣).

ومضافاً إلى هذه الآية، فقد تكرر في القرآن الكريم ذكر الصلاة والقرآن معاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتْلُوكَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤)، وقوله:

(١) سورة المزمل: الآية ٥.

(٣) سورة المزمل: الآية ٦.

(٢) سورة المزمل: الآية ٤.

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٩.

﴿يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(١).

□ ذكره لجملة: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ معان عدة:

أ - الصلاة أكبر ذكر إلهي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢)، فالصلاة ذكر الله ﷻ.

ب - ذكر الله وحضور القلب أفضل من الصلاة الظاهرية.

ج - ذكر الله أفضل من أي عمل يقوم به الإنسان.

د - ذكر الله ﷻ يمنع عن الفحشاء والمنكر وهي أفضل مانع من ذلك.

هـ - ذكر الله لكم أكبر من ذكركم لله ﷻ، (نعم هذا المعنى مأخوذ من الروايات الواردة في ذيل قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٣)).

□ رُوِيَ أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَصْلِي الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ، فَوَصَفَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ صَلَاتِهِ تَنَاهَا يَوْمًا»^(٤).

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَقْبَلَتْ صَلَاتُهُ أَمْ لَمْ تَقْبَلْ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ مَنَعَتْهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَيَقْدِرَ مَا مَنَعَتْهُ قَبْلَتْ مِنْهُ»^(٥).

التعاليم

١ - لا تكفي معرفة المفاهيم القرآنية، وتلاوة القرآن، وتعلمه بل لا بد من العمل، ﴿أَتْلُ... وَأَقْرِ﴾.

٢ - القرآن والصلاة على رأس البرنامج التربوي، ﴿أَتْلُ... وَأَقْرِ﴾.

٣ - علاقة النبي الأكرم ﷺ بالناس تتمثل بتلاوة آيات القرآن وبيان الأوامر الإلهية لهم، وعلاقته بالله ﷻ تتمثل بالعبادة والصلاة، ﴿أَتْلُ... وَأَقْرِ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٠.

(٢) سورة طه: الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢؛ انظر: تفسير نور الثقلين.

(٤) تفسير مجمع البيان.

(٥) تفسير مجمع البيان.

- ٤ - ينبغي في عملية الدعوة والإرشاد بيان الحكمة والنتائج المترتبة على الأحكام الدينية، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.
- ٥ - للصلاة عظمتها ومكانتها الخاصة عند الله ﷻ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ (لاحظ تكرار كلمة الصلاة).
- ٦ - الدور الإصلاحي للصلاة في أفراد المجتمع ليس أمراً ممكناً ومتوقفاً فحسب، بل هو أمر قطعي، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ (كلمة إن والجملة الاسمية تدلان على ذلك).
- ٧ - إذا لم تنه الصلاة الإنسان عن الفحشاء والمنكر فلا بد من الشك في صحتها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى﴾.
- ٨ - انتشار عمل الخير وفعل المعروف يحد بشكل طبيعي من انتشار المنكر، ﴿الصَّلَاةَ تَنْهَى﴾.
- ٩ - العلم الإلهي ضمانه التطبيق الصحيح لأوامره، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.
- ١٠ - في الصلاة أسرار، ورموز، وطبائع، وفنون مخبوءة، ﴿مَا تَصْنَعُونَ﴾.

الصلاة والنهي عن المنكر

سؤال: كيف يمكن للصلاة أن تنهى الفرد والمجتمع عن الفحشاء والمنكر؟

الجواب: ١ - إن الأساس في ارتكاب كافة المنكرات هو الغفلة وقد وصف الله ﷻ في الآية ١٧٩ من سورة الأنعام الإنسان الغافل بأنه أضل من الأنعام: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَفْطَرِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ولما كانت الصلاة من ذكر الله ﷻ فهي أفضل وسيلة للخروج من الغفلة، فهي بذلك تزيل أسباب المنكر.

٢ - إقامة الصلاة والتزبي بزي الله ﷻ يمنع الإنسان من زينة الشيطان. كالذي يرتدي ثياباً نظيفة فإنه يحذر الأماكن الوسخة.

٣ - ورد الأمر بالزكاة مع الأمر بالصلاة في الغالب، والزكاة تنهى عن منكر

البخل وعن عدم المبالاة أمام المحرومين، وهي تحرر المجتمع من الفقر الذي هو باب المنكرات.

٤ - للصلاة أحكام وآداب يؤدي احترامها إلى ردع الإنسان عن ارتكاب الكثير من المنكرات:

- تشترط حلية لباس المصلي ومكان الصلاة، يمنع الإنسان من التعدي على حقوق الآخرين.

- رعاية شروط طهارة ماء الوضوء، المكان، اللباس وبدن المصلي تردع الإنسان عن اللامبالاة إزاء الوقوع في النجاسات.

- شرط الإخلاص يقي الإنسان من الوقوع في منكر الشرك، الرياء والعجب.

- شرط القبلة يردع الإنسان عن الانشغال بالمنكر بلا هدف وعن قصد أي شيء كان.

- الركوع والسجود يقيان الإنسان من حالة التكبر.

- الاهتمام بالساتر في الصلاة يحفظ الإنسان من المنكر الذي لا حياء فيه.

- اشتراط عدالة إمام الجماعة سبب للابتعاد عن أهل الفسق والمعاصي.

- صلاة الجماعة تنجي الإنسان من العزلة والانعزال.

- أحكام صلاة الجماعة وشروطها تحيي في الإنسان مجموعة من القيم، مثل: أن يكون مع الناس، أن لا يتقدم على الإمام، أن لا يتخلف عن مواكبة المجتمع، أن يصمت أمام كلام الحق الصادر من إمام الجماعة، النظم والانضباط، احترام أهل التقوى، الابتعاد عن الفرقة، الابتعاد عن الميول المذمومة كالميول العرقية، المناطقية، السياسية، وعن الحضور في الساحات التي يكون ترك الحضور فيها من المنكر.

- تلاوة سورة الحمد في كل صلاة تقوي علاقة الإنسان بخالق العالم،

(رب العالمين) وتجعله يخضع له ويتعبد له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ويتوكل عليه ويستعين به: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ويذكر يوم الحساب: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ويتمنى أن يكون مع الأولياء والصالحين: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويتبرأ من أهل الفساد والضلال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، كما تمتن علاقة الإنسان بالمجتمع والمحيط: ﴿نَعْبُدُ... نَسْتَعِينُ﴾، والغفلة عن هذه الأمور هي من المنكر أو باب من أبواب المنكر.

الجزء ٢١

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُمَّا وَحْدٌ وَمَعْنٌ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦)

إشارات

□ «الجدال» يطلق على المحاوراة التي تدور بين شخصين ويكون القصد منها غلبة أحد المتحاورين الآخر.

الجدال الأحسن هو الحوار الذي يخلو من الطعن، والاستهزاء والإساءة، والإهانة، وهو الذي يقوم على أساس المحبة والاستدلال ويكون بدافع الإصلاح. والمستفاد من قوله ﴿وَقُولُوا﴾ أن لحن الآية هو لحن الجدال الأحسن.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحيائه إياه، فقال الله حاكياً عنه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُنحِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، فقال الله في الرد عليه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يُنحِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ﴾^(١).

التعاليم

- ١ - الجدل يجب أن يكون بالتّي هي أحسن حتى مع غير المسلم، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٢ - الجدل المقبول هو الذي يكون أحسن في المضمون والأسلوب واختيار الألفاظ، ﴿وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٣ - الإسلام يرضى بتبادل الرأي والحوار السليم مع مختلف الأديان والثقافات والأمم، ﴿وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٤ - لا بدّ من أن يعرف الإنسان من يخاطب وأن يخاطب كل طائفة من الناس بالنحو المناسب؛ لأن خطاب الظلمة بالمنطق، والحوار، وبالتّي هي أحسن لا يفيد، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.
- ٥ - ليس كل كافر ومنكر للإسلام ظالم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.
- ٦ - لا بد في الحوار وقبل بيان العقيدة والرأي من بيان نقاط الاتفاق، ﴿وَاللَّهُمَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾.
- ٧ - الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد معه من التسليم والطاعة، ﴿ءَامَنَّا... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ «الجحود» هو إنكار ما علمه الإنسان بقلبه أو قبول ما أنكره قلبه.

التعاليم

- ١ - يدعو القرآن أتباع الأديان كافة إلى الإسلام، ﴿فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

- ٢ - الهداية الإلهية حتمية ولازمة، وإن لم يتبع بعض الناس هدى الله ﷻ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ... وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾.
- ٣ - من يعرف القرآن ولا يؤمن به هو من الكفار، ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَتَائِفَنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.
- ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨)

التعاليم

- ١ - لا ينبغي للإنسان أن يصاب بالغرور بما يكتب وبما يقرأ، فالإرادة الإلهية قد تجعل من شخص أُمي إماماً لتغيير ثقافة البشر، ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾.
- ٢ - من أدلة حقية القرآن الكريم، كون نبي الإسلام أمياً، ﴿وَلَا تَخُطُّهُ...﴾.
- ٣ - الحذر لازم لمنع المنكرين الاستغلال السيء، ﴿إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ٤ - نزول القرآن على النبي الذي لا يعرف القراءة والكتابة هو من سبل إتمام حجة الله على الناس، ﴿إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ٥ - التخلي عن الحق، واتباع الشك، والترديد علامة على كون الإنسان مريضاً وعلى ما في داخله من ميول إلى الباطل، ﴿لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِي فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وَمَا يَجْعَلُ يَتَائِفَنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩)

إشارات

□ يظهر من المقارنة بين الآية ٤٧ التي تدل على أن الكفار فقط هم الذين يجحدون بآيات الله: ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَتَائِفَنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، وبين هذه الآية التي تدل على أن الظالمين فقط هم الجاحدون لآيات الله: ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَتَائِفَنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾، أن الكفر نوع من الظلم وكذلك العكس.

□ ورد في ما يقرب من عشرين رواية في كتب التفسير تدل كلها على أن المراد من الذين أوتوا العلم، هم الأئمة المعصومون ﷺ.

التعاليم

- ١ - بعض آيات القرآن الكريم متشابهة إلا أن مجموع الآيات واضح وبيّن، ﴿ءَايَاتُ يَنْتَظِرُ﴾.
- ٢ - علامة العلم الحقيقي التسليم بالآيات الإلهية الواضحة، ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٣ - الإنسان وإن كان مأموراً بالسعي وبذل الجهد للوصول إلى المطلوب، إلا أن العلم هبة إلهية، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٤ - مسكن آيات القرآن قلوب الذين أوتوا العلم، وهؤلاء هم الذين يدركون حقانيته بتمام وجودهم، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٥ - من النماذج البارزة للظلم، الظلم الفكري والإنكار والجحود بلا دليل، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.
- ٦ - إنكار الإنسان لما يعلمه نوع من الظلم، ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

إشارات

□ طالب المشركون النبي ﷺ ببعض المعاجز المادية (كعصا موسى، اليد البيضاء، وغير ذلك) وقد غفلوا عن أن المعجزة في كل عصر لا بد من أن تتناسب مع ذلك العصر، ولذا كانت معجزة النبي ﷺ من نوع الكلام. فطلب المعجزة مع وجود مثل القرآن غير مقبول.

التعاليم

- ١ - الطلب العنادي من الأفراد المعاندين لا نهاية له، (فعلى الرغم من أنهم يرون المعجزة أمامهم ولكنهم يطلبون معجزة أخرى)، ﴿لَوْلَا أُنزِلَ﴾.

- ٢ - يرفض النبي ﷺ الطلب الذي يكون عن عناد ويرد عليه، لأن المعجزة تابعة للحكمة الإلهية ولا تكون عبثاً ولهواً، ﴿قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ٣ - الترهيب والإنذار لأهل الغفلة أقوى تأثيراً في نفوسهم من الترغيب والتبشير، ﴿أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ ولم يقل إنما أنا بشير.
- ٤ - تحذير الأنبياء يتصف بالصراحة والشفافية، (لا يعتمد الكناية، والإبهام، والتعريض)، ﴿مُبينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥١)

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أن الكافرين كانوا يطلبون من النبي ﷺ معجزات كمعجزات الأنبياء السابقين؛ وهذه الآية ردٌّ عليهم.

التعاليم

- ١ - القرآن كتاب جامع وكامل، وفيه كفاية لكل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته المعنوية، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾.
- ٢ - رسول الله ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وكذلك كتابه القرآن، (وردت كلمة رحمة مع التنوين وفي هذا دلالة على عظمته ومكانته).
- ٣ - القرآن سبب للرحمة والمخرج من حالة الغفلة، ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾.
- ٤ - الإيمان شرط لتلقي الرحمة وتأثير التذكير الإلهي، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَئِنِّي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥٢)

إشارات

□ في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتهديد للمعاندين، بأن الله ﷻ مطلع على ما يجري بين النبي وبين الكفار، وأنه سوف يحاسبهم على كل شيء.

التعاليم

- ١ - إذا لم يكن في إقامة الدليل لأهل الكفر فائدة، فلا بد من الكف عن ذلك وإيكال الأمر إلى الله ﷻ، ﴿قُلْ كَفَىٰ﴾.
 - ٢ - يشهد الله ﷻ على صدق رسوله ﷺ بإنزاله القرآن، وما جاء في الكتب السماوية من البشارة به، ﴿شَهِيدًا﴾.
 - ٣ - الله ﷻ بكل شيء عليم، فما فائدة الإلحاح والإنكار؟! ﴿يَقُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾.
 - ٤ - ترك الإيمان، والحياة المعنوية، والارتباط القلبي بغير الله، واتباع الكفر والباطل، والانحراف خاتمته الخسران المبين، ﴿ءَامِنُوا بِالْبَاطِلِ... هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾.
 - ٥ - الكفار هم الخاسرون حقاً، ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾
- يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَئِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

□ ورد مكرراً في القرآن الكريم أن الكفار عندما كانوا يهددون بعذاب الله ﷻ، كانوا يستعجلون العذاب من باب الاستهزاء، وقد ورد ذمهم على ذلك في هذه المواضع.

□ في تأخير العذاب الإلهي بركات منها:

- أ - فتح باب التوبة.
- ب - ظهور أبناء مؤمنين من آباء كافرين.
- ج - اختبار الناس في دينهم وثباتهم.

التعاليم

- ١ - اللطف والعذاب الإلهي لا يكون إلا عن حكمة، وبحساب، وضمن مخطط مرسوم، واستعجاله لا تأثير له، ﴿يَسْتَعْجِلُوكَ﴾.
 - ٢ - يصل السقوط الفكري بالإنسان حداً يقبل فيه بالهلاك ونزول العذاب عن قبول الحق، ﴿رَسَّعِلُوكَ بِالْعَذَابِ﴾.
 - ٣ - أمور هذا العالم تجري بنظام محدد ومعين، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.
 - ٤ - العذاب المفاجئ من الله ﷻ هدفه إبقاء الإنسان في حذر، ﴿بَغْتَةً﴾.
 - ٥ - العذاب الإلهي لا يمكن توقعه، ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.
 - ٦ - استعجال الكفار لعذاب الله ﷻ وإن كان من باب الاستهزاء من قبلهم ولم يقع، ولكن عليهم أن يعلموا أن جهنم سوف تحيط بهم حتماً، ﴿لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.
- ﴿يَوْمَ يَفْشَلُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

التعاليم

- ١ - عذاب جهنم محيط بهم، ﴿فَوْقَهُمْ... تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.
- ٢ - عذاب جهنم تجسم لعمل الإنسان، ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٣ - الإنسان مسؤول عن مصيره الذي سيؤول إليه، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٤ - إحاطة عذاب جهنم بالكافرين بسبب إصرارهم على المعاصي، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

□ أوجب الإسلام الهجرة على طائفة من الناس؛ وهم الذين يعيشون في بلاد

الكفر والطاغوت، ويشملهم الظلم، وفي هجرتهم خلاص لهم ونجاة؛ ولكن يلقي الإنسان أمام هذا التكليف وسائس من الداخل والخارج، وسوف تتعرض الآيات التالية لما يدفع هذه الوسائس، والتي منها:

- خوف الموت، فالإنسان يخاف من الهجرة لأنه يخاف أن يدركه الموت هناك؛ والآية التالية تقول: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾.

- تعلق القلب بمكان السكن؛ فيصعب على الإنسان فراقه، وهذا ما يوسوس له بترك الهجرة وجوابه في الآية ٥٨: إذ يقول: ﴿لَتَبَيَّنَّ لَهُم مِّنَ الْجَنَّةِ عُرُفًا﴾.

- مصاعب الهجرة؛ فإنها قد تمنع الإنسان المؤمن من الهجرة، وفي الآية ٥٩ جواب ذلك بالتوصية بالصبر والتوكل على الله.

- تأمين المعاش، فمن يفكر بالهجرة يخطر بباله أن الهجرة قد تكون سبباً في حرمانه من الرزق، وفي الآية ٦٠ يأتي الجواب عن ذلك بأن الرزق بيد الله، وأن الله ﷻ يعطي الرزق حتى لمن لا يحمل رزقه، فكيف بالمهاجر في سبيل الله من أهل الجهاد.

□ الهجرة عامل مساعد للإخلاص، فمن لا يهاجر ويتعلق بقومه، وعشيرته، وبلده، وطائفته ونحو ذلك من الأمور سوف يقع عن شعور أو من غير شعور بما يجتمع مع هذه الأمور من حسد وتنافس، فيخرج بذلك عن الإخلاص، وأما الهجرة إلى مناطق أخرى فتوفر للإنسان البيئة المساعدة للإخلاص.

□ ورد عن الإمام الباقر ﷺ في تفسير هذه الآية: «لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتهم أن يفتنكم عن دينكم فإن أرضي واسعة»^(١).

التعاليم

١ - مصاعب الهجرة ومرارتها يتحملها الإنسان متى استحضر النداء الإلهي، فإن الله ﷻ يعتني بعباده، ﴿يَعْبَادِي﴾.

- ٢ - الأساس في اختيار مكان الإقامة هو التوفيق لعبادة الله، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾.
- ٣ - العبودية لله ﷻ يجب أن تكون أمراً مستمراً، ﴿يَعْبُدُونِ... فَأَعْبُدُونَ﴾، (يا عبادي عليكم بالعبادة حتى ترتقوا).
- ٤ - للهجرة قيمتها عندما تكون في ظل الإيمان، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾.
- ٥ - لا بد من أن تكون الهجرة لهدف ولغاية، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾.
- ٦ - الهجرة تكون لحفظ الدين والنجاة من الطاغوت، ﴿أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾.
- ٧ - الخروج من الأرض مقدمة للخروج من أي نوع من الارتباط ليتعلق القلب بالله ﷻ، ﴿وَسِعَةٌ فَإِنِّي﴾.
- ٨ - لا عذر لمن يرفض الهجرة بسبب تعلقه بالمكان الذي يقيم فيه، لأن الأرض واسعة وللإنسان سعة أداء تكاليف الدين فيها دائماً، ﴿أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧)

إشارات

□ لعل هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة، لتبين تكليف الإنسان إن أصابه الموت خلال هجرته.

وتجيب هذه الآية بأن الهجرة إذ كانت واجبة فلا يخاف الإنسان من الموت؛ لأن الموت مصير حتمي لكل إنسان، لكنه ليس هو النهاية، ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾؛ وثواب الله ﷻ على الهجرة والموت فيها مكفول، كما إن عقاب من ألجأكم إلى الهجرة من الطواغيت والظالمين سوف يصل إليهم، وإن امتد زمان ذلك، (كلمة ثم لإفادة طول المدة).

التعاليم

- ١ - الموت مكتوب على الجميع دون استثناء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

- ٢ - الموت أمر وجودي وليس عدماً، ﴿ذَٰلِكَ أَلْمَوتُ... تُرْجَعُونَ﴾.
 ٣ - الموت ليس هو نهاية هذا الإنسان بل هو عود إلى المبدأ، ﴿إِنَّا نُرْجِعُكُمْ﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾

إشارات

- لعل هذه الآية تشير إلى ما في الآية ٥٦ من أن الهجرة عمل صالح؛ أي إن من يهاجر من بيته لأجل ما يحمله من هدف مقدس فإن الله ﷻ سوف يكفل له مسكناً في الآخرة.
 □ كلمة «تبوأ»، بمعنى إعطاء المسكن الدائم، والغرفة هي المكان العالي الذي له أطراف مشرفة.
 □ «الصالحات» جمعٌ مُحلّى بالألف واللام، ويشمل كل عمل صالح من أي نوع كان.

التعاليم

- ١ - للعمل الصالح قيمته إذا كان معه الإيمان، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
 ٢ - الإيمان والعمل الصالح شرطان لدخول الجنة، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.
 ٣ - ضمن الله ﷻ للمؤمنين الجنة، ﴿لَنُبَوِّتَنَّهُمْ﴾، (وردت مع اللام والنون للتأكيد على حتمية ذلك).
 ٤ - غرف الجنة عالية جداً، ﴿غُرَفًا﴾، (التعظيم هو أحد معاني التنكير والتنوين).
 ٥ - أنهار الجنة في حال جريان دائم، ﴿تَجْرَى﴾، (وردت بصيغة المضارع، وهو يدل على الدوام والاستمرار).
 ٦ - العمل هو الأساس في الوصول إلى الجنة ونعيمها، ﴿نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٩) وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

إشارات

- كلمة «تحمل» مشتقة من «حمالة» بمعنى الكفالة والتعهد، ولعل المراد من حمل الرزق أن تخزن من الرزق وتدخره لمستقبلها.
- ورد في الآية ٥٦ الوصية بالهجرة، وفي هذه الآية بيان للمهاجر بأن لا يقلق على رزقه فإن الله ﷻ الذي يرزق من في الأرض سوف يكفل له رزقه.

التعاليم

- ١ - الصبر والتوكل على الله ﷻ نموذجان للعمل الصالح، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... الَّذِينَ صَبَرُوا وَيَتَوَكَّلُونَ﴾.
- ٢ - أساس التوكل الاعتقاد بربوبية الله ﷻ، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.
- ٣ - الضغوط المعنوية ومشاكل الحياة تقف عائقاً أمام المحسنين، ولا بد من مقاومتها بالصبر والتوكل، ﴿صَبَرُوا... يَتَوَكَّلُونَ﴾.
- ٤ - أساس النجاح والسعادة في أمور أربعة:
 - أ - الإيمان والدافع، ﴿آمَنُوا﴾.
 - ب - السعي والعمل، ﴿عَمِلُوا﴾.
 - ج - الاستمرار والاستقامة، ﴿صَبَرُوا﴾.
 - د - التوكل على الله ﷻ في مواجهة الوسواس والقلق، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.
- ٥ - التوكل على الله ﷻ لا بد من أن يقترن مع بذل الجهد التام والاستقامة النفسية. ﴿صَبَرُوا﴾، إخبار عن ماضيهم فإن هؤلاء قد بذلوا تمام جهدهم. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾، إخبار عن المستقبل، أي إنهم يتوكلون على الله في ما سيلحق بهم من أحداث مستقبلية لم تكن في حسابهم).

- ٦ - طريق تقوية الإيمان والتوكل على الله تكمن في ملاحظة الألفاظ الإلهية على سائر الموجودات، ﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ﴾.
- ٧ - الزرق ليس من نتائج ذكاء الإنسان، ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.
- ٨ - عطاء الرزق الإلهي سواء بالنسبة إلى العاجز عن اكتساب الرزق أو القادر على ذلك، ﴿يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.
- ٩ - العلم الإلهي ضمانه وفور الرزق للموجودات، ﴿السَّمِيعُ الْغَلِيظُ﴾.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١)

إشارات

- «الإفك» هو حرف الشيء عن حقيقته، أي تبديل الحقائق عن علم ومعرفة.
- المراد من تسخير الشمس والقمر، سيرها في مدارها بالنحو الذي يكون مفيداً ونافعاً^(١).

التعاليم

- ١ - من خلال توجيه السؤال عن مبدأ الوجود يستيقظ الوجدان ويعلم مدى إيمان الناس وما يعتقدون به، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم﴾.
- ٢ - لا بد من أن نستفيد في المباحث العقدية من النماذج الواضحة والحسية، (السماء، الأرض، الشمس والقمر)، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.
- ٣ - يعلم المشركون أن الموجد هو الله ﷻ؛ ولكنهم يرون لغيره التأثير في مصيرهم، ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.
- ٤ - الميل إلى الحق أمر فطري، والانحراف في المشركين على خلاف الفطرة،

وبسبب البيئة المحيطة. ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ وردت بصيغة المجهول وفيها دلالة على أنهم قد انحرفوا بسبب إلقاء شيء عليهم من خارج ذواتهم.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

إشارات

□ زيادة الرزق وقتله بيد الله ﷻ وهو العليم الحكيم، ويعتمد ذلك على معايير واضحة وخفية. وقد ورد في حديث: إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك^(١).

التعاليم

- ١ - زيادة الرزق أو قتله لا ترجع إلى الصدفة، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٢ - وظيفتنا السعي في الرزق أما الحصول عليه فييد الله ﷻ، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾.
- ٣ - الإرادة والمشيئة الإلهية تابعة للعلم الإلهي، ﴿لِمَن يَشَاءُ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

إشارات

□ لعل الحمد من نبي الإسلام ﷺ لإتمام الحجة على الكفار، أي بعد إقراركم بأن الله ﷻ هو الخالق، فالشكر لله ﷻ على إتمامه الحجة عليكم.

التعاليم

- ١ - اعتماد أسلوب السؤال وسيلة لتقريب الأفكار، والثقافات ومختلف

المعتقدات، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾.

٢ - لا ينبغي أن نترك المنحرفين عن الحق؛ بل لا بد من توجيه الدعوة إليهم بمختلف الأساليب، ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾.

٣ - الماء أساس الحياة في هذه الأرض، ﴿فَأَنبَا بِأَرْضَ﴾.

٤ - الأرض بلا نبات موات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

٥ - أسلوب الهداية في القرآن يعتمد على الظواهر الطبيعية والمحسوسة، (يبدأ الربيع بنزول المطر) ﴿فَأَنبَا بِأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

٦ - معرفة الله فطرية، وحجب الذنوب لا بد من أن تزال عن طريق الفطرة لكي يعترف المنحرفون بالحق، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ... لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾.

٧ - من النعم الإلهية الكبرى التي تستحق الشكر نور الإيمان والفطرة، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٨ - نور الفطرة سبب لنجاة الإنسان متى سعى الإنسان لتنميته بعقله، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

٩ - لا ينبغي عند الحكم والقضاء النظر إلى الأقلية والأكثرية، فكثيراً ما تكون الأكثرية مع الباطل والأقلية مع الحق، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

١٠ - أداء العمل بلا تفكير، مذموم، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلِئِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ

لَهُيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

□ اللهو يطلق على لعب الإنسان الذي يمنعه عن الاهتمام بالأهداف الرئيسة والقضايا الأساس؛ واللعب هو العمل الذي لا غاية منه ولا هدف.

□ ﴿هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾، لغة تحقير للدنيا، كما إن قوله: لهي الحيوان، لغة تعظيم للآخرة.

□ سؤال: كيف يصف القرآن الكريم الدنيا بأنها لعب ولهو، مع دعوته الناس إلى السعي في عمارة الأرض والسير فيها واستثمار الطبيعة، الزواج، الأكل والشرب وغير ذلك؟

الجواب: إن ما يسعى إليه الإنسان لأجل الوصول إلى الهدف المقدس، وباستخدام الوسائل المقدسة الخاضعة للقانون والتي تنقيد بالضوابط والشروط، يكون فيه مزرعة الآخرة، وما ورد ذمه في هذه الآية ووصفه بأنه لعب ولهو هو الموارد التي لا يكون المقصود منها الغاية المقدسة، والتي تصدر بما يخالف الشرع والدين والقوانين.

التعاليم

- ١ - خلق هذه الدنيا كان لحكمة ولغاية، ولكن الغفلة عن الآخرة، والتعلق بهذه الدنيا، والفرق فيها هو اللهو واللعب، ﴿لَهُوَ وَلَعِبٌ﴾.
- ٢ - لا يجوز السكوت دائماً أمام رغبات الناس، بل لا بد أحياناً من رفع الصوت عالياً لإيقاظ أصحاب القلوب الغافلة، ﴿لَهُوَ وَلَعِبٌ﴾.
- ٣ - الأسلوب التبليغي الناجح يعتمد على رفض المساوىء وتقديم البدائل الصالحة، ﴿وَلَا تَدَارُ الْآخِرَةَ﴾.
- ٤ - الحياة الحقيقية هي الحياة الآخورية، ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِىَ الْحَيَوانُ﴾.
- ٥ - يجهل الناس يد حقيقة الآخرة، ولولا ذلك لما تعلقوا بهذه الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

فَلَمَّا بَجَّحْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات

□ سؤال: يطرح الماديون في تحليلهم لمسألة الإيمان مسألة الخوف، ويقولون: إن أساس الدين هو الخوف. فالإنسان منذ يكون طفلاً يلجأ إلى أبيه عندما

يخاف، فإذا صار رجلاً لجأ عند خوفه إلى قدرة موهومة يطلق عليها الله. فهل هذه الآية التي تتحدث عن إحساس الناس بالله ﷻ عندما يشعر بخطر الغرق تؤيد نظرية هؤلاء؟

الجواب: إن هذه الآية تتحدث عن تعلق الإنسان بالله ﷻ في حالات الخطر؛ ولكنها لا تتحدث عن أن أصل وجود الله ﷻ هو وليد الخطر. فنحن عندما تمطر السماء علينا نحمل المظلة، ولكن هذا لا يعني أن الخوف وهمي والمواجهة وهمية أن المظلة لا وجود لها لولا الخوف من المطر. فوجود قدرة أبدية في الوجود أمر فطري وإن كان الإنسان لا يلتفت إليها إلا عند الإحساس بالخطر.

التعاليم

- ١ - الخوف يرفع عن الإنسان حجب الغفلة ويوقظ فطرته التي تدرك وجود الله، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا... دَعَوْا اللَّهَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن يكون الإيمان مرحلياً وموسمياً، ﴿فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ... يُشْرِكُونَ﴾.
- ٣ - المكان والزمان لا يجعلان القرآن من التاريخ، فإن ركوب الفلك استمر في حياة كل البشر على مر التاريخ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ...﴾.
- ٤ - الأهم من الإخلاص المحافظة عليه، ﴿مُخْلِصِينَ... إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.
- ٥ - الدعاء مع الإخلاص يكون مستجاباً، ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ... فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ﴾ (بعد الدعاء ورد حرف الفاء في قوله (فلما)، وهو دليل استجابة الدعاء).
- ٦ - النجاة من المصاعب والابتلاءات طريق للشكر لا للشرك، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلَيَمْنَعْنَهَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

إشارات

□ المراد من «يكفروا» هو كفران النعمة، إذ ورد إلى جانب ذلك قوله: ﴿ءَاتَيْنَاهُمْ﴾.

التعاليم

- ١ - الشرك نوع من عدم الشكر وكفران النعمة، ﴿لِيَكْفُرُوا﴾.
- ٢ - العطاء مفتوح في هذه الدنيا للناس، صالحين كانوا أم فاسدين، ﴿ءَايَاتِهِمْ﴾.
- ٣ - لا ينبغي للإنسان أن يُسَرَّ بالعطاء إذا اقترن مع الكفر؛ لأنَّ عاقبة أمره سوف تكون سيئة، ﴿لِيَكْفُرُوا... وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ...﴾.
- ٤ - لا بد في التربية من استخدام لغة التهديد، ﴿فَسَوْفَ يَلْعَنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا مَنَّا وَنَحْفَظُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ
أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (١٧)

التعاليم

- ١ - من طرق دعوة الناس إلى الله ﷻ تذكيرهم بالنعمة الإلهية عليهم، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٢ - تذكير الإنسان بحالات عدم الأمن في الأماكن المحيطة بيبين قيمة الأمن الذي يعيشه، ﴿وَنَحْفَظُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.
- ٣ - الأمن يوفر للإنسان بيئة للعبادة^(١)، ولكن جماعة من الناس لا يقدرون ذلك فيتجهون ناحية الكفر، ﴿حَرَمًا مَّا مَنَّا... أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (١٨)

التعاليم

- ١ - الإيمان بالوحي يجب أن يكون تاماً دون زيادة أو نقصان. فإضافة شيء في

(١) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ... أَلَّذِينَ... وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾؛ (سورة قريش: الآية ٣ - ٤).

الدين من الافتراء ومن أسوأ الظلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾.

٢ - أسوأ الظلم هو الظلم الفكري الذي يستهدف زعزعة تسليم الإنسان أمام الحق، ﴿وَمِمَّنِ افْتَرَى... أَوْ كَذَّبَ﴾.

٣ - العذاب الإلهي لا يكون إلا بعد إتمام الحجة، ﴿كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ...﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

التعاليم

١ - لا بد في سبيل الوصول إلى الهداية الإلهية الخاصة من السعي، بالنحو اللازم. والخطوة الأولى هي من قبل الإنسان، ﴿جَاهِدُوا... لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾، كما ورد في آية أخرى: ﴿إِنْ تَصْرُوا اللَّهَ يَصْرِكُمْ﴾^(١).

٢ - إن خطوة واحدة مع الإخلاص أو لحظة إخلاص قد تؤدي أحياناً إلى الهداية والنجاة الأبدية؛ فقد وردت كلمة «جاهدوا» بصيغة الماضي، بينما وردت كلمة «لنهديَنَّهُم» بصيغة المضارع الذي يدل على الاستمرار.

٣ - لا يجب في العمل الإداري والقيادي أن تكون أبعاد العمل الذي يؤدي واضحة من اليوم الأول، بل يكفي أن يخطو الإنسان في خط الله ﷻ، وتأتيه الهداية الغيبية في وسط الطريق، ﴿جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾.

٤ - الإخلاص هو الذي يجعل للجهد المبذول قيمة، ﴿فِينَا﴾.

٥ - لا حدود للطرق الموصلة إلى القرب الإلهي، ﴿سُبُلَنَا﴾.

٦ - لنطمئن بالوعد الإلهي، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ (اللام والنون للتأكيد).

٧ - علامة كون الإنسان من المحسنين أن يكون مجاهداً في طريق الحق عن إخلاص، ﴿جَاهِدُوا فِينَا... لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٨ - إذا كان الله ﷻ مع عبده الضعيف فذلك ضمانه وصوله إلى كل شيء حسن، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، كما نقرأ في دعاء الإمام الحسين ﷺ في يوم عرفة: «مَاذَا فَقَدْ مِنْ وَجَدَكَ، وَمَاذَا وَجَدَ مِنْ فَقْدِكَ؟»^(١).

٩ - كَشَفَ اللهُ ﷻ لَنَا طَرِيقَ الْقَرَبِ إِلَيْهِ وَأَخَذَ بِيَدِنَا لِيُوصِلَنَا إِلَى الْمَقْصَدِ، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ... لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) الذريعة إلى حافظ الشريعة (شرح أصول الكافي للجيلاني)، ج ٢، ص ٣١١.



سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

السورة: ٣٠ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٦٠



ملاحح سورة الروم

سورة الروم مكّية، وعدد آياتها ستون آية. والموضوع الأساس في هذه السورة هو قضية المبدأ والمعاد، وهو موضوع مشترك بين أكثر السور المكّية. تبدأ هذه السورة بتوقع انتصار الروم على الفرس؛ لذا كانت تسمية هذه السورة بسورة الروم.

القسم الأكبر من هذه السورة يتعرض للنعم الإلهية في السماء والأرض، ونظام الزوجية في النباتات والحيوانات، وخلق الإنسان من تراب، وعلاقة الرجل بالمرأة، والسعي في كسب الرزق، والمنام في الليل، ونزول المطر، والريح، وحياة الأرض بعد موتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَرَبِ﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَقْلُونَ ﴿٣﴾
 فِي يَضْعَ مَسِينٌ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ مِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
 يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

إشارات

□ كلمة «بضع» بمعنى «القطعة»، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «فاطمة بضعة مني»^(١).
 ويراد من كلمة «بضع» أحياناً القطعة من الزمان من ثلاث إلى تسع سنوات.
 □ سؤال: ما هي علاقة المسلمين بانتصار الروم على الفرس حتى جاء قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الجواب: بعث نبي الإسلام ﷺ كتاباً إلى ملك الفرس وآخر إلى ملك الروم يدعوهما إلى الإسلام. أما ملك الفرس (خسرو برويز) فقد مزق كتاب رسول الله ﷺ، وأما قيصر الروم فقد تعامل مع كتاب الرسول باحترام. وكانت رغبة المؤمنين أن ينتصر ملك الروم نظراً لاحترامه لكتاب الرسول. ولكنه انهزم وأحزن ذلك المسلمين. فأنزل الله ﷻ هذه الآيات بشارة منه للمسلمين بأن الهزيمة وإن لحقت بالروم الآن؛ ولكنهم سوف ينتصرون بعد ذلك، وبهذا كان فرح المؤمنين^(٢).

نعم لا ينبغي بالمجتمع الديني أن يغلخ على نفسه، بل لا بدّ من أن يظهر ردة فعله تجاه الأحداث الميطة به.

التعاليم

١ - من وجوه الإعجاز في القرآن الإخبار الصادق عن المستقبل وتحقق ذلك الإخبار، (فالروم انهزموا أمام الفرس، وأخبر القرآن أنه بعد سنين سيكون النصر حليف الروم وهو ما حدث فعلاً)، ﴿غَلَبَتِ... مَكَيْلُونَ﴾.

- ٢ - لا ينبغي أن نياس من الهزيمة، ﴿غَلَبَتْ... سَيَقْلِبُونَ﴾.
- ٣ - في النصر وفي الهزيمة لا ينبغي أن ننسى أن الأساس هو التوحيد، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.
- ٤ - النصر من عند الله، والعدة، والعتاد العسكري منه أيضاً، ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ﴾.
- ٥ - العزة والرحمة الإلهية هما سببا النصر، ﴿يَنْصُرُ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
- ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾

التعاليم

- ١ - ينبغي الاستفادة من صدق الوعد الإلهي في دعوة الناس إلى الإيمان، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.
- ٢ - سبب خلف الوعد إما العجز، وإما الجهل وإما الندم، والله ﷻ منزه عنها جميعاً، ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.
- ٣ - خلف الوعد قبيح، ولكن خلف الوعيد نوع من الرحمة، ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
- ٤ - يعيش أكثر الناس الشك في وفاء الله بوعده، ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
- ٥ - الأكثرية ليست معياراً، بل العلم والإيمان والالتزام هو المعيار، ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ ﴿٧﴾

التعاليم

- ١ - قصر النظر، سطحية التفكير، وعدم الاهتمام بما وراء الماديات نوع من الجهل، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ... يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا...﴾.
- ٢ - على الإنسان أن يكون متعمقاً ومتدبراً، لا يأخذ الأمور على ظواهرها ويغفل عن باطنها، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا... وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾.

- ٣ - الدنيا ليست قبيحة بل الغفلة عن الآخرة قبيحة، ﴿عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾.
- ٤ - المنتقد هو العلم بظواهر الدنيا المادية دون اهتمام بالآخرة، ﴿يَقْلَمُونَ ظَاهِرًا... عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾.
- ٥ - للدنيا ظاهر وباطن والآخرة باطن الدنيا، ﴿ظَاهِرًا... عَنِ الْآخِرَةِ﴾.
- ٦ - الاهتمام بظواهر الحياة الدنيا سبب للغفلة عن الآخرة، ﴿يَقْلَمُونَ ظَاهِرًا... وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾

التعاليم

- ١ - التفكير دواء الغفلة، ﴿هُم غَفِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾.
- ٢ - التفكير إنما يكون مثمرًا ومفيدًا ونافعًا متى ما كان بعيداً عن الهوى والمؤثرات السلبية وقام على أساس العقل والفطرة، ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾.
- ٣ - للخلق هدف وأمد...، ﴿خَلَقَ... بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
- ٤ - الدنيا مجرد مدة زمنية، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
- ٥ - ينتج عن التفكير السليم الإيمان بحقانية عالم الوجود وهدفية والإيمان بالآخرة، ونتيجة تعطيل التفكير الكفر وإنكار المعاد، ﴿يَتَفَكَّرُوا... لَكَافِرُونَ﴾.
- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَإِلَهِ إِلَّا
يُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في الرواية أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ ﴿ فَقَالَ: «معناه أو لم ينظروا في القرآن»^(١).

□ في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام حديث عن أهمية التعرف على تاريخ الأمم والاعتبار به قال: «أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم»^(٢).

التعاليم

- ١ - دراسة التاريخ، السير في الأرض والاستفادة من تجارب الآخرين، كل هذه تُعدُّ من وسائل المعرفة وتركها مذموم، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.
- ٢ - من الأسباب الموجبة للخلاص من الرؤية السطحية والظاهرية دراسة التاريخ وفلسفة التاريخ والاطلاع على مصير الأمم السابقة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا... أَوَّلًا يَسِيرُوا﴾.
- ٣ - المتغيرات التاريخية التي تقوم على قوانين ثابتة تشكل درس عبرة للإنسان، اليوم وغداً، ﴿فَيَنْظُرُوا﴾.
- ٤ - السير في الأرض لا بدَّ من أن يكون سبباً للتيقظ ومُبعداً عن الغفلة، ﴿فَيَنْظُرُوا﴾.
- ٥ - لا بد من النظر إلى مصير الأمم السابقة، لا إلى طريقة عيشهم وأسلوب حياتهم، ﴿كَيْفَ كَانَ عَنَقَبُهُ...﴾.
- ٦ - قامت قبل الإسلام حضارات وقوى كبرى؛ ولكنها أصيبت بالفناء، ﴿بَيْنَ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٧ - إذا نزل غضب الله بقوم فليس لأحد من سبيل إلى مقاومة ذلك، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.
- ٨ - النظر في العذاب الذي نزل على القوى الكبرى وأدى إلى زوالها سبب لزوال الغرور من النفس، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

٩ - السعادة وحسن الحظ لا يقتصران على امتلاك القوة وال عمران، بل لا بد من الإيمان واتباع الأنبياء، ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً... وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا... كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١٠ - الاغترار بالقوة والثروة من موانع الإيمان بالأنبياء، ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَحَآءَ تُمْ رَسُولُهُمْ بِالْيَقِينِ...﴾.

١١ - لا بد من استخدام الأساليب والأدلة الواضحة في العمل التبليغي والدعوي، ﴿وَحَآءَ تُمْ رَسُولُهُمْ بِالْيَقِينِ...﴾.

١٢ - الله ﷻ عادل ورحيم؛ والسبب في ما أصاب الأمم السالفة من عذاب وهلاك، هو فعلهم، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١٣ - التخلف عن طاعة الأنبياء ظلم للنفس وموجب للعذاب، ﴿وَأَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السَّوَاءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠)

التعاليم

١ - ليس للمكذبين ولا للمستهزئين من ثمرة في عملهم سوى سوء العذاب، ﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السَّوَاءَ... كَذَّبُوا... يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

٢ - إسقوط الإنسان مراحل: فيبدأ بالمعصية، ﴿اسْتَوُوا السَّوَاءَ﴾، ثم التكذيب، ﴿كَذَّبُوا﴾، ثم الاستهزاء، ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

إشارات

□ كلمة «يبلس» من «الإبلاس»، وهو بمعنى الغم والحزن الناشئين من شدة اليأس. ومفردة إبليس هي أيضاً من هذا الجذر.

التعاليم

- ١ - لا بدّ من الاستفادة من الأمور المحسوسة في البحث والاستدلال لتكون شاهداً على الأمور المعقولة، ﴿يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، فالخلق الأول دليل على القدرة على الخلق ثانية.
- ٢ - الرجوع إلى الله ﷻ والحضور في يوم القيامة إجباري وليس اختياريًا، ﴿إِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾.
- ٣ - لا ينبغي أن نعتزّ بسرور المذنبين اليوم فإن يوم غمّ ينتظرهم في غدهم، ﴿وَيَوْمَ... يَلِيْسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.
- ٤ - لا ينبغي أن يتعلق الإنسان بالشفعاء المتخيلين، ﴿وَلَمْ يَكُنْ... شُفَعَاءُ﴾.
- ٥ - في يوم القيامة العشق الكاذب سوف يتبدّل إلى كفر ونفور، ﴿وَكَاثُوا بِشُرَكَائِهِمْ كُفِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

إشارات

- «الروضة» تطلق على الحديقة التي تحوي ماءً وشجراً وفيراً.
- كلمة «يحبرون» من «الحبر» بمعنى حالة السرور التي تكون آثارها ظاهرة على الوجه.

التعاليم

- ١ - يفصل في يوم القيامة بين المطهرين وبين غيرهم: ﴿يُنْفَرُونَ﴾؛ (يوم القيامة من جهة هو: ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾^(١)، ومن جهة أخرى هو: ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾^(٢)).

(١) سورة الشورى: الآية ٧.

(٢) سورة الصافات: الآية ٢١.

٢ - يوم القيامة هو يوم انقطاع أي نوع من العلاقات والصدقات غير الإلهية، ﴿يَنْفَرُوتَ﴾.

٣ - الإيمان الذي يقترن بالعمل الصالح هو الذي يكون له قيمته، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٤ - الإيمان والدافع أهم من العمل نفسه، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٥ - شرط الاستقامة والدخول إلى الجنة الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

فَسُبِّحَنَّ اللَّهُ حِينَ تُسَبِّحُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

□ يعتقد بعض أن هذه الآيات تشير إلى الأوقات الخمسة للصلاة في الصباح والظهر والليل.

□ من الممكن أن تكون جملة «فسبحان الله» دالة على الأمر بالتسبيح، وكذلك جملة «له الحمد»، على الرغم من أن لسانهما لسان إخبار.

التعاليم

١ - ترغيب الناس في الخير وتحذيرهم من الشر ممكن من خلال بيان المصير الذي سوف يلقاه الأخيار، والمصير الذي سوف يلقاه الأشرار، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا... وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

٢ - تكذيب الآيات والمعاد يرجع إلى كفر الإنسان وعناده، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾.

٣ - مصير الإنسان مرتبط بعمله، ﴿كَفَرُوا وَكَذَّبُوا... فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ﴾.

- ٤ - في الأوقات الخمسة للصلاة الذات المقدسة الإلهية تقول أيضاً: سبحان الله، ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ...﴾.
- ٥ - بعض الأزمنة أنسب لذكر الله ﷻ من أوقات أخرى، ﴿حِينَ تُسُبِّحُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.
- ٦ - تنزيه الله ﷻ والطهارة من العيوب تتقدم على الثناء عليه والحمد له، ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ... لَهُ الْحَمْدُ﴾.
- ٧ - التسبيح والحمد في كل مكان (السماء والأرض) وفي كل زمان قيمة بحد ذاته، ﴿تُسَبِّحُونَ... تُصْبِحُونَ... السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١٩)

إشارات

□ ذكروا في كتب التفسير لخروج الحي من الميت والميت من الحي مصاديق عدة ونماذج كثيرة، من ذلك: إيجاد الإنسان من نطفة وإيجاد النطفة من الإنسان، الولد المؤمن من أبوين كافرين وبالعكس، وهذه جميعاً تدل على القدرة الإلهية المطلقة على العالم ومنها القيامة وحشر الموجودات.

التعاليم

- ١ - لا تشكوا في المعاد؛ لأن الله ﷻ هو الذي يحيي ويميت، (إزالة حالات الشك والتردد من خلال تقديم النماذج)، ﴿يُخْرِجُ الْأَرْضَ... كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠)

إشارات

□ تكرر في القرآن الكريم في أحد عشر مورداً تعبير ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، وسبعة موارد منها في هذه السورة.

□ تعرضت الآية السابقة لخروج الميت من الحي وكذلك العكس بشكل عام وفي هذه الآية بيان لنموذج ومصدق من ذلك.

التعاليم

- ١ - أفضل طريق لمعرفة الله ﷻ التفكير في خلقه، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ...﴾.
- ٢ - الآيات الدالة على وجود الله ﷻ لا تقبل العد؛ وما يُعدّ هو قليل من كثير، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ...﴾.
- ٣ - الإنسان هو أبرز خلق الله، (فالآيات التي تتحدث عن دلائل سعة القدرة الإلهية تبدأ بالإنسان)، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.
- ٤ - معرفة النفس مقدمة لمعرفة الله ﷻ، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.
- ٥ - منشأ وجود كل الناس من تراب، (فلا داعي للتفاخر)، ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾.
- ٦ - ليس في التراب من حس أو حركة، ولكن في الإنسان روح، وهذا دليل على قدرة الله وعظمته، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ... نَنْشُرُوكَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦١)

إشارات

□ ذكر الله ﷻ باب لسكينة الروح والقلب، ﴿يُنْزِلُ إِلَيْكُمْ أَنْزَارًا وَيُخْرِجُ الْفُلُوكَ﴾ (١)، والأزواج يسكن بعضهم إلى بعض، روحياً وجسدياً، ﴿أَزْوَاجًا لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (٢).

التعاليم

- ١ - للخلق غاية وهدف، ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾.

- ٢ - الرجل والمرأة من جنس واحد، (خلافاً لبعض المعتقدات المنحرفة التي ترى المرأة موجوداً أدنى من الرجل أو من جنس آخر)، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.
- ٣ - الزوجة يجب أن تكون سبباً للسكينة لا للتشنج والاضطراب، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.
- ٤ - ليس الهدف من الزواج هو إشباع الغريزة الجنسية فحسب، بل الوصول إلى الاستقرار الجسمي والنفسي، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.
- ٥ - يكمن دور الزوجة في بث السكينة، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.
- ٦ - المحبة هدية إلهية لا يصل إليها الإنسان بالمال والجاه وغير ذلك، ﴿جَعَلَ﴾ (المودة والرحمة هدية إلهية للزوجين).
- ٧ - كل من يقوم بما يؤدي إلى إيجاد خلل في روح المودة بين الزوجين، يخرج عن مدار طاعة الله إلى خط الشيطان، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ...﴾.
- ٨ - علاقة الرجل بالمرأة لا بدّ من أن تقوم على أساس المودة والرحمة، ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (المودة والرحمة سبب لبقاء الحياة المشتركة بينهما واستمرارها).
- ٩ - المودة والرحمة يشمران متى كانا معاً، (المودة بلا رحمة توجب البرودة، والرحمة بلا مودة لا دوام لها)، ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.
- ١٠ - أهل الفكر فقط هم الذين يمكنهم أن يجعلوا للزواج دوراً بناءً، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
 ﴿وَالْوَيْكُرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

التعاليم

- ١ - خَلْقُ السموات والأرض من آيات القدرة الإلهية غير المتناهية، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٢ - اختلاف اللغات والأعراق طريق من طرق معرفة الله، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... وَأَخْلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

٣ - لكل لغة جمالها وخصائصها، وتغييرها ليس لازماً ولا يعد كمالاً، (ليس لأحد الحق في النظر باحتقار إلى أي عرق أو أي لغة)، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... وَأَخْلَفَ السِّنَّيَكُمُ وَالْوَنَاءَ﴾.

٤ - لا ينسجم اتحاد البشر كافة في الشكل واللون مع بديع خلق الله ﷻ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... وَأَخْلَفَ السِّنَّيَكُمُ﴾.

٥ - يصل الإنسان العالم ذي الفهم من اختلاف الألوان والألسن إلى معرفة الله؛ ولكن الجاهل يرى في اختلاف الألوان والألسن وسيلة لاحتقار الناس والتفاخر عليهم، ﴿الْفَٰلِغِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَافُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوِّيرٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

التعاليم

١ - لا ينبغي أن ننظر إلى نعم الله على أنها بسيطة، فحتى النوم هو نعمة كبرى، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ﴾.

٢ - النوم مقدمة للعمل والسعي، ﴿مَنَامُكُمْ... وَآيَافُكُمْ﴾.

٣ - العمل والسعي لكسب المعاش أمر ممدوح، وهو من آيات الله، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... وَآيَافُكُمْ﴾.

٤ - أصل النوم في الليل، وأما النوم في النهار فهو للراحة المؤقتة، ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

٥ - الفضل الإلهي واسع؛ ولكن علينا السعي لكسبه، ﴿وَآيَافُكُمْ﴾.

٦ - النعم التي ينعم بها الله ﷻ علينا ليست من باب الاستحقاق؛ بل من باب اللطف والفضل الإلهي، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

إشارات

□ نلاحظ في هذه الآية وفي الآيات السابقة أربع مفردات هي: ﴿...يُنْفَكُّوْنَ، لِّلْعَالَمِينَ، يَسْمَعُونَ، يَعْقِلُونَ﴾.

ولكي تصبح هذه المفردات عملية بينت الآيات أربع مراحل طبيعية:

- ١ - الإنسان في البداية عليه أن يفكر: ﴿يُنْفَكُّوْنَ﴾.
- ٢ - ثم يفهم ويصبح عالماً: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٣ - ثم العالم يُنصتُ بدقة للكلام ويلتفت إلى مضامينه: ﴿يَسْمَعُونَ﴾.
- ٤ - بسبب تعمقه في السمع يصل إلى مرحلة التعقل: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

التعاليم

- ١ - الخوف إلى جانب الطمع يكون بناءً، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.
- ٢ - ما من صدفة بين البرق في السماء، والمطر، ونبات الأرض، بل كل ذلك يجري وفق مخطط دقيق ومحسوب، ﴿الْبَرْقَ... وَيُنْزِلُ... فَيُخْرِجُ﴾.
- ٣ - نظام الخلق مبني على أساس الأسباب والعلل الموضوعية ضمن خطة دقيقة، ﴿فَيُخْرِجُ بِهِ﴾.
- ٤ - الربيع والخريف، سقوط ورق الأشجار ونباتها من آيات القدرة الإلهية على الخلق، ﴿فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.
- ٥ - معرفة الله لا بد من أن تقوم على أساس العلم والفكر والتعقل، ﴿لَّآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(١٥)

إشارات

□ في هذه الآيات ورد أن خلق الإنسان من تراب آية من آيات القدرة الإلهية: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾، وكذلك الموت وخروج الإنسان من قبره، ﴿مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

□ وجه الله ﷻ خطاباً في هذه الآية وفي الآيات الخمس السابقة خمسة عشرة مرة للناس، وفي خطابه هذا تعداد للنعم الإلهية، وهذا من أساليب التبليغ والدعوة.

التعاليم

- ١ - قيام نظام الخلق ليس صدفة وليس بيد أحد، بل بالإرادة الإلهية، ﴿تَقُومَ... بِأَمْرِهِ﴾.
- ٢ - تحقق المعاد بإرادة الله ﷻ ودعوته للناس، ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾.
- ٣ - دعوة نبي الله تجعل الميت حياً، ﴿ثُمَّ أَدْعُهُمْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾^(١)، فكيف بالدعوة الإلهية، ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.
- ٤ - الإيمان بالمبدأ مقدمة للإيمان بالمعاد، فمن أقام نظام الوجود قادر على أن يميّنكم ثم يحييكم، ﴿تَقُومَ السَّمَاءُ... إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.
- ٥ - المعاد جسماني، ﴿مِّنَ الْأَرْضِ... تَخْرُجُونَ﴾.
- ٦ - المعاد، دفعي وليس تدريجياً، ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ فَلْيَنْتَوْنَ ۖ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٦)

إشارات

□ المراد من قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ﴾ إما الملائكة المطيعون لأمر الله أو موجودات غيرها ذات شعور، لم يطلع البشر عليها بعد.

التعاليم

- ١ - في الرؤية الكونية الإلهية كل عالم الوجود خاضع، ومسلم، وقانت لله ﷻ، ﴿كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾.
- ٢ - الوجدانية الإلهية في كل شيء:
 - في المالكية: ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
 - في العبادة: ﴿كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾.
 - في الخالقية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.
 - في الكمالات: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.
- ٣ - باب معرفة المعاد النظر في الخلق الأول، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.
- ٤ - كلموا الناس على قدر عقولهم، (مع أنه بالنسبة إلى الله لا وجود لأمر أصعب أو أهون من آخر ولكن ورد في الآية استخدام مفردة أهون).
- ٥ - صفات الله ﷻ أعلى من تصور الإنسان وبيانه وتدوينه، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.
- ٦ - لا تقس شيئاً أو أحداً بالله ﷻ، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.
- ٧ - مقتضى الحكمة والقدرة الإلهية وجود المعاد، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ... هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

التعاليم

- ١ - الاستفادة من الأمثال من أساليب التربية والتبليغ، ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾.
- ٢ - ما لا ترضاه لنفسك، لا ترضه للآخرين، ﴿هَلْ لَّكُمْ... مِّنْ شُرَكَاءَ﴾.
- ٣ - اجعل وجدانك قاضياً وانظر:

إذا كنت أنت الإنسان مشابهاً لمن تحت ملكك ولا تراه شريكاً لك، فكيف ترى من لا يشبه الله ﷻ شريكاً له؟

أنت الإنسان لا تتحمل الشريك للحظة، فكيف ترضى الله شريكاً دائماً؟

أنت الذي لا ترضى شريكاً لك في رزقك كيف ترضى شريكاً للخالق؟

أنت الذي تتمنع من أن يكون لك شريك مع كونه شبيهاً لك، كيف ترضى أن يكون لله شريك من خشب وحجر؟

أنت المالك غير الحقيقي لا ترضى بأن يكون لك شريكاً، كيف ترضى أن يكون الخشب والحجر شريكاً للخالق والمالك الحقيقي؟

٤ - وجود الشركاء مصدر قلق واضطراب، ﴿شُرَكَاءَ... تَخَافُونَهُمْ﴾

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي

مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٩)

التعاليم

١ - المشركون لا يعقلون وهم يظلمون أنفسهم، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

٢ - ليس للمشرك من برهان علمي على شركه، وأساس انحرافه يكمن في اتباعه هوى نفسه، ﴿اتَّبَعَ... أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٣ - الشرك ظلم للنفس، ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

٤ - ميل الإنسان متنوعة، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾.

٥ - الله ﷻ يضل من يتبع هواه بدل اتباع العلم والعقل، ﴿اتَّبَعَ... أَهْوَاءَهُمْ... أَضَلَّ اللَّهُ﴾.

٦ - صفات المشرك متعددة منها:

- الظلم: ﴿ظَلَمُوا﴾.

- انعدام المنطق: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

- الضلال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾.

- عدم الناصر: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

٧ - الظالمون المتبعون لهواهم سوف يأتي يوم يرون أنفسهم بلا ناصر، ﴿اتَّبَعُوا... أَهْوَاءَهُمْ... وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أن الكون كله خاضع لله ﷻ، ﴿كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ وبدء الخلق، ومنتهاه، والمثل الأعلى، والعزة، والحكمة له ﷻ، وأن الشرك ليس سوى خيال وظلم؛ لذا تأمر هذه الآية بالتوجه بإخلاص إلى الله ﷻ.

□ «الفطرة» في اللغة بمعنى «الخلقة»، والإيجاد من العدم وخلق الموجود. فالله ﷻ خلق في الإنسان ميلاً إلى الحق ونفوراً من الباطل. كعلاقة الأم بولدها فإنه ليس أمراً تعليمياً؛ بل هو فطري وغريزي.

□ ورد في الروايات أن جملة ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو إقامة الصلاة، واستقبال القبلة، والإسلام، والإخلاص، والتوحيد^(١).

التعاليم

١ - على أئمة الدين في الناس أن يجسدوا الحق في نفوسهم، ثم بعد ذلك يشرعون في إرشاد الناس، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾.

٢ - في الإنسان ميل ذاتي فطري إلى الدين والحق، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

٣ - خلافاً لما يتصوره بعض الناس من أن الإنسان كالإناء الخالي يُملأ بالعادات

والتقاليد والأفكار، حقاً كانت أم باطلاً، وأن الأنظمة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية هي التي تبني شخصيته، تحكي الآية عن أن الله ﷻ هو الذي أودع في الإنسان فطرة معرفة الحق والميل إليه، ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ...﴾.

٤ - معنى كون الدين فطرياً أن إقامة هذا الدين في غنى، بذلك، عن الجهد، ﴿أَفِر... فِطَرَتَ اللَّهِ﴾.

٥ - الانحراف عارض؛ لأن الميل إلى الدين الحق مزروع في فطرة الإنسان، ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

٦ - الدين الفطري ثابت ومحكم، ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا... ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

٧ - التكوين والتشريع متكاملان، ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا... ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

٨ - الحركة في خط الدين، حركة في مسيرة الفطرة الإنسانية، ﴿فَأَقَرَّ... فَطَرَتَ اللَّهُ﴾.

٩ - الأمور الفطرية لدى الإنسان تقوى وتضعف؛ ولكنها لا تمحى إطلاقاً، ﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾.

١٠ - الميل إلى طلب الحق الموجود في فطرة الإنسان لا يتبدل بتبدل الزمان والمكان، ﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾.

١١ - كل أنواع الميول والرغبات في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأعراق وغيرها، لا ثبات لها إذا لم تكن نابعة من الفطرة والطبيعة الإنسانية، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

١٢ - الإسلام فقط هو الدين الثابت، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

﴿مُيَبِّنَ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

□ «منيين» من «الإنابة» وهي بمعنى الرجوع المتكرر والمستمر.

□ ورد في الآية السابقة الخطاب للنبي ﷺ بقوله: ﴿فَاقْمْ وَّجْهَكَ﴾، وفي هذه الآية أمرٌ للناس كافة بالرجوع إلى الله ﷻ، ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ﴾.

التعاليم

- ١ - يجب أن يتجلى الميل الفطري إلى الدين بالمناجاة، والإنابة، والتقوى، والصلاة، ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ...﴾.
- ٢ - التقوى والصلاة من مقتضيات الفطرة، ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ... وَأَنْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ٣ - التوبة والإنابة لا بد من أن تقترن بالتخلي عن الذنب وأداء الواجبات، ﴿مُتَّبِعِينَ... وَأَنْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ٤ - في ظل التوبة، والتقوى، والصلاة يتمكن الإنسان من الابتعاد عن الشرك والفرقة، ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.
- ٥ - إذا لم تكن عبادة الفرد في منأى من التفرقة في الدين فإنها لا تنفع، ﴿لَا تَكُونُوا... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾.
- ٦ - تتجلى روح التقوى عند الإنسان في إقامة الصلاة، ﴿وَأَنْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ٧ - لا ينحصر الشرك في عبادة الشمس والقمر والأصنام؛ بل كل من يكون سبباً للتفرقة في دين الله ﷻ فهو مشرك، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.
- ٨ - يسعى المشركون للتفرقة بين الناس في دينهم، ﴿الْمُشْرِكِينَ... الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.
- ٩ - الاختلاف والتفرقة في الدين مانع من موانع تجلّي الفطرة، وروح التوبة، والتقوى، والصلاة، ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.
- ١٠ - التعصب والتعلق القلبي بما لدينا قد يؤدي أحياناً إلى الابتعاد عن اتباع الحق، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ

مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم

- ١ - الضرُّ منا والرحمة من الله ﷻ، ﴿مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ... مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾.

٢ - بعض الناس لا يلجأون إلى الله ﷻ بالدعاء إلا في حالات الشدة وعند المصيبة، مع أن المؤمن يجب أن يكون مع الله في كل حال، ﴿ضُرُّ دَعَا رَّبَّهُمْ مُنِيْبِينَ﴾.

٣ - آية كون الميل إلى الله ﷻ فطرياً في الإنسان هو لجوؤه إلى الله ﷻ في المصائب والشدائد؛ إذ تنزل حجب الغفلة، ﴿فَطَرَتْ أَلَلَهُ... وَإِذَا مَسَّ الْنَّاسَ ضُرُّ دَعَا رَبَّهُمْ﴾.

٤ - الإنسان مخلوق في غاية الضعف، فعند أدنى المصائب يلجأ إلى الصراخ والدعاء، ومتى نزلت عليه الرحمة صار من الغافلين، ﴿ضُرُّ دَعَا... رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٥ - الرفاهية سبب للغفلة، ﴿أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٦ - بعض الناس لا يشكرون، (فمتى نزلت بهم الرحمة يشركون بدل أن يشكروا)، ﴿أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٧ - دعاء المضطر مستجاب، ﴿ضُرُّ دَعَا... أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

٨ - حياة البشر مليئة بالأفراح والأتراح والمصاعب، ﴿ضُرُّ... رَحْمَةً﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٤)
 أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْكُم بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾

التعاليم

١ - الشرك خطوة في طريق الكفر وعدم الشكر، ﴿يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا﴾، في العودة إلى الشرك نوع من كفران النعمة.

٢ - من السنن الإلهية إمهال أهل المعاصي، ﴿فَمَتَّعُوا﴾.

٣ - قد يلزم في الإرشاد والتربية استخدام أسلوب التهديد والتوبيخ، ﴿فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٤ - إلى جانب أشد أنواع التهديد لا ينبغي أن ننسى لغة المنطق، ﴿فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.

- ٥ - العقيدة في الله ﷻ تكون حقاً وأمرأً مقبولاً متى كانت بتأييد من الله ﷻ، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.
- ٦ - ليس للشرك من دليل وليس المشرك بمنطقي، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.
- ٧ - الدليل والاستدلال لا بد من أن يكون واضحاً بيناً، ﴿سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾.
- ٨ - كل إنسان معرض للتوجه لغير الله ﷻ؛ ولكن الخطر في الاستمرار على ذلك، ﴿كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٣٦)

التعاليم

- ١ - يمتلك الإنسان شخصية انفعالية وخاضعة للتأثير، ﴿فَرِحُوا... يَقْنَطُونَ﴾.
- ٢ - الرحمة من الله والسيئة نتيجة مترتبة على عملنا، ﴿أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً... سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.
- ٣ - الإنسان البعيد عن الله ﷻ ضعيف ومحدود، فأقل نعمة تصله يصاب بسببها بالغرور، وإذا أصيب بأدنى المصائب انسدت الطرق أمامه^(١) ﴿رَحْمَةً فَرِحُوا... سَيِّئَةٌ... يَقْنَطُونَ﴾، وما يريده الله ﷻ من عباده أن لا يكفروا عند زوال النعمة وأن لا يبطرهم نزول النعمة، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢).
- ٤ - التمتع برحمة الله حتمي، وأما الابتلاء بالمصائب فليس حتمياً، ﴿إِنَّا... وَإِنْ﴾ (﴿إِذَا﴾ في اللغة تستعمل في حال كون الأمر محتوماً وهنا استعملت مع الرحمة، و﴿إِنْ﴾ تستعمل في حالات عدم الحتم والشك وهنا استعملت مع السيئة).

(١) التوئين في مفردات: «رحمة» و«سيئة»، تدل على القلة والضعف.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٣.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

إشارات

□ كلمة «يقدر» بمعنى المقدار وتأتي بمعنى التشدد؛ ولكنها إذ وردت هنا إلى جانب كلمة «يبسط» فالمراد منها الضيق والشدة.

التعاليم

- ١ - استذكار أن الرزق بيد الله يخرج بالإنسان من اليأس وانقطاع الأمل، ﴿يَقْنَطُونَ أَوْلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٢ - لا بد للإنسان من السعي لكسب المعاش، ولكن عليه أن يدرك أن تقدير المعيشة بيد الله ﷻ، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٣ - الحديث عن سعة الرزق يأتي دائماً في القرآن الكريم قبل الحديث عن ضيق الرزق، وهذا دليل على رحمة الله الواسعة، ﴿يَبْسُطُ... يَقْدِرُ﴾.
- ٤ - لا يظن الإنسان أن سعة رزقه بشطارة منه، ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾.
- ٥ - إذا كانت سعة الرزق وضيقه بيد الله ﷻ فلماذا كل هذا الحرص؟! ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٦ - أهل الإيمان هم فقط الذين يدركون أن الرزق بيد الله ﷻ، ويعتبرون بذلك، أما أهل الغفلة فينظرون إلى الأمور بشكل سطحي دائماً، ﴿لَا يَتَنَبَّهُونَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَتَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ

يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨)

إشارات

□ ورد في بعض الروايات أن هذه الآية لما نزلت دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فدكاً^(١).

□ الخطاب في هذه الآية وإن كان موجهاً إلى النبي ﷺ؛ ولكنه يشمل الناس كافة.

□ المراد من «وجه الله» النية الخالصة في الإنفاق، كما نقرأ في مورد إنفاق أهل البيت عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطِيعُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾^(١).

التعاليم

- ١ - الله ﷻ هو مالك المال، فهو الذي بيده تحديد مصرف المال، ﴿فَقَاتِ﴾.
- ٢ - الأقارب مقدمون على غيرهم في الإنفاق ومد يد العون، ﴿ذَا الْقُرْبَى... وَالْيَسِيرِينَ﴾.
- ٣ - للأقارب حق على الإنسان وكذلك للمال حق على الإنسان، ﴿حَقَّهُ﴾، نعم القرابة منشأ للحقوق والواجبات.
- ٤ - الأوامر الدينية تتناغم مع المشاعر الطبيعية. فالأمر بمد يد العون للفقير من القرابة حاجة عاطفية في الإنسان، ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...﴾.
- ٥ - للمحرومين حق في مال الأغنياء ولا تصح المنة عليهم في إعطائهم حقهم، ﴿حَقَّهُ﴾.
- ٦ - الإسلام يحمي المستضعفين، والحاكم الإسلامي ملزم برفع الفقر في المجتمع المسلم، (ولذا كان الخطاب للنبي ﷺ لأنه الحاكم الإسلامي) ﴿فَقَاتِ... وَالْيَسِيرِينَ﴾.
- ٧ - لا بد من معونة الأغنياء أيضاً الذين يمرون بضائقة مالية، ﴿وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾.
- ٨ - ما له القيمة هو أداء حقوق الآخرين لا جمع الأموال والشروات، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.
- ٩ - الشروة قد تكون وسيلة للتقرب إلى الله ﷻ، ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ... يُرِيدُونَ رَحَمَةً اللَّهِ﴾.

١٠ - الفرق بين الإنفاق في الإسلام والإنفاق لدى غيره في قصد القربة، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

١١ - الأمر بالإحسان لا بدّ من أن يقترن بالترغيب، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ... هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾.

١٢ - الفلاح لا يكون إلا في ظل العمل عن إخلاص، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩)

التعاليم

١ - لا عبرة بمقدار المال بل المهم الدافع والهدف الذي لأجله يبذل المال، ﴿مِنْ رَبِّا... مِنْ زَكَاةٍ﴾.

٢ - النمو الحاصل في المال عن طريق الربا أمر ظاهري وكاذب، وليس حقيقياً ولا هو عند الله، ﴿فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٣ - من خصوصيات الإسلام أنه مضافاً إلى سعيه في رفع الحرمان من المجتمع الإسلامي، فإنه يسعى لتنمية الروح المعنوية لدى المنفقين، ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

٤ - الاهتمام بمسألة الإخلاص أمر جدي ولا بد من استخدام لغة التأكيد فيه؛ لأن العمل والجهد إذا لم يكونا بدافع إلهي فلا قيمة لهما، ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾؛ (تكرر في هذه الآية وفي الآية السابقة ذكر وجه الله).

٥ - أداء الزكاة بإخلاص سبب لزيادة المال ونمائه، ﴿مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.

٦ - لا بدّ للإنسان عند مقارنة النفع بالضرر من النظر إلى الدنيا والآخرة، الفرد والمجتمع، الجسم والروح، (فأداء الزكاة وإن كان بنظرة مادية فيه ضرر وخسارة، ولكن بملاحظة ما يؤدي إليه من رفع حالات الفقر في المجتمع،

ومن عدم التعلق بالدنيا وكونه ذخراً للإنسان في الآخرة، فإن فيه خيراً كثيراً، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.

٧ - الإخلاص يرفع من مكانة الإنسان ويجعله في المرتبة الأفضل، (مع ملاحظة قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ بِغِيَاةِ اللَّهِ﴾، كان يمكن أن يقال: «وأنتم المضعفون»؛ ولكنه تعالى قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ فكانهم وصلوا إلى نقطة الأوج).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

□ عرضت هذه الآية لأربع صفات إلهية تكفي كل واحدة منها بمفردها لكي يتعبد الإنسان ويسلم، وذلك كالاتي: خلق الإنسان دليلٌ مستقل على لزوم عبوديته لله ﷻ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(١)، الرزق من الله ﷻ دليل على لزوم عبوديتنا له: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾^(٢)، الموت والحياة دليل على لزوم التسليم أمام الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

التعاليم

- ١ - الموت والحياة، الماضي والحاضر والمستقبل، والرزق كله بيد الله ﷻ، ﴿خَلَقَكُمْ... رَزَقَكُمْ... يُمِيتُكُمْ... يُحْيِيكُمْ﴾.
- ٢ - الأفعال الصادرة دليل على قدرة الله على الفعل في المستقبل، (الخلق، الرزق، الموت، جميعها تدل على قدرة الله ﷻ على إحياء الإنسان بعد موته)، ﴿خَلَقَكُمْ... رَزَقَكُمْ... يُمِيتُكُمْ... يُحْيِيكُمْ﴾.
- ٣ - أسلوب المقارنة بين الأشياء من أفضل أساليب التربية والتبليغ، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ... هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾.

- ٤ - أَيْقِظُوا ضَمِيرَ النَّاسِ بِطَرَحِ الْأَسْئَلَةِ عَلَيْهِمْ، ﴿هَذَ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ...﴾.
- ٥ - لَا اسْتِقْلَالَ ذَاتِي لَايِ قُدْرَةِ عَدَا الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَهِيَ تَعْجِزُ عَنْ خَلْقِ أَصْغَرِ الْمَوْجُودَاتِ فَضْلاً عَنْ الْقِيَامِ بِأَعْظَمِ الْأَعْمَالِ، ﴿مَنْ شِئْ...﴾.
- ٦ - لَا يَصِحُّ أَنْ نَتَوَهَّمُ أَيَّامَ مِنَ الْأَسْبَابِ، الْمَقْدَمَاتِ، وَالشُّرُوطِ فِي عَمَلِيَّةِ الْخَلْقِ شَرِيكاً لِلَّهِ ﷻ، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.
- ٧ - الشُّرْكُ اسْتِخْفَافٌ بِمَقَامِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا بَدَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الشُّرْكِ، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾.
- ٨ - الشُّرْكُ تَحْتَ أَيِّ عُنْوَانٍ وَبِأَيِّ شَكْلِ كَانَ، بَاطِلٌ وَمَدَانٌ، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١)

إشارات

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «حياة دواب البحر بالمطر، فاذا كفت المطر ظهر الفساد في البر والبحر، وذلك إذا كثرت الذنوب والمعاصي»^(١).
- ورد في الآية الثلاثين من سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُمْسِكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، فبعض المصائب التي يُبتلى بها الإنسان في هذه الدنيا هي من كسب يديه.

التعاليم

- ١ - الشُّرْكُ سَبَبٌ لِلْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ... ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾.
- ٢ - لِأَعْمَالِ الْإِنْسَانِ تَأْثِيرُهَا فِي الطَّبِيعَةِ. فَالْمَعَاصِي وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ يَمْنَعُ مِنْ تَأْثِيرِ

الماء والتراب وهو سبب لما يحدث في الأرض من ظواهر كارثية، ﴿ظَهَرَ
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

٣ - فساد البيئة بسبب فعل الإنسان، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ... بِمَا كَسَبَتْ﴾.

٤ - ليس كل العقاب يؤجل إلى الآخرة، بل بعض أنواع العقاب قد يتحقق في
هذه الدنيا، ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي...﴾.

٥ - لما كان الهدف هو الإنذار والإصلاح، فإن أدنى أنواع العقاب تكفي،
﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٦ - الهدف من إنزال بعض العقوبات على أهل المعاصي، تحقق التوبة والإنابة
منهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٤٢)

التعاليم

١ - يوصي الإسلام بالسياحة في الأرض إذا كانت لهدف وغاية، ﴿قُلْ سِيرُوا...﴾.

٢ - يجب حفظ بعض الآثار التي يكون فيها درس وعبرة للآتين، ﴿سِيرُوا...
فَانظُرُوا﴾.

٣ - التاريخ من مصادر المعرفة، فدراسة التاريخ وحوادثه يضيء للإنسان
المستقبل، ﴿فَانظُرُوا﴾.

٤ - السنن والقوانين الحاكمة في التاريخ ثابتة، (من خلال دراسة أسباب
الحوادث التي وقعت في الماضي يمكننا توقع الآتي)، ﴿فَانظُرُوا﴾.

٥ - المجتمع الذي تسود فيه أكثرية فاسدة، سوف يبتلى بالعذاب الإلهي، وإن
كان فيه قلة مؤمنة، ﴿أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾، (قد تجب الهجرة عن البلاد التي
يكثر فيها الفساد ويخشى فيها على الدين).

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ
لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾

إشارات

□ «يُصْدَعُونَ» من «الصدع» بمعنى الانكسار والتشتت. والمراد هنا اليوم الذي
ينفصل فيه المؤمن عن العاصي، ويذهب كلٌّ في اتجاه.

التعاليم

- ١ - الدين يجب أن يكون محكماً ومنطقياً وثابتاً، وكذلك المتدين يجب أن يكون
جدياً ومحباً، ﴿فَأَقْمْ... لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾.
- ٢ - اتباع الدين يجب أن يكون أساساً للعمل ومستولياً على كيان الإنسان، لا
على الهامش وعن كره، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾.
- ٣ - دين الإسلام يفي بالقيام بكافة مصالح الفرد والمجتمع، ﴿لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾.
- ٤ - لا بد من اغتنام الفرص، ﴿فَأَقْمْ... قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ﴾.
- ٥ - إذا وضع الإنسان عذاب الآخرة نصب عينيه كان إيمانه جدياً، ﴿فَأَقْمْ... قَبْلَ
أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ...﴾.
- ٦ - الاتباع التام للدين سبب للنجاة في يوم القيامة، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ... قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ...﴾.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِجَزَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أنه سوف يفصل الناس في يوم القيامة إلى مجموعات
منفصلة، وهذه الآية تبين لنا أن أهل الإيمان سوف يصلهم ثوابهم وأهل
المعاصي سوف ينزل بهم عقابهم.

□ «يمهدون» من «المهد» وهو المكان المعد للاستراحة، وهنا بمعنى التهيؤ
والاستعداد.

التعاليم

- ١ - للإنسان حرية اختيار الإيمان أو الكفر، ﴿مَنْ كَفَرَ... وَمَنْ عَمِلَ﴾.
- ٢ - الجمع بين الترغيب والترهيب أمر مطلوب ومجدي في الدعوة إلى الله، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُمْ... فَلَا أَنْفُسَهُمْ﴾.
- ٣ - لا تأثير لكفر الناس أو إيمانهم على الله ﷻ، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُمْ... فَلَا أَنْفُسَهُمْ يَمْهَدُونَ﴾.
- ٤ - لا يفرئكم الإيمان والعمل الصالح؛ لأن كل نعمة هي من فضل الله ﷻ، ﴿لِيَجْزِيَ... مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٥ - الكفر وحده سبب للشقاء، وإن لم يعمل الإنسان سوءاً، ولكن الإيمان وحده لا يكفي بل لا بد من العمل الصالح معه، ﴿مَنْ كَفَرَ... ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٦ - الفضل الإلهي في يوم القيامة يشمل أهل الإيمان والعمل الصالح دون غيرهم، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٧ - لا يكفي الإيمان وحده لدخول الجنة، بل لا بد من العمل الصالح معه، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْآفَاقُ بِأَمْرِهِ وَلِتُبْنِغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦)

إشارات

□ تستخدم كلمة «ريح» في الهواء المضرب والقوي. وأما كلمة «رياح» فتستخدم في الهواء المفيد. وورد عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعله ريحاً»^(١).

□ من فوائد الرياح: نقل الغيوم، جمعها وتكثيفها، تعديل الحرارة والبرودة في المناخ، تنقية الهواء واستبدال الهواء الفاسد بالهواء السليم، توفير الأوكسجين للإنسان وثنائي أوكسيد الكربون للنبات، تلقيح النبات، حركة السفن، توليد الكهرباء، نثر البذور في الأنحاء وإلى غير ذلك.

التعاليم

- ١ - ما من شيء يجري في هذا الكون صدفة، حتى حركة الرياح تخضع لإرادة الله ﷻ، ﴿...يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾.
- ٢ - ما ننتفع به من حركة الرياح، هو جزء من آيات الله ﷻ ومن رحمته، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.
- ٣ - حركة السفن في الماء بيد الله ﷻ، فلا إنكار لوجود الله، ﴿وَلَيَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِ﴾، فالله ﷻ هو الذي وضع قوانين الطبيعة بالنحو الذي تتوافر فيه عوامل حركة السفينة على الماء.
- ٤ - مما يوصي به القرآن الكريم، السعي في كسب الرزق الحلال، ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٥ - الرياح نعمة تستحق الشكر منا أيضاً، وإن كنا لا نلتفت إلى ذلك، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ جَرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إشارات

□ تعرضت هذه الآية لأربعة من السنن الإلهية:

- أ - سنة بعثة الأنبياء.
- ب - سنة معجزات الأنبياء.

ج - عقاب المجرمين.

د - نصره المؤمنين.

□ مسألة نصره المؤمنين تكرر التعرض لها في القرآن الكريم من ذلك:

أ - ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١).

ب - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢).

ج - ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣).

د - ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

□ النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وقد تكررت كلمة «من قبلك» في القرآن ولم ترد كلمة «من بعدك» أبداً.

التعاليم

١ - الاطلاع على التاريخ يولد الطمأنينة في النفوس، ﴿وَمِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا... فَأَنْتَقِمْنَا... نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ - الشقيف والإرشاد أولاً ثم عقاب المجرمين، ﴿لَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقِمْنَا﴾.

٣ - من يكفر بالأنبياء هم المجرمون والمدانون، ﴿فَأَنْتَقِمْنَا... أَجْرُومًا﴾.

٤ - الانتقام من المجرمين مصداق من مصاديق نصره المؤمنين، ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا... نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ - نصر المؤمنين وعد إلهي حتمي، (فهم وإن نالوا الشهادة ولكنهم سوف يصلون إلى هدفهم)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾.

٦ - لا يتوقف النصر الإلهي على السؤال، فقد ينصر الله المؤمنين ولو لم يسألوه ذلك؛ لأنه كتب على نفسه نصرتهم، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾.

(١) سورة محمّد: الآية ٧.

(٣) سورة غافر: الآية ٥١.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٨)

إشارات

□ «كسف» جمع «كسفة» وهي القطعة، والمراد منها هنا القطعة من الغيم.

□ «الودق» هو الذرات الصغيرة، والمراد منها هنا قطرات الماء.

التعاليم

١ - المتغيرات الطبيعية، آية القدرة الإلهية، والحكمة، والتدبير، ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ...﴾.

٢ - الإرادة الإلهية تتحقق عن طريق الأسباب الطبيعية، ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾.

٣ - لتكوين الغيوم لا بد من الرياح المتعددة من الحارة والباردة، (الرياح وردت بصيغة الجمع).

٤ - من فوائد الرياح توفير أسباب نزول المطر، ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ... فَتَرَى الْوَدَقَ﴾.

٥ - حركة الغيوم ونزول المطر أمران خاضعان للإرادة الإلهية، ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

﴿وَلِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ (٤٩) ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ

كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجَائِ الْمَوْقُوتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠)

التعاليم

١ - المصاعب والابتلاءات تضاعف من الإحساس بلذة النعم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ... وَلِنْ كَانُوا... لَمُبْلِسِينَ﴾.

٢ - المطر رحمة من الله ﷻ، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

٣ - نزول المطر والحياة المتجددة للأرض، أدلة على قيام القيامة، ﴿يُخْرِجُ الْأَرْضَ... لَمُخْرِجِ الْمَوْقُوتِ﴾ فمشهد الموت والحياة يتكرر أمام عين الإنسان في كل لحظة،

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُنِّىَ الْمَوْتِ﴾، والقبضة نموذج من الحمل (مثل يضرب لدلالة القليل على الكثير)، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُنِّىَ الْمَوْتِ﴾.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١)
 ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢)

التعاليم

- ١ - الريح المهلكة ليست أمراً عبثاً ولا تتحقق صدفة، ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾.
- ٢ - الريح المدمرة محدودة قياساً إلى الرياح المثمرة والمفيدة، ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ (أما في مورد الرياح المفيدة فقد استخدم الجمع).
- ٣ - قد يخرج الإنسان عن مدار التوحيد بحادثة مريبة واحدة تصيبه، ويدخل بذلك في مدار الكفر والشرك، ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (فقد تؤدي ريح مدمرة إلى انتقالهم من حالة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ إلى حالة: ﴿يَكْفُرُونَ﴾).
- ٤ - لا يكفي للدعوة والإرشاد كمال المرشد والداعية ولا أسلوب الإرشاد والدعوة؛ بل لا بد من توافر القابلية لدى المدعو، ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾.
- ٥ - الأصم قد يفهم المراد من خلال النظر إلى حركة الشفتين، ولكن المشكلة أن الإنسان لا يسمع ويُعرض عما يُدعى إليه، وبهذا لا يفهم حتى الإشارة. وهذا مثلٌ يُطلق على من يُعرض عن الحق، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.
- ٦ - الإعراض عن الحق يصبح خطراً متى ما كان هذا الإعراض عن التفات، وعن عناد، وكان سيرة مستمرة لدى الفرد، ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٣)

التعاليم

- ١ - وظيفة الأنبياء إرشاد الناس إلى الحق لا إلزامهم باتباع الهدى، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ﴾.

- ٢ - استجابة الناس محدودة، ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ﴾.
- ٣ - اتّصاف الروح بالتسليم أمام الحق سبب لنيل المعنويات، ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا... مُسْلِمُونَ﴾.
- ٤ - لا يكفي الإيمان وحده، بل التسليم لازم أيضاً، ﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً
ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤)

التعاليم

- ١ - الإنسان ضعيف منذ أن خلق، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾.
- ٢ - ملاحظة بدء الخلقة سبب للتذكر والشكر، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ...﴾.
- ٣ - لا تؤنب أحداً على ضعفه أو كبر سنه، فإن هذا من تدبير الله الحكيم، ﴿اللَّهُ... جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾.
- ٤ - مراحل الضعف والقوة في الإنسان خاضعة لتدبير الله ﷻ الحكيم، (يُستفاد هذا المعنى من تكرار كلمة جعل).
- ٥ - بداية الإنسان ونهايته من ضعف، فلا بد من أن يقدر أيام قوته وشبابه، (قوة بين ضعفين) ﴿ضَعْفٍ... قُوَّةٍ... ضَعْفًا﴾، فالضعف في الصغر يتحول إلى قوة ولكن الضعف الثاني يبقى، لأن كلمة شيبة وردت إلى جانب كلمة ضعف وهذا يدل على أن الضعف مقارن للكهولة وأنه أمر ثابت).
- ٦ - لا ينبغي لذي القوة بين ضعفين أن يصاب بالغرور، ﴿ضَعْفٍ... قُوَّةٍ... ضَعْفًا﴾.
- ٧ - إذا كنا من أهل الرأي والنظر فإن علينا أن ندرس كتاب عالم الوجود، (الريح، والمطر، وحياة الأرض، ومراحل الطفولة والشباب والهرم)، ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.
- ٨ - ضعف المخلوق لا يدل على ضعف الخالق، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾

إشارات

□ تطلق مفردة «ساعة» على الجزء من الزمان، ومتى أطلقت هذه المفردة على يوم القيامة فذلك إما لسرعة حدوثها أو لسرعة حساب الأعمال^(١).

التعاليم

- ١ - من اعتاد على الحلف كذباً في هذه الدنيا، سوف يسعى لذلك في يوم القيامة، ﴿يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ﴾.
- ٢ - يعتذر المجرمون يوم القيامة بأن فرصة الإيمان لم تكن متاحة لهم في الدنيا، ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.
- ٣ - الانحراف الفكري والسلوكي من المجرمين أمر دائم ومستمر، ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.
- ٤ - الكذب سبب للعديد من الانحرافات، ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، أي بهذا النوع من الكذب كانوا ينحرفون عن الحق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ
إِلَّا يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

إشارات

□ هذه الآية جواب أهل الإيمان لأهل المعاصي على مقولتهم التي تعرضت لها الآية السابقة. فهؤلاء تحدثوا عن قصر العمر في الدنيا أو قصر مدة البرزخ، ولكن جواب أهل الإيمان أنكم قد عشتُم في ما جعله الله لكم من العمر في هذه الدنيا وفي البرزخ ولا فائدة مما تعتذرون به عن كفركم.

□ سبب تقدم العلم على الإيمان يرجع بحسب الظاهر إلى أن العلم أساس الإيمان.

التعاليم

- ١ - يتحاور المؤمنون والمجرمون يوم القيامة، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ...﴾.
- ٢ - تظهر آثار العلم والإيمان الإيجابية حتى في يوم القيامة، ﴿أَوْتُوا أَلِمَّ وَالْإِيمَنَ﴾ (فالعالم المؤمن يدفع الشبهات حتى في يوم القيامة).
- ٣ - العلم والإيمان هبتان إلهيتان تُعطيان للناس، ﴿أَوْتُوا أَلِمَّ وَالْإِيمَنَ﴾.
- ٤ - لا بد من أن ندرك أن العلم والإيمان توفيق من الله ﷻ وأن لا نغتر بذلك، ﴿أَوْتُوا أَلِمَّ وَالْإِيمَنَ﴾.
- ٥ - مدة الحياة الدنيا مع البرزخ محددة ومقدرة مسبقاً، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

إشارات

- «يستعتبون» من «العتبة» وهي بمعنى الانزعاج وكلما وردت بصيغة الاستعتاب فالمراد منها التوبة وزوال سوء العذاب.
- وإن لم يؤذن للذين كفروا بأن يعتذروا في يوم القيامة: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(١)؛ ولكن لو فرض أنهم اعتذروا فذلك لن ينفعهم ذلك، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

التعاليم

- ١ - مصير الإنسان والصورة التي يحضر عليها في يوم القيامة تابعة لعمله، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾.

- ٢ - الظلم سبب للحرمان من اللطف الإلهي، ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾.
- ٣ - التوبة والاعتذار لا ينفعان إلا في هذه الدنيا، ولا ينفعان في الآخرة، ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ
بِآيَةٍ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ (٥٨)

التعاليم

- ١ - القرآن الكريم خطاب للناس كافة، ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾.
- ٢ - القرآن كتاب هداية وإرشاد، والمثل أفضل وسيلة لإفهام الحقائق، ولذا ذكر الله ﷻ فيه أمثالا في مختلف المجالات، ﴿صَرَبْنَا... مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٣ - مضامين القرآن الكريم سبب لإتمام الحجة ومن يدرك الحق فالحجة تتضح له، ولا يُقبل منه عذر بعد ذلك، ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ... وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾.
- ٤ - الكافر المعاند لا يقبل أي دليل أو آية، ﴿بِآيَةٍ﴾.
- ٥ - لا بد من أن يتوقع الإنسان ردة فعل الكافر وأن يستشرف أهدافه، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾.
- ٦ - عناد الكفار لا بد من أن يكون درساً وعبرة لنا وأن نكون أكثر ثباتاً في طريق الحق، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.
- ٧ - الإنسان عندما يكون في مدار الكفر والعناد يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.
- ٨ - حيث لا يملك الكفار الدليل يلجأون إلى الاستهزاء بالحق، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.
- ٩ - الكفار لا يخضعون للحق، بل يصفونه بأنه باطل، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.
- ١٠ - لا يكفي الكفار بوصف نبي الإسلام بأنه مبطل، بل يصفون الأنبياء كافة أو المؤمنين معه بأنهم جميعاً على الباطل. (فعلى الرغم من أن نبي الإسلام ﷺ

هو الذي جاءهم بالمعجزة؛ ولكنهم يصفون الجميع وبخطاب «أنتم»، بما يشمل الأنبياء والمؤمنين، بأنهم مبطلون).

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩)

إشارات

□ المراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ من لا يريد أن يعلم، كما ورد في الآية السابقة أن النبي كلما جاءهم بآية أو بمعجزة نسبوها إلى الباطل كفرأ وعناداً. نعم من يميل من الناس إلى الجهل يكون مستحقاً لعذاب الله لا من يكون جهله ناتجاً عن قصور وعجز.

التعاليم

- ١ - عقوبة العناد خسارة الهداية، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا مُبْطِلُونَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ﴾.
- ٢ - من السنن الإلهية، الطبع على قلوب من لا يستحق، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ...﴾.
- ٣ - الانسان هو سبب الطبع على قلبه، وهو الذي يودي بنفسه إلى ذلك، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠)

إشارات

□ بداية سورة الروم كانت إخباراً عن النصر المستقبلي، وختامها وعد بالنصر لأهل الحق.

التعاليم

- ١ - لا بد من أن يتحلى قادة الدين بصفة الصبر، ﴿فَأَصْبِرْ﴾.
- ٢ - الإيمان بالوعد الإلهي سبب للصبر، ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾.

- ٣ - لا ينبغي لما يقوم به غير المؤمنين أن يكون له تأثيره على عزم المؤمنين، ﴿وَلَا يَسْتَخَفَّنَكَ...﴾.
- ٤ - لولا اللطف، والإنذار، والتعليم الإلهي لكان الأنبياء معرضون للتأثر أيضاً، ﴿وَلَا يَسْتَخَفَّنَكَ...﴾.
- ٥ - من الأهداف التي يسعى إليها أعداء الدين الاستخفاف بقيادة الدين، ﴿وَلَا يَسْتَخَفَّنَكَ...﴾.
- ٦ - من يسعى للاستهانة بقيادة الدين لن يجد اليقين بطريق الحق، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٧ - من لا يصبر يصاب بالاستخفاف، ﴿فَأَصِيرَ... وَلَا يَسْتَخَفَّنَكَ...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْقَمَانِ

السورة: ٣١ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٣٤

ملاحح سورة لقمان

سورة لقمان مكية، وسميت بهذا الاسم للحديث عن لقمان فيها. ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم سوى مرتين إحداهما في هذه السورة. وهي السورة السادسة من السور السبع التي يطلق عليه (اللامات) والتي تبدأ بالحروف المقطعة: ﴿الْقُرْآنُ﴾.

مضمون السورة يتلخص في النقاط الآتية:

- ١ - بيان عظمة القرآن الكريم وأهميته في هداية البشرية.
- ٢ - تقسيم الناس إلى المحسن والمستكبر وبيان مصيرهما.
- ٣ - بيان بعض المعاجز العلمية في القرآن كقانون الجاذبية والزوجية في النباتات.
- ٤ - نصائح لقمان الحكيم لابنه ومواعظه.
- ٥ - أدلة الإيمان بالمبدأ والمعاد.
- ٦ - بيان العلوم التي خص الله ﷻ بها نفسه: أجل الموت وقيام الساعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْع ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
 الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

إشارات

□ من بين تسع وعشرين سورة في القرآن الكريم تبدأ بالحروف المقطعة ورد في أربع وعشرين منها بعد هذه الحروف ذكر عظمة القرآن. ولعل ذلك لأجل أن يبين للناس أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي بين أيديكم، ولكن أياً منكم لا يتمكن من الإتيان بمثله.

□ كل مؤلف يرى أن كتابه لا يخلو من نقص؛ لذا يعتذر في بداية كتبه من النقص ويرحب بكل نقد أو اقتراح؛ ولكن الله ﷻ يصف كتابه بأنه حكيم، فتمام آياته محكمة وتقوم على أساس الحكمة، فهو كتاب لا مجال فيه للنقص والعيب.

□ تجمع الصلاة كافة الكمالات المعنوية مثل: الطهارة، تلاوة القرآن، الإقرار بالتوحيد والنبوة والولاية، الذكر والدعاء، السلام، القيام، الركوع، السجود، والتوجه للحق. والزكاة تجبر كل نقص مادي، ومعناها في القرآن الكريم أوسع من المعنى المستخدم في الفقه؛ لأنها تشمل مضافاً إلى الزكاة التي يصطلح عليها الفقهاء، كل صدقة.

□ يصف الله ﷻ في موضع القرآن بأنه سبب هداية المتقين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وفي موضع آخر يصفه بأنه: ﴿وَهُدًى وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وفي هذه السورة يصف القرآن بأنه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، فالقرآن الكريم يشمل المراحل الثلاث من التكامل الإنساني، فهو سبب للهداية، والبُشرى، والرحمة^(٣).

(٣) تفسير نمونه.

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سورة النمل: الآية ٢.

التعاليم

- ١ - الإرشاد والهداية لا بدّ من أن يقوما على أساس الحكمة، ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى﴾.
- ٢ - القرآن عين الهداية والرحمة ولا وجود لأي نقص أو قصور فيه من هذه الجهة، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، (المفردتان: «هدى» و«رحمة»، وردتا بصيغة المصدر وذلك للمبالغة).
- ٣ - الإرشاد والهدى لا بدّ من أن يقتربا بالرحمة والمحبة، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾.
- ٤ - يتحلّى المحسنون بخصال حسنة عدّة منها، استعدادهم لقبول الحق، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٥ - الصلاة والزكاة توأمان لا ينفصلان، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.
- ٦ - إقامة الصلاة وأداء الزكاة لا بدّ من أن يكونا سيرة دائمة، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، (ويُستفاد هذا المعنى من صيغة المضارع الدالة على الاستمرار).
- ٧ - بما أن الإسلام دين جامع، فالتكاليف التي يحويها هي أيضاً جامعة وذات أبعاد عدة، (التكليف البدني: الصلاة، التكليف المالي: الزكاة، والقلبي: اليقين)، ﴿الصَّلَاةَ، الزَّكَاةَ، يُؤْتُونَ﴾.
- ٨ - الارتباط بالله ﷻ (إقامة الصلاة) والارتباط بالناس (أداء الزكاة) فعلان ممدوحان متى اقترنا بالإيمان بالمعاد، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.
- ٩ - المحسن هو الذي يهتم بالقضايا الاقتصادية وبالقضايا المعنوية، ﴿لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ... يُؤْتُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

إشارات

□ المستفاد من هذه الآية أن الاستقامة إنما تكون بتوفيق وهدي من الله ﷻ، نعم لا

تكون إلا في ظل السعي ومجاهدة النفس، كما ورد في آية أخرى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

التعاليم

- ١ - المحسنون موفقون للهدى من الله ﷻ، ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.
- ٢ - الهدى شأن من شؤون الربوبية، ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.
- ٣ - التوفيق لعمل الخير من لطف الله ﷻ، ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ... هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.
- ٤ - إقامة الصلاة وأداء الزكاة يفتحان باب الاستفادة من هدى القرآن الكريم، ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ... وَيُؤْتُونَ... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾.
- ٥ - الفلاح مختص بأهل الصلاة، والزكاة، واليقيين بالآخرة، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
يَبْغِي عَلَيْهِمْ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢)

إشارات

□ تطلق كلمة «لهو» على كل شيء يحرف الإنسان عن هدفه المهم. و«لهو الحديث» هو الكلام الباطل الذي ينطق به الإنسان فيصرفه عن الحق، كالقصص الخرافية أو تلك التي ترغب الإنسان في الفساد والمعصية. وهذا الانحراف تارة ينشأ من مضمون الكلام وأخرى بسبب المقارنات والملازمات، كالموسيقى ونحوه^(٢).

□ قال بعض المفسرين: إن الآية الأولى من هذه الآيات نزلت في «النضر بن الحارث»، فقد كان تاجراً يسافر إلى إيران، وكان يحدث قريشاً بقصص الإيرانيين وأحاديثهم، وكان يقول: إذا كان محمد يحدثكم بقصص عاد وثمود،

فإني أحدثكم بقصص رستم وإسفنديار، وأخبار كسرى وسلاطين العجم، فكانوا يجتمعون حوله ويتركون استماع القرآن. وقال بعض آخر: إن هذا المقطع من الآيات نزل في رجل اشترى جارية مغنية، وكانت تغنيه ليل نهار فتشغله عن ذكر الله^(١).

□ تتعرض هذه الآية لأحد أهم أسباب الضلال وهو الكلام الباطل. وفي آيات أخرى من القرآن الكريم ورد ذكر أسباب أخرى موجبة للضلال من قبيل:

أ - الطاغوت، الذي يضل الناس تارة من خلال الاستهانة بهم: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ^(٢)﴾، وأخرى من خلال الوعيد والتهديد، ﴿لَأَجْمَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ^(٣)﴾.

ب - الشيطان هو الذي يضل الإنسان بوساوسه وتزيينه، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ^(٤)﴾.

ج - العالم أو الفنان المنحرف هو الذي يضل الناس مستخدماً في ذلك ما يمتلكه من علم وفن، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ^(٥)﴾.

د - أصحاب القوة والنفوذ والأموال هم الذين يردعون الناس عن الحق باستخدام قوتهم وأموالهم، ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا^(٦)﴾.

هـ - أصحاب الكلام الباطل الذين يصرفون الناس عن الحق باستخدام لهو الحديث، ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^(٧)﴾.

التعاليم

١ - صرف الأموال لأجل محاربة الحق موغل القِدَم في التاريخ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ^(٨)﴾.

٢ - كل ما يضاد الحكمة فهو لهو يمنع الإنسان من الوصول إلى الكمال،

(١) تفسير نمونه. (٤) سورة النساء: الآية ٦٠.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٤. (٥) سورة طه: الآية ٨٥.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٩. (٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٧) تفسير نمونه. (٨) سورة الزخرف: الآية ٥٤.

- ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ... لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾ (العجب من الذين يتركون الحكمة التي يقدمها لهم النبي ﷺ، دون مقابل، ليشتروا لهو الحديث من أهل الباطل).
- ٣ - المعاندون لطرق الحق لا يملكون وسيلة توصف بالحكمة والمنطق، بل كل ما لديهم هو اللهو والباطل، ﴿مَنْ يَشْتَرِ لَهَوَ الْحَدِيثِ يَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
- ٤ - شراء وسائل اللهو وما يمنع الإنسان من الوصول إلى الكمال علامة على الجهل وافتقاد المعرفة، ﴿يَشْتَرِ لَهَوَ الْحَدِيثِ... يَفْتَرِ عَلَيْهِ﴾.
- ٥ - مناسبة الجزاء للعمل آية العدل. فمن يستهزئ بالحق فإن عذابه الاستهزاء به وإذلاله، ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا... لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

الابتعاد عن الباطل ومجالسه

يحرم في شريعة الإسلام من الغناء ما يتناسب مع مجالس أهل الفسق والفجور مما يوجب إثارة الشهوات، وإذا لم يكن اللحن بتلك الصورة ومع هذه المفاصد فإن بعض الفقهاء يرون جواز استماعه.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أن الغناء من الذنوب التي أوعده الله ﷻ عليها بالنار، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِ لَهَوَ الْحَدِيثِ...﴾^(١). وبناء عليه فالغناء من الذنوب الكبيرة؛ لأن الذنوب الكبيرة تُطلق على الذنوب التي أوعده القرآن الكريم فيها بالعذاب.

وقد ورد في الآية ٣٠ من سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٢)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام تفسير ذلك بأنه الغناء^(٣).

وورد عن الإمام الصادق والإمام الرضا عليه السلام أن من مصاديق لهو الحديث، الوارد في سورة لقمان الغناء.

وفي الروايات نجد:

(١) الكافي، ج ٦، ص ٤٣١.

(٢) الزور بمعنى الباطل، والكذب، والانحراف عن الحق؛ والغناء مصداق من مصاديقه.

(٣) وردت هذه الرواية في أبواب حرمة الغناء في المكاسب المحرمة والكتب الروائية.

- إياكم واستماع المعازف والغناء، فإنهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.
- المغنية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون، ومن علمها الغناء ملعون.
- الغناء بيتٌ لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا تدخله الملائكة^(١).

آثار الغناء السلبية

- ١ - نشر الفساد الأخلاقي، والابتعاد عن روح التقوى، وإثارة الشهوات، والحث على ارتكاب الذنوب، حتى إن أحد شخصيات بني أمية يعترف بأن الغناء يحدُّ من الحياء، ويزيد من الشهوات، ويكسر النفوس، ويفعل بها ما يفعل بها الخمر. فبعض الناس يدخل في عالم الخيال من خلال شرب الخمر أو الإدمان على المخدرات، وبعض الناس عن طريق الاستماع إلى الغناء والكلام المثير للشهوات، وبذلك تموت الغيرة في نفسه.
- ٢ - الغفلة عن الله ﷻ، والغفلة عن الواجب، والغفلة عن الفقراء، والغفلة عن المستقبل، والغفلة عما لديه من استعدادات وقابليات، والغفلة عن النفس وعن الشيطان، فالإنسان اليوم على الرغم مما يعيشه من تطوّر علمي وتكنولوجي، فإنه يعيش في جحيم الغفلة ويحترق بها.
- نعم، الغفلة عن الله ﷻ تهبط بالإنسان إلى مصافِّ الحيوانات؛ بل إلى ما هو أدنى من ذلك، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢).
- والمستعمرون اليوم يسعون للاستفادة من كافة الإمكانيات المتاحة أمامهم لإضلال الشباب وتخدير هذا الجيل القادم، ومن ذلك؛ الترويج للغناء المبتذل وبمختلف الوسائل المتاحة، سعياً منهم للوصول إلى أهدافهم الاستعمارية.

٣ - لا تخفى الآثار السلبية المترتبة على الغناء، المثير للشهوات والمبتذل، على أعصاب الإنسان. وفي كتاب تأثير الموسيقى على النفس والأعصاب نُكّأت مهمة تتعرض لنهاية حياة المغنين وابتلائهم بأنواع من الأمراض النفسية، والسكتات المفاجئة التي تصيبهم، والأمراض القلبية بنحو يمكن للناظر والمتأمل ملاحظته بسهولة.

عزيزي القارئ!

إن الله ﷻ خلق العالم لأجل الإنسان، وخلق الإنسان للتكامل والقرب المعنوي. وقد سخر العالم كله لنا وأمر الملائكة بتدبير أمورنا. وأرسل إلينا أنبياء ورسله لهدايتنا، وقد أدوا ذلك حتى قُتلوا أو ماتوا. أمر الملائكة بالسجود لآدم ونفخ في الإنسان من روحه، وخلق الإنسان على أفضل صورة، وأعطاه القابليات التي لا حد لها، ووهبه العقل، الفطرة وأنواع من الاستعدادات ولذا قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١).

فهل كل عالم الوجود هذا بكل ما فيه من خصائص مادية ومعنوية يعطى لكل أحد؟ ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «مَنْ أَضْعَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَّدَهُ؛ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَّدَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَّدَ الشَّيْطَانَ»^(٢). أليس من الظلم أن نصبح عبيداً للمغني الفلاني؟!

هل أنت حاضر لأن تسجل على شريط الكاسيت كافة الأصوات؟ فكيف بنا ونحن نحفظ في ذهننا كل صوت؟ العمر، والدماغ، والتفكير أمانات من الله ﷻ وهبنا إياها لكي نتصرف بها في الطريق الذي رسمه لنا، وإذا استخدمنا هذه الأمانة في غير طريق الله ﷻ فقد أهنا الأمانة ولا بد من أن نُسأل عن ذلك في يوم القيامة.

قال تعالى، وبعبارة صريحة في سورة الإسراء، في الآية ٣٦ منها: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، فلا ينبغي للإنسان أن يسمح

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٤٣٥.

للعين أن ترى ما لا يأذن الله به ولا للأذن أن تسمع ما نهى الله عنه. وقد ورد في الحديث أن «القلب حرمُ الله فلا تسكن حرم الله غير الله»^(١).

والإسلام جعل طرقاً مناسبة للترويح عن النفس واستعادة النشاط، فحث الإنسان على السياحة، وعلى الرياضة، والسباحة، ومختلف الأعمال المفيدة والمتنوعة، كالزاور، والحوار العلمي، والارتباط بأهل العلم. والأهم من ذلك كله الارتباط بالخالق وذكره الذي فيه سكينه القلوب. فلماذا نصرف طاقاتنا في اللذات التي تكون نهاياتها الذلة والنار. وقد ورد عن علي عليه السلام: «لا خير في لذة من بعدها النار»^(٢)، وعنه عليه السلام: «من تلذذ لمعاصي الله أورثه الله ذلاً»^(٣).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا
كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

إشارات

□ كلمة «وقر» بمعنى «الثقل»، والوقار هو صفة في الشخص الذي له مكانة بين الناس.

□ المستفاد من هذه الآية أن الشخصيات المتكبرة لا تملك الاستعداد لسماع الحق. فكيف بالاستماع إليه، والتفكير فيه، والتسليم له بعد الاقتناع بكونه منطقياً.

التعاليم

١ - الاستماع إلى لهُو الحديث يسلب من الإنسان الاستعداد للتسليم للحق، ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ... وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾.

٢ - بعض الأفراد لا يخضع لآيات الله ﷻ بأي لسان جاءت به، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾.

(٣) غرر الحكم، ٣٥٦٥.

(١) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٥.

(٢) ديوان الإمام علي، ص ٢٠٤.

- ٣ - روح الاستكبار تمنع الإنسان من قبول الحق والحقيقة، ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾.
- ٤ - عدم الاستماع إلى كلام الحق علامة على الاستكبار، ﴿مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَوْ يَسْمَعُ﴾.
- ٥ - من يشتري لهو الحديث لا يملك استعداد الاستماع إلى القرآن، ﴿يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ... إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ... لَمْ يَسْمَعْهَا﴾.
- ٦ - الاستهزاء بالمستكبرين ليس إلا حق وليس افتراء، ﴿كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾.
- ٧ - الاستفادة من المثل والتمثيل هو أحد أساليب التربية والتبليغ التي استخدمها القرآن الكريم، ﴿كَانَ... كَانَ﴾.
- ٨ - من لا يخضع للحق هو كمن يضع في أذنيه وقراً، ﴿كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أن بعضهم يتوسل بالكلام الباطل ليصرف الناس عن اتباع الحق وليضلّهم، ويلجأ هؤلاء ومن خلال روح الاستكبار الذي يعيشونه في نفوسهم وعدم استماعهم لآيات الله، إلى الاستهزاء بالمؤمنين. والله ﷻ يعد المؤمنين في هذه الآية ويبشرهم بالنعم التي سوف يفيضها عليهم.

التعاليم

- ١ - الجنة هبة خاصة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ...﴾.
- ٢ - جبران ما صدر من المستكبرين من استهزاء واستحقار بحق المؤمنين يتحقق بالوعد الإلهي والبشارة للمؤمنين الحقيقيين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... لَهُمْ جَنَّاتُ...﴾.

٣ - الإيمان مع العمل الصالح شرط لنيل النعم والألطف الإلهية، ﴿ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْنُثُ النَّعِيمَ﴾.

٤ - تكبر المعاندين وإعراضهم لا استمرارية له؛ ولكن ثواب أهل الإيمان أبدي، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

٥ - الوعد الإلهي بالثواب هو صدق وحق، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾.

٦ - القدرة والحكمة الإلهية هي أساس الوعد الإلهي، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٧ - قدرة الله وعزته تتحققان على أساس الحكمة الإلهية، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، نعم اليوم كثير من أعمال الأقوياء بعيدة عن الحكمة).

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِحَمْدِهِ تَرَوْنَهَا وَآلَقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

□ إن أي موضوع وإن أمكن النظر إليه من زوايا عدة؛ ولكن العادة جرت بأن يكون لكل شيء، ومن زاوية ما، أهميته الخاصة.

وفي هذه الآية ورد أن ما تمتاز به السماء هو أنها معلقة دون أعمدة مرئية. وما تمتاز به الجبال أنها تثبت الأرض وتمنع من اهتزازها. وما تمتاز به الحيوانات تنوعها وانتشارها في الأرض، وما تمتاز به النباتات نظام الزوجية وما يترتب عليها من فوائد.

□ تعرضت الآية الكريمة لأكثر من نموذج من نماذج الإعجاز العلمي في زمان لم يكن البشر يتوقع ذلك أو حتى يتصوره:

أحدها الإشارة إلى العمد غير المرئية لاستقرار السموات، أي قوة الجاذبية والقوة المقابلة لها، فهاتان القدرتان هما الأساس في حركة الكواكب في مدارها. والإعجاز الآخر الإشارة إلى الحفاظ على الأرض من حالة عدم الاستقرار بواسطة الجبال، وأخيراً الإشارة إلى قانون الزوجية في النباتات.

التعاليم

- ١ - عدم الرؤية ليست دليلاً على عدم الوجود، (السموات لها عمد وإن كنا لا نراها)، ﴿يَغْيِرْ عَمَدٌ تَرَوْنَهَا﴾.
- ٢ - الاستقرار والسكينة ضرورة في الحياة قبل أي شيء، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.
- ٣ - النظام الحاكم على الأرض هو لأجل هذا الإنسان، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.
- ٤ - الماء نعمة كبرى وله أهمية كبرى، فهو أساس حياة كثير من الموجودات ونموها، (وردت كلمة «الماء» منكرة منونة، وفي هذا دلالة على الأهمية).
- ٥ - لا بد من أن ننظر إلى النباتات والبيئة نظرة كريمة؛ لأن الله ﷻ الكريم وصفها بأنها كريمة، ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

التعاليم

- ١ - لا بد في الحوار والبحث من استخدام بعض النماذج الخارجية، ﴿هَذَا﴾.
- ٢ - لا بد أولاً من بيان طريق الحق، ثم بعد ذلك توجيه النقد إلى منكري الحق، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا﴾.
- ٣ - من طرق معرفة الله المقارنة بين قدرته وقدره غيره، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.
- ٤ - لا ينبغي أن ننصت للدعاوى فقط بل علينا أن نعتمد على دليل وسند لذلك، ﴿فَأَرُونِي﴾.
- ٥ - العناد في مقابل الحق ظلم، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ (فهم يرون هذه الآثار كافة ولكنهم يصرون على عداوتهم لله ﷻ ومع طريق الحق).
- ٦ - من يذهب إلى غير الله ﷻ هم أهل الضلال وهم الظالمون، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.
- ٧ - الانحراف شرك وهو مبين لا يخفى على أحد، ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (١٢)

التعاليم

- ١ - الحكمة عطاء إلهي، وليست أمراً اكتسابياً، (وإن كانت مقدماتها مكتسبة)،
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.
- ٢ - النعمة إذا كانت خاصة تستحق شكراً خاصاً، ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ... اشْكُرْ
لِلَّهِ﴾ كما أمر الله ﷻ نبيه الأكرم ﷺ أن يشكره شكراً خاصاً على نعمة
الكوثر التي خصه بها، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
- ٣ - أول ما أمر به موسى بعد النبوة الأمر بالصلاة، وأول ما أمر به لقمان بعد أن
وهبه الله الحكمة شكر الله، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾.
- ٤ - شكر نعمة الله ﷻ تعود بالنفع على هذا الإنسان، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ﴾، كما نقرأ في آية أخرى: ﴿لَن يَزِيدَنَّكُمْ شِكْرُكُمْ أَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١).

خصائص لقمان الحكيم

ذكر في تفسير الميزان بحثاً حول لقمان نتعرض هنا لذكر قسم منه:
عن رسول الله ﷺ يقول: «حَقًّا أَقُولُ لَمْ يَكُنْ لُقْمَانُ نَبِيًّا وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
كَثِيرَ التَّفَكُّرِ حَسَنَ الْبَيِّنِ أَحَبَّ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ وَمَنْ عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ» (٢).
عَنْ حَمَادٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ لُقْمَانَ وَحِكْمَتِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: «أَمَّا وَاللَّهِ مَا أُوتِيَ لُقْمَانُ الْحِكْمَةَ بِحَسَبِ وَلَا مَالٍ، وَلَا أَهْلِ
وَلَا بَسِطٍ فِي جِسْمٍ وَلَا جَمَالٍ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ مُتَوَرِّعًا فِي
اللَّهِ، سَاكِتًا سَكِينًا عَمِيقَ النَّظَرِ طَوِيلَ الْفِكْرِ حَدِيدَ النَّظَرِ مُسْتَعْبِرًا بِالْعَبْرِ لَمْ يَنْمَ
نَهَارًا قَطُّ... وَلَمْ يَمُرَّ بِرَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ أَوْ يَفْتَلَانِ إِلَّا أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا» (٣).

(٣) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦٢.

(١) سورة إبراهيم: الآية، ٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٢٤.

«وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء»^(١).

«الْأَظْهَرُ أَنَّ لُقْمَانَ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَكَانَ حَكِيمًا وَقِيلَ كَانَ نَبِيًّا، وَقِيلَ خَيْرَ بَيْنِ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ، وَكَانَ ابْنُ أُخْتِ أَيُّوبَ أَوْ ابْنُ خَالَتِهِ وَقِيلَ إِنَّهُ عَاشَرَ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَذْرَكَ دَاوُدَ عَ وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْمَ»^(٢).

«وقال له بعض الناس: ألسنت كنت ترعى الغنم معنا؟ فقال: نعم. فقال من أين أوتيت ما أرى؟ قال: قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني»^(٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُهُ وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ قَالَ أُوْتِيَتْ مَعْرِفَةُ إِمَامٍ زَمَانِهِ»^(٤).

«وذكر أن مولى لقمان دعاه، فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فأثاه بالقلب واللسان، ثم أمره بذبح شاة فقال له: اثنتي بأخبث مضغتين منها فأثاه بالقلب واللسان. فسأله عن ذلك؟ فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا»^(٥).

ويكفيه عظمة أن الله تعالى ورسوله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ينقلون حكمته.

بعض نصائح لقمان

- إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً.
- إياك والكسل عنه (عن العلم) بالطلب لغيره فان غلبت على الدنيا فلا تُغلبَنَّ على الآخرة، وإذا فاتك طلبُ العلم في مظانِّه فقد غلبت على الآخرة. واجعل في أيامك، ولياليك، وساعاتك نصيباً في طلب العلم؛ فإنك لن تجد له تضييعاً أشد من تركه، ولا تمارٍ فيه لجوجاً، ولا تجادلن فقيهاً، ولا

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٤) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦١.

(٥) نعمة الله الجزائري، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، ص ٣٢٩.

- تُعَادِينَ سُلْطَانًا، وَلَا تُمَاشِينَ ظُلُومًا وَلَا تَصَادِقْتَهُ، وَلَا تُوَاخِينَ فَاسِقًا، وَلَا تُصَاحِبِينَ مَتَّهَمًا.
- لو استخرج قلب المؤمن يوجد فيه نوران نور للخوف ونور للرجاء، لو وُزِنَا لما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرة.
- واعلم أنك ستُسألُ غداً إذا وقفت بين يدي الله ﷻ عن أربع: شبابك فيما أبليت، وعمرك فيما أفنيت، ومالك مما اكتسبته، وفيما أنفقت.
- لا يعدمنك حسنُ الخلق، اقطع طمعك مما في أيدي الناس.
- يا بني، إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم.
- اجهد رأيك إذا استشاروك، وإذا استعانوا بك فأعنهم، واسمع لمن هو أكبر منك سناً^(١).
- وإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلّها، واسترخ منها، فإنها دينٌ.
- إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.
- وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك.
- وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك.
- واذكر اثنين وانس اثنين، أما اللذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك^(٢).

الحكمة والمعرفة والطاعة

الحكمة هي العلم الذي يحصل عليه الإنسان في ظل معرفة الله ﷻ، ويصل إليه من خلال التفكير في أسرار عالم الوجود، وأيضاً من خلال الوصول إلى الحق، والنور، والتقوى.

عَنْ الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ۖ قَالَ: مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ وَاجْتِنَابُ الْكِبَايِرِ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا النَّارَ^(١).
وعنه عليه السلام: «وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ»^(٢).

ويذكر الراغب في تفسير مفردة الحكمة: الحكمة هي الوصول إلى الحق من خلال العلم والعقل^(٣).

وعن النبي الأكرم عليه السلام: «أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ»^(٤)، وورد في عددٍ من الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم بابُ الحكمة ومفتاحها^(٥).

أهمية الحكمة

من وظائف الأنبياء تعليم الكتاب والحكمة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٦).

الحكمة عِذْلُ الكتاب السماوي، وهي لا تُعْطَى لكل أحد، وفيها الخير الكثير: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٧).

وطبقاً للرواية فإن الحكمة كالنور المستقر في نفس الإنسان وتظهر آثارها في اللسان والأفعال^(٨).

يا بني، تعلّم الحكمة تُشْرَفْ بها؛ فإن الحكمة تدل على الدين، وتُشْرَفُ العبدُ على الحر، وترفعُ المسكين على الغني، وتُقَدِّمُ الصغيرَ على الكبير.

«الحكمة ضالة المؤمن»^(٩). وعن علي بن الحسين عليه السلام: «لا تحقر اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة فإن أبي حدثني قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام

(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٩١.

(٤) العمدة، ص ٢٩٥.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٤٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٩؛ وسورة آل عمران: الآية ١٦٤؛ وسورة الجمعة: الآية ٢.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦٩. (٨) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣١٦.

(٩) نهج البلاغة، الحكمة ٨٠.

يقول: إن الكلمة من الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن فيكون أحق بها وأهلها، فيلقفها»^(١).

والحكيم لا يقف عند ظاهر الأمور بل يلحظ عواقبها وما يترتب عليها. لا يطمع في ما عند غيره ولا يحتقر من هو دونه، لا يتكلم بغير علم، ولا تجد تناقضاً في فعله.

لا يضيع نعم الله، يحب الناس كما يحب نفسه، ويتمنى لهم ما يتمنى لها، ولا يمكر بالناس.

كيف نصل إلى الحكمة؟

الحكمة عطية إلهية للمخلصين من العباد وقد ورد في روايات عدة: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»^(٣).

ومما يورث الحكمة: حفظ اللسان، وعفة البطن والفرج، والأمانة، والتواضع، وترك ما لا يفيد»^(٤).

نماذج من الحكمة

ورد في سورة الإسراء من الآية ٢٢ حتى الآية ٣٨ بعض الأوامر والإرشادات، ثم في ختامها وصف الله ﷻ هذه الأوامر والإرشادات بأنها من الحكمة التي أوحى بها الله ﷻ لنبيه ﷺ، وهي:

التوحيد وعدم الشرك، الإحسان واحترام الوالدين لا سيما عند كبرهما، القول الكريم والتواضع لهما، الدعاء بالخير لهما، أداء حق الله لأوليائه الله والفقراء وابن السبيل، عدم التبذير والإسراف، الاقتصاد في المصروف، عدم قتل

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٩٧ - ٩٩. (٢) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٤٨.

(٣) الشيخ الصدوق، جامع الأخبار، ص ٩٤. (٤) ميزان الحكمة.

الأولاد خشية الخوف، عدم ارتكاب الفاحشة، عدم التصرف في مال اليتيم، أداء حق الناس، الوفاء بالكيل والميزان، أن لا يقتني ما ليس له به علم، عدم التكبر. ثم يقول تعالى بعد ذكر ما تقدم: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

﴿وَلَوْ قَالَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْتَئَىٰ لَا تَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

إشارات

□ الموعظة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الحق ولا أحد من الناس في غنى عنها، ومن أسماء القرآن الكريم أنه موعظة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١)، وفي كتب الحديث فصول خاصة بالموعظة.

□ ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ كان يقول لجبرائيل: «عظني»^(٢). وكذلك كان أمير المؤمنين يأمر أحد أصحابه بأن يعظه؛ لأن في السماع أثر لا يحصل بغيره.

التعاليم

- ١ - نتلقى أسلوب تربية الأبناء من الكبار، ﴿وَلَوْ قَالَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ﴾.
- ٢ - لا بد في الموعظة من جعل المستمع يتجه إلينا بعقله وحواسه، ﴿يَبْتَئَىٰ﴾.
- ٣ - لا بد من أن تبني الموعظة على أساس الحكمة، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لَقَمَنَ الْحِكْمَةَ... وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.
- ٤ - الولد بحاجة إلى النصيحة فلا ينبغي أن نغفل عن أبنائنا، ﴿قَالَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ﴾.
- ٥ - لا بد في العمل التبليغي من أن نبدأ بأنفسنا، ﴿قَالَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ﴾.
- ٦ - من أفضل أساليب التربية الصحيحة للأبناء حوار المحبة معهم، ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْتَئَىٰ﴾.
- ٧ - من رسالات الأب لابنه الموعظة، ﴿قَالَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

٨ - لا بدّ من أن نتحدث مع الشباب بلغة الموعظة لا التأنيب، ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي﴾.

٩ - الموعظة لا بدّ من أن تكون مقرونة بالمحبة والعاطفة، ﴿يَبْنِي﴾.

١٠ - من شروط تأثير الموعظة احترام شخصيّة الطرف المقابل، ﴿يَبْنِي﴾.

١١ - في الموعظة والإرشاد لا بد من ترتيب الأولويات والبدء بالأهم، ﴿يَعِظُهُ... لَا تُشْرِكْ﴾.

١٢ - التوحيد من أهمّ الأمور التي يمكن أن يوعظ بها، بل هو الأساس الذي يركز عليه الوعظ، ﴿إِنَّمَا لَقَمْنَهُ الْحِكْمَةَ... قَالَ... لَا تُشْرِكْ﴾.

١٣ - الشرك أعظم خطر وهو المسألة الأساس، والدنيا عند الله ﷻ متاع قليل: ﴿مَتَاعٌ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^(١)؛ ولكن الشرك ظلم عظيم، ﴿لَظَلُمَ عَظِيمٌ﴾؛ أي إن الدنيا كلها لو أعطيت على أن تشرك فلا ينبغي القبول.

١٤ - لا بدّ من أن تكون الموعظة بالمنطق والدليل، ﴿لَا تُشْرِكْ... إِنَّكَ الْشِّرْكُ لَظَلُمٌ عَظِيمٌ﴾.

معنى الشرك

للشرك معنى واسع وأبرز مصاديقه ومعانيه عبادة الأصنام، وهذا النوع من الشرك موجب، طبقاً لفتوى الفقهاء، للخروج عن الدين، وهو سبب لارتداد الإنسان.

وللشرك معان أخرى منها: الطاعة العمياء لغير الله واتباع هوى النفس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾^(٣).

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

وقد وردت عبارة «دون الله» و«دونه» مائة مرة في القرآن الكريم. أي إن طاعة غير الله وعبادته شرك. والمؤمن الذي يخرج عن أوامر الله ﷻ يخرج عن مدار التوحيد، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١).

وورد في الرواية أن هذا النوع من الشرك أخفى من ديب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء. وبناء عليه فالشرك لا ينحصر بعبادة الأصنام بل مطلق الارتباط بأي قوة، مقام، مال، عشيرة وأي أمر لا يكون لله ﷻ.

آثار الشرك

١ - حبط العمل

الشرك مبطل لأثر العمل الصالح، كالنار التي تحرق الحقول. وقد خاطب القرآن الكريم الرسول ﷺ بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٢).

٢ - القلق والاضطراب

إن الهدف الذي ينشده الإنسان الموحد هو رضا الله الواحد وهو سريع الرضا؛ وأما من يفكر في رضا الآخرين بدل التفكير في رضا الله ﷻ فهو دائماً يعيش القلق والاضطراب؛ لأن الناس الذين يسعى لرضاهم كثر ولكل واحد منهم هواه ومراده الخاص.

ولذا خاطب النبي يوسف ﷺ صاحبيه في السجن بقوله: ﴿ءَأَزَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَلِيُّدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣).

وللقرآن وصف للمشرك وفيه ورد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَّتْ أَطْنِيرُ أَوْ تَهْوَى بِهٖ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾^(٤).

نعم التوحيد والعبودية الخالصة لله ﷻ سدٌ محكم يمنع الإنسان من الهوى، والتعلق بأي أحد، والدوران في فلك أحد، وتملق أي أحد وعبادته، والخوف

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٤) سورة الحج: الآية ٣١.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٥.

من أي أحد. وقد ورد في الحديث: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»^(١).

٣ - الاختلاف والتفرقة

المحور في المجتمع التوحيدي هو الله ﷻ فقط، وإمام المجتمع وظيفته بيان الطريق إلى الله ﷻ وإبلاغ القانون الإلهي، والكل يدور حول هذا المحور، وأما في مجتمع الشرك فإنه وبدل عبادة الله الواحد تكون العبادة للطاغوت والرغبات، ولهذا طرق متعددة، والناس في ذلك مختلفون ومتفرقون. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾^(٢).

٤ - الذل في يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْمَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَّ فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾^(٣).

علامات الشرك

من علامات الشرك عصيان الأوامر الإلهية والاعتراض عليها. وقد تعرض القرآن الكريم لبعض نماذج ذلك منها:

- ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾^(٤).

- متى جاء الأمر بالجهاد، تساءلوا عن ذلك الفرض؟ ﴿لَرَّ كَبِتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَالِ﴾^(٥).

- عندما جاءهم الطعام رفضه بنو إسرائيل: ﴿لَنْ نَقْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾^(٦).

- كلما ضرب الله مثلاً، اعترضوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾^(٧).

ومن علامات الشرك تقديم الأهل، والمال، والجاه، والمقام على إطاعة

(٥) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٦) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٢٧.

(٢) سورة الروم: الآيتان ٣١ و٣٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

أوامر الله ﷻ. ففي الآية ٢٤ من سورة التوبة نقراً: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتُكُمْ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

نعم خطرُ الشرك يصل حداً عبَّرَ عنه القرآن الكريم بالنهي عن طاعة الوالدين إن أمرا ابنهما بالشرك، مع أن الله ﷻ قرَنَ طاعة الوالدين بتوحيده في أربع مواطن من القرآن الكريم^(١).

دوافع الشرك وأسبابه

الناس إما أن يتجهوا إلى غير الله بسبب امتلاكه القوة، والله ﷻ يصفه بقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٢).

أو أن يتجهوا إلى غير الله طلباً للعزة، والله ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّ أَلَمْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣).

أو أن يتجه إلى الجماعة ليتخلص من بعض المشكلات التي يواجهها، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾^(٤).

وفي موضع آخر يقول واصفاً من يتجه الناس إليهم بقوله: ﴿عِبَادُ أَتَأْتِلُكُمُ﴾^(٥)، أو يشير أمامهم التساؤل عن سبب تركهم لله ﷻ: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾^(٦).

(١) سورة العنكبوت: الآية ٨؛ وسورة لقمان: الآية ١٥.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٦.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٦) سورة الصافات: الآية ١٢٥.

مواجهة الشرك

مواجهة الشرك والدعوة إلى التوحيد هي أول رسالة بلغها الأنبياء وهي الهدف من بعثتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١).

وكل الذنوب قد تشملها المغفرة الإلهية إلا الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٢)، وقد أمر الأنبياء ﷺ بالبراءة من الشرك^(٣). ولا يصح جعل شريك لله ﷻ حتى لو كان ذلك بأدنى درجاته، أي لو جعل الله ﷻ ٩٩ بالمائة من الأعمال وترك واحداً لغير الله فهذا شرك باطل؛ لذا قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٤).

فلا يصح جعل أحد شريكاً لله ﷻ حتى الأنبياء والأولياء فضلاً عن الأصنام والطواغيت؛ لذا خاطب الله ﷻ نبيه عيسى ﷺ بقوله: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمْنِيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥)، كما يصف الشرك بالله ﷻ بالافتراء العظيم: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٦).

ومبغوضية الشرك تصل حداً يُمنع فيه المؤمنون من الاستغفار للمشركين، ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾^(٧).

ويحارب الإسلام الشرك بالمنطق والبرهان ويبين لهم عجز غير الله، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٨) ومن بيده الموت والحياة؟ ومن بيده العزة والذلّة؟

نعم ترك الإله العالم والقادر المطلق، والتعلق بالأسباب الفانية، والاعتماد على المخلوقات، وطلب العون من العاجز ليست من فعل العقلاء. ومن الأهداف التي قصدها القرآن الكريم في نقله لقصص الأمم السالفة قلع جذور الشرك.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٦) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء: الآيتان ٤٨ و ١١٦.

(٧) سورة التوبة: الآية ١١٣.

(٣) سورة هود: الآية ٥٤.

(٨) سورة فاطر: الآية ٤٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ اللَّهِ فِي عَمَتَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤)

إشارات

□ كلمة «وهن» بمعنى الضعف الجسماني، كما إن كلمة توهين بمعنى الاحتقار المعنوي.

□ دائرة الإحسان أوسع من دائرة الإنفاق، فالإحسان يشمل كل نوع من المحبة والخدمة؛ ولكن الإنفاق يطلق عادة على المعونة المالية. وقد قرن القرآن الكريم مسألة الإحسان إلى الوالدين بالتوحيد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (١).

□ وردت الوصية في الآية المذكورة أولاً بالأمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم أشارت إلى فترة حمل الأم لكي تحرك الوجدان الأخلاقي عند الإنسان وتوقظه وتذكره ماضيه. فعليه أن يتذكر دائماً أنها حملته وتحملت الأذى في ذلك، وكانت لأجله تترك طعامها وشرابها ولا أحد يقدر على تحمل ذلك. ونظراً إلى كون حق الأم أكثر عرضة للتضييع أو لكونه أعظم من حق الأب خصه الله ﷻ بالوصية.

□ للوالدين والأولاد حقوق متبادلة، ففي الآية السابقة كانت موعظة الأب لولده، وأما هذه الآية فتعرض للإحسان والرحمة بالوالدين.

التعاليم

١ - لا بد من اتباع كلام الحق سواء أكان موعظة من عبد الله: (لقمان)، أو كان وصية من الله ﷻ، ﴿وَصَّيْنَا﴾.

٢ - الإنسان مهما علا شأنه ومهما كانت ظروفه مدين لوالديه، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ (كلمة «إنسان» تشمل الناس كافة).

٣ - احترام الوالدين حق إنساني وليس دينياً إسلامياً فقط، بل ينبغي الإحسان حتى إلى الأبوين الكافرين، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾.

٤ - من يتحمل المشاق أكثر لا بد من تقديره بشكل أخص، وذكر اسمه بشكل مستقل، ﴿بِوَالِدَيْهِ... أُمُّهُ﴾.

٥ - في الأوامر العامة لا بد من أن يكون الاستدلال عاماً أيضاً، (لما كان المخاطب هم الناس كافة، كانت ذكر صفة حمل الأم وهي الصفة التي يشترك فيها الناس جميعاً)، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾.

٦ - كون العمل وظيفية طبيعية للشخص لا يبرر عدم التوجه إليه بالشكر والإحسان، (فالحمل أمر طبيعي للأم، ولكن علينا مسؤولية الإحسان إليها واحترامها وتقديرها)، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾.

٧ - تذكر الماضي دافع لإحياء روح الشكر في أنفسنا، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾.

٨ - مرحلة الحمل والإرضاع من موجبات ثبوت حقوق للأم على ولدها وهي من أهم المراحل تأثيراً على شخصية الطفل، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ... وَفَضَّلَهُ﴾.

٩ - قد يفطم الطفل عن الرضاع خلال الحولين، فلا وجوب لأن يكون ذلك بعد الحولين، (كلمة «فصال» بمعنى فطام الطفل عن الرضاع، وتعبير: «في عامين» يدل على أن بالإمكان فطام الطفل خلال عامين أيضاً، وإن كان من الأفضل أن يكون بعد الحولين).

١٠ - تحمل المشاق في سبيل أداء الوظيفة سبب لثبوت حقوق كبرى. فمن يتحمل المسؤولية على الرغم مما فيه من الضعف والمرض له حق أكبر على الإنسان، ﴿وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾.

١١ - شكر الوالدين عمل له مكانته السامية عند الله ﷻ، ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ﴾.

١٢ - في النهاية سوف نعود جميعاً إلى الله ﷻ، فلنحذر من عدم الإحسان وشكر الوالدين، ﴿إِلَىٰ الْوَصِيرِ﴾.

١٣ - الإيمان بالمعاد دافع يدفع بالإنسان إلى العمل الصالح ومن ذلك الإحسان إلى الوالدين، ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾.

١٤ - حق الله ﷻ مقدّم على حق الوالدين، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ فالشكر والإحسان إلى الوالدين لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن شكر الله ﷻ.

وفي ختام هذه الآية نتعرض بشكل موجز لعنواني الإحسان إلى الوالدين وشكر الله ﷻ.

الإحسان إلى الوالدين

ورد الأمر بالإحسان إلى الوالدين في الآيات ٨٣ من سورة البقرة، ٣٦ من سورة النساء، ١٥١ من سورة الأنعام، و٢٣ من سورة الإسراء، ولكن في سورة لقمان كان الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعنوان كونه وصية من الله ﷻ.

وفي مواطن عدة من القرآن الكريم ورد الأمر بشكر الوالدين إلى جانب الأمر بشكر الله ﷻ، وأشار في بعض هذه المواطن إلى المشاق الكبيرة التي تتحملها الأم.

ولعظم منزلة الإحسان إلى الوالدين فإن الآية التالية تأمر بالإحسان إليهما حتى لو سعيينا لجعل ولدهما يتبعهما في شركهما بالله ﷻ، أي ينبغي إكرامهما والإحسان إليهما حتى في الموارد التي لا يجوز طاعتها فيها.

نعم فاحترام الوالدين حق من الحقوق الإنسانية فضلاً عن كونه من الحقوق الإسلامية، وهو من الحقوق الثابتة والمستمرة لا الآنية الموقته.

ورد في الروايات أن الإحسان إلى الوالدين لازم على كل حال سواء أكانا مؤمنين أم كافرين وسواء أكانا حين أم ميتين.

وورد في رواية أنّ رسول الله ﷺ أته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سرّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله

صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟! فقال: «لأنها كانت أبر بوالديها منه»^(١).
وقد ورد الأمر في القرآن الكريم إذ وَجَّه الأمر ببرِّ الوالدين إلى نبيين هما
عيسى ويحيى عليهما السلام^(٢).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ - وقد سأله ابن مسعود عن أحب الأعمال إلى
الله تعالى - قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»^(٣).
وورد أن شاباً خرج في يوم كربلاء واستأذن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: «هذا
شاب قُتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أمي أمرتني بذلك»^(٤).

سعة معنى الوالدين:

يطلق، في الثقافة الإسلامية، على أنبياء السماء، والمعلم، والمربي، ووالد
الزوجة تسمية الأب أيضاً.

وفي رواية الأصمغ بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: «يَا أَصْبَغُ أَنِّي أَتَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَائِداً كَمَا جِئْتُ السَّاعَةَ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ اخْرُجْ فَنَادَى فِي النَّاسِ
الصَّلَاةَ جَامِعَةً وَاضْعِدِ الْمَنْبَرِ وَتَمَّ دُونَ مَقَامِي بِمِرْقَاةٍ وَقُلْ لِلنَّاسِ أَلَا مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ
فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَلَا مَنْ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَلَا مَنْ ظَلَمَ أَجِيرًا أُجِرَتْهُ فَلَعَنَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ يَا أَصْبَغُ فَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَامَ مِنْ أَقْصَى الْمَسْجِدِ
رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ تَكَلَّمْتُ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ وَ أَوْجَزْتُهِنَّ فَأَشْرَحْتُهِنَّ لَنَا فَلَمْ أَرَدْ
جَوَاباً حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ مَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ قَالَ الْأَصْبَغُ ثُمَّ أَخَذَ ﷺ
بِيَدِي وَقَالَ يَا أَصْبَغُ ابْسُطْ يَدَكَ فَبَسَطْتُ يَدِي فَتَنَاوَلَ إِصْبَعاً مِنْ أَصَابِعِ يَدِي وَقَالَ يَا
أَصْبَغُ كَذَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِصْبَعاً مِنْ أَصَابِعِ يَدِي كَمَا تَنَاوَلْتُ إِصْبَعاً مِنْ
أَصَابِعِ يَدِكَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَلَا وَ إِنِّي وَ أَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَمَنْ عَقَّنَا فَلَعَنَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ أَلَا وَ إِنِّي وَ أَنْتَ مَوَالِيَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَعَلَى مَنْ أَبَقَ عَنَّا لَعَنَهُ اللَّهُ أَلَا وَ إِنِّي وَ
أَنْتَ أَجِيرَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَمَنْ ظَلَمَنَا أُجِرَتْنا فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٥).

(٤) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٤٦.

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦١.

(٢) سورة مريم: الآية ١٤ و ٣٢.

(٣) ميزان الحكمة.

شكر الله ﷻ

الله ﷻ غني عن عبادة عباده وشكرهم له، وقد أشار القرآن الكريم مكرراً إلى هذه الحقيقة، فوصف نفسه بالغني الكريم^(١). وشكرنا له ﷻ سبب لنيلنا مقام العزة ورفعة الدرجة، فالشمس ليست بحاجة إلينا ولكن نحن إن اطلعنا على منازلها أمكننا أن نستفيد من نورها.

مما أثنى به الله ﷻ على أنبيائه في القرآن الكريم أنهم كانوا شاكرين لله ﷻ. فوصف الله ﷻ نبيه نوح ﷺ مع ما تحمله من الصبر والاستقامة على خيانة زوجته، وكفر ابنه، وأذية الناس له بأنه: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(٢).

وقد ذم الله ﷻ، وبشكل مكرر، أكثر الناس لأنهم لا يشكرون.

نعم لا بدّ من أن نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لشكره، كما سأل ذلك سليمان عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾^(٣)، ونحن في الغالب لا نلتفت إلى الكثير من النعم الإلهية التي وصلت إلينا عن طريق الآباء، أو كثير من البلاءات التي أنجانا الله ﷻ منها، أو النعم المعنوية كالإيمان بالله ﷻ وأوليائه، أو النفور من الكفر والفسق والمعصية والتي وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِغْثِيَانَ﴾^(٤).

مضافاً إلى ما تقدّم فإنّ بعض أدعية المعصومين عليه السلام أيضاً تهتم ببيان النعم الإلهية وضرورة شكر الله ﷻ على ذلك؛ وذلك لإحياء روح الشكر في الإنسان.

والشكر الإلهي تارة يكون بالقول، وأخرى بالفعل، والعمل، والسلوك.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذكر أحدكم نعمة الله ﷻ

(١) سورة النمل: الآية ٤٠؛ وسورة لقمان: الآية ١٢؛ وسورة الزمر: الآية ٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٣) سورة النمل: الآية ١٩؛ وأوزعني بمعنى ألهمني واجعلني أرغب وأحب شكر نعمتك.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٧.

فليضع خده على التراب شكراً لله، فإن كان ركباً فلينزله فليضع خده على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قبروسه، وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه^(١).

نماذج من الشكر العملي

١ - الصلاة أفضل نموذج للشكر المعنوي، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْنَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾.

٢ - الصوم: فقد كان أنبياء الله ﷺ يلجأون إلى الصوم شكراً لله ﷻ^(٢).

٣ - خدمة الناس: كما لو طلب الأمي من العارف بالكتابة أن يكتب له شيئاً فليكتب له وليشكر الله ﷻ، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾^(٣).

٤ - القناعة: ورد عن النبي الأكرم ﷺ، «كن قنعاً تكن أشكر الناس»^(٤).

٥ - إكرام اليتيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(٥).

٦ - مساعدة المحرومين والمحتاجين وقد خاطب الله ﷻ نبيه الكريم بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٦).

٧ - شكر الناس، وقد قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٧).

فشكر الناس هو شكر الله ﷻ وقد ورد في الرواية: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله»^(٨).

(١) الكافي، باب الشكر، حديث ٢٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٤٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٤) مستدرک الوسائل، ج ١١، الحديث ١٢٦٧٦.

(٥) سورة الضحى: الآية ٩.

(٦) سورة الضحى: الآية ١٠.

(٧) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٨) عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٤.

شكر الله حتى على المصائب

ورد في الآية الكريمة: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(١).

إذا علمنا أنّ غيرنا يعاني بلاءً أعظم وأشد؛
إذا علمنا أن البلاءات تجعلنا نلتفت إلى الله أكثر؛
إذا علمنا أن البلاءات تكسر الغرور في الإنسان وترفع قسوة القلب؛
إذا علمنا أن البلاء يذكرنا بأهل البلاء من الناس؛
إذا علمنا أن المصائب تدفعنا لكي نبتكر الجديد؛
إذا علمنا أن المآسي تذكرنا بالنعم الإلهية السابقة؛
إذا علمنا أن الشدائد كفارة للذنوب؛
إذا علمنا أن البلاء سبب لنيل الثواب الأخروي؛
إذا علمنا أنّ البلاء يحذّرنا من يوم القيامة؛
إذا علمنا أنه [أي البلاء] سبب معرفة مقدار صبرنا، وسبب معرفتنا
الأصدقاء الحقيقيين؛

إذا علمنا أن من الممكن أن نتعرض لبلاءات أكثر وأصعب، إذا علمنا ذلك
كله، سوف ندرك أن تحت الظاهر المر حلاوة.
نعم الطفل يشعر بحلاوة التمر وحدة طعم البصل والحر، أما بالنسبة إلى
الأبوين فالحلو والحامض كلاهما لهما طعمهما الخاص.

وقد ورد عن علي عليه السلام في معركة أحد: «ولكن من مواطن البشري
والشكر»^(٢)، وخاطبت السيدة زينب عليها السلام ظلمة بني أمية بقولها: «ما رأيت إلا
جميلًا»^(٣).

وقيل لأحد أولياء الله عليه السلام هل أديت حق شكر الله عليه السلام. فقال: أنا عن شكر
الله عليه السلام عاجز. وورد أنّ: أفضل الشكر الإقرار بالعجز عن شكر الله عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٦.

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

﴿وَلِنْ جَهْدَاكَ عَلَىٰ مَا يُشْرِكُ بِِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

□ تعرض القرآن الكريم لثلاث أنواع من الطاعة:

أ - الطاعة المطلقة لله ﷻ وللرسول ولأولي الأمر: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

ب - عدم طاعة الكافر مطلقاً، وكذا المنافق، والمفسد، والعاصي، والظالم، وإلى غير ذلك، ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(٢)، ﴿وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ مَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٣)، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

ج - الطاعة المشروطة وهي طاعة الوالدين، وهو طاعتهما في ما أمرا به إذا كان طاعة لله ﷻ، وعدم طاعتهما في ما كان فيه معصية الله ﷻ.

التعاليم

١ - عند الإنسان ميلٌ فطري إلى توحيد الله ﷻ، والآخرون هم الذين يدعونه إلى الشرك، ﴿جَهْدَاكَ﴾.

٢ - لا بد، مضافاً إلى بيان القضايا العامة، من بيان بعض الأحكام والقضايا الجزئية، (فمع الوصية بطاعة الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ نجد الاهتمام بما يحتمل وقوعه من انحراف عند الوالدين)، ﴿جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ﴾.

٣ - ليس في الشرك أي منطق علمي، ﴿لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٤ - التقليد الأعمى ممنوع، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾.

٥ - حق الله ﷻ مقدّم على كل حق حتى حق الوالدين، ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٢٤.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦.

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١.

- ٦ - عند النهي عن الاقتداء بشخص، لا بد من تقديم قدوة ونموذج بديل، ﴿فَلَا تُطْعِمُهُمَا... وَأَتَّبِعْ﴾.
- ٧ - لا تجوز طاعة الوالدين في معصية الله ﷻ؛ ولكن لا بد من مصاحبتهم بالمعروف، ﴿فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا... مَعْرُوفًا﴾.
- ٨ - تجوز معاملة غير المسلمين بالحنى شرط عدم التبعية لهم، ﴿فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.
- ٩ - لا ينبغي ترك فعل الخير والمعروف على أي حال، ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.
- ١٠ - لا بد من الإحسان إلى الوالدين إلى آخر العمر، (حتى المشركين) ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.
- ١١ - القدوة هم الذين أنابوا إلى الله ﷻ، ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.
- ١٢ - الفصل لازم في اختيار العقيدة والسلوك، فالإحسان يكون إلى الوالدين ولكن الاتباع يكون للصالحين، ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.
- ١٣ - الإيمان بالمعاد ضمانه لإصلاح الأمور وإطاعة الإنسان لطريق الله ﷻ، ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾.
- ١٤ - القيامة ساحة لحضور الإنسان في محضر الله ﷻ، ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم﴾.

﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكْ وَثَقَالَ حَبَرٌ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ
اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰۤاَيُّهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ حَبِيْرٌ﴾ (١٦)

إشارات

□ «الخردل» نبتة فيها بذرة سوداء اللون غاية في الصغر، وتصل في صغرها حدا يضرب بها المثل.

التعاليم

- ١ - تعليم الأبناء الاعتقاد بسعة العلم والقدرة الإلهية دليل على الحكمة، ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا لَقَمْنٌ الْحِكْمَةُ... يَبْنِيْ...﴾.

- ٢ - لا بد في الموعظة من تكرار اسم المخاطب عند كل وصية، (لاحظ تكرار كلمة «يا بني» في هذه السورة، ولاحظ أيضاً تكرار كلمة «يا أبت» في سورة مريم، من الآية ٤٠ إلى الآية ٤٥).
- ٣ - إيمان الإنسان بأن عمله سوف يُخَصَّر في يوم القيامة باعث له على الإصلاح، ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ... يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾.
- ٤ - عند عملية التقييم والإشراف لا بد للإنسان من أن يلحظ حتى صغار الأمور، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.
- ٥ - لا تأثير لصغر الخردل ولا لبُعد الصخرة وكونها غير بينة، ولا للسموات والأرض على العلم الإلهي بها وقدرته على إحضارها، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾.
- ٦ - الله ﷻ بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ... لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾.
- ٧ - أعمال الإنسان لا تفنى في هذا العالم، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾.
- ٨ - الحساب الإلهي في منتهى الدقة؛ لأنه تعالى لطيف، ﴿لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾.
- ﴿يَبْنِي أَقِيرَ الصَّلَاةِ وَأَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

- المراد من العزم هنا إما العزم والإرادة الإلهية الحتمية على فعل هذه الأمور أو لزوم العزم والتصميم الجدي من قبل الإنسان على ذلك.
- على الرغم من تكرار ذكر الزكاة بعد الصلاة في ثمانية وعشرين مورداً في القرآن الكريم، إلا أنه، هنا، بعد ذكر الصلاة، جاء ذكر الأمر بالمعروف، ولعل ذلك لأن المخاطب هنا هو الابن، وليس لدى الولد مال حتى يوصى بأداء الزكاة، ﴿أَقِيرَ الصَّلَاةِ وَأَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- ورد عن علي عليه السلام: «واصبر على ما أصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(١).

□ الصبر قد يكون عند المصيبة: ﴿وَيُثِيرُ الْقَصِيرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾^(١)، وقد يكون على الطاعة: ﴿وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾؛ وقد يكون عن ارتكاب الذنب كما قال يوسف عليه السلام في السجن: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾^(٢) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

التعاليم

- ١ - من واجبات الأبوين أمرهما أولادهم بالصلاة، ﴿يَبْنِيْ أَقِرِ الصَّلَاةَ﴾.
- ٢ - طهارة النفس بالابتعاد عن الشرك، والبناء المعنوي ببدأ بالصلاة، ﴿لَا تُشْرِكْ... أَقِرِ الصَّلَاةَ﴾.
- ٣ - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينفرد به دين الإسلام، (قبل الإسلام أيضاً نجد لقمان يوصي ابنه بالصلاة والأمر بالمعروف)، ﴿يَبْنِيْ أَقِرِ الصَّلَاةَ وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- ٤ - يجب تربية الأبناء من خلال الأمر بالصلاة لكي يكونوا مؤمنين وريانيين، ومن خلال الأمر بالأمر بالمعروف لكي يكونوا أفراداً يتحملون المسؤولية الاجتماعية، ﴿يَبْنِيْ أَقِرِ الصَّلَاةَ وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- ٥ - لا بد من تعليم الأبناء بنحو يبين لهم المعروف والمنكر حتى يتمكنوا من الأمر والنهي، ﴿يَبْنِيْ... وَأَمُرُ... وَأَنْهَ﴾.
- ٦ - الصلاة هي أهم الأعمال بعد الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، ﴿أَقِرِ الصَّلَاةَ﴾.
- ٧ - من يريد القيام بوظيفة الأمر والنهي في المجتمع سيواجه حتماً الاصطدام بهوى الناس، فلا بد له من أن يبنى ذاته ويملاً نفسه بالإيمان، ﴿أَقِرِ الصَّلَاةَ وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- ٨ - اجعلوا أبناءكم من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ﴿وَأَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ...﴾.

٩ - الأمر بالمعروف دائماً يسبق النهي عن المنكر، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾؛ لأن انتشار المعروف بين الناس بنفسه يكفي للردع عن كثير من المنكر.

١٠ - لا يكفي أن يكون الإنسان في طريق الحق، بل لا بد له من دعوة الآخرين إلى السير في طريق الحق، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ كما نقرأ في سورة العصر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾.

١١ - لا بدّ من أن يتحلّى الإنسان بالصبر وبسعة الصدر في أدائه لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، لأن في النهي عن المنكر سيواجه مصاعب يضعها أمامه أهل المعاصي، فلا ينبغي له أن يتراجع.

١٢ - الأب الحكيم يتقبل ما ينزل بابه من مصاعب ويأمره بالصبر عليها، ولكنه لا يرضى له أن يسكت أمام ما يتعرض له الدين من هجوم، ﴿وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾.

١٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من المسائل المهمة، وللصبر على ما يصيب الإنسان في هذا الطريق قيمته الخاصة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾.

خصائص الصلاة

بمناسبة الحديث عن فريضتين إلهيتين هما الصلاة والأمر بالمعروف نتعرض هنا لبحث موجز عنهما:

- الصلاة أبسط علاقة بين الإنسان وربه وأعمقها وأجملها، وهي مشرعة في الأديان كافة.

- الصلاة هي العبادة الوحيدة التي وردت الوصية بالنداء بها قبل الإتيان بها، بأن يخرج أفضل الناس صوتاً لينادي: (حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل) فبالأذان يُكسر السكوت ويُعلن عن الفكر الإسلامي الأصيل، وبه يُنبّه الغافلون.

- نظراً إلى أهمية الصلاة قال إبراهيم عليه السلام إنه إنما أسكن ذريته وادياً غير ذي زرع ليقوموا الصلاة، لا لأجل مراسم الحج.
- جعل الإمام الحسين عليه السلام نفسه في معرض السهام ليقوم ركعتي صلاة ظهر يوم عاشوراء.
- يأمر القرآن الكريم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت للمصلين. ولأهمية الصلاة كان إبراهيم عليه السلام، وزكريا، ومريم، وإسماعيل خداماً للمسجد ولمحل إقامة الصلاة.
- الصلاة باب قبول الأعمال كافة، ويأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحد عماله بقوله: «صلّ الصلاة لوقتها الموقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. وعلم أن كل شيء من عملك تبعٌ لصلاتك»^(١).
- الصلاة ذكر الله، وبذكر الله وحده تطمئن القلوب.
- تعرض القرآن الكريم للحديث عن الصلاة في غالب سوره من أكبر سورة (البقرة) إلى أصغرها (الكوثر).
- تتمثل الصلاة في حياة الإنسان من لحظة الولادة بالأذان والإقامة في أذن الطفل إلى ما بعد موته بالصلاة عليه قبل دفنه.
- ورد الأمر بالصلاة عند كل مخوف أرضي كالزلزلة وعند كل مخوف سماوي كالخسوف والكسوف، وهي صلاة الآيات، كما إن الصلاة يؤتى بالاستسقاء المطر.
- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر^(٢).
- في الصلاة تتجلى كافة الكمالات ونذكر نماذج منها:
- النظافة والسلامة الصحية في استخدام السواك، الوضوء، الغسل، وطهارة البدن واللباس.
- ... نتعلم من الأذان الجرأة، والصدق بالحق.

- نتعلم من الصلاة الحضور مع الناس بالاجتماع في المساجد.
- الاهتمام بالعدالة في اختيار إمام الجماعة.
- الاهتمام بالقيم وبالكمالات ممن يقف في الصف الأول في صلاة الجماعة.
- الاتجاه المستقل في القبلة. نعم لليهود قبلتهم وللنصارى قبلتهم، والكعبة قبله مستقلة للمسلمين، ولا بد للمسلمين من أن يعيشوا حالة الاستقلال، ولذا ورد الأمر في القرآن بالتوجه إلى الكعبة القبلة المستقلة للمسلمين، لحفظ استقلالهم.
- احترام حقوق الآخرين، إذ لا تصح الصلاة حتى بخيط مغصوب.
- الاهتمام بالسياسة، إذ نقرأ في الروايات أن الصلاة لا تقبل مع عدم الولاية.
- الاهتمام بنظم الأمور، إذ تنظم الصفوف في صلاة الجماعة، والاهتمام بالشهداء بالسجود على التربة الكربلائية، والاهتمام بسلامة البيعة، إذ وردت الوصية بحفظ طهارة المسجد ونظافته ومكان السجود.
- الالتفات إلى الله ﷻ في الصلاة بتمامها، الالتفات إلى المعاد، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، الالتفات إلى اختيار الطريق المستقيم ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، اختيار الرفيق المؤمن ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، التحرز عن عشرة أهل الضلال والمعاصي ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، الالتفات إلى النبوة وإلى أهل بيت النبي ﷺ في التشهد، والاهتمام بالصالحين في «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».
- الاهتمام بالطعام الحلال، وقد ورد في الحديث أن من يشرب الخمر لا تقبل منه الصلاة أربعين يوماً.
- بالجمال الظاهري، فقد ورد الأمر بأن يلبس المصلي أفضل الثياب، أن يتعطر، وأن يأخذ زينته عند الصلاة، بل حتى النساء يأخذن زينتهن عند الصلاة.
- عدم أذية الزوجين بعضهما لبعضهما الآخر، فقد ورد في بعض الروايات أن الزوجين إذا أذايا بعضهما بالكلام، لا تقبل صلاتهما.

هذه بعض الأمور والآثار التي يمكن للإنسان أن يتذكرها في الصلاة وقد ورد عن الإمام الخميني قوله: الصلاة تصنع الإنسان.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا سنَّ خاص لأداء هاتين الفريضتين المهمتين، ولذا كانت وصية لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ أَفْرِ الصَّلَاةَ وَأَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾.

الأمر بالمعروف علامة التعلق بهذا الدين، ومحبة الناس، والاهتمام بسلامة المجتمع، ودليل على حرية التعبير، والغيرة الدينية، والارتباط بعلاقة صداقة مع الناس، وعلامة على يقظة الفطرة، والحضور في الساحة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لترغيب المحسنين، وتعليم الجاهلين، والتحذير لمنع المعاصي، ولإيجاد نوع من الانضباط الاجتماعي. ولذا قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة العامة»^(٢). كما ورد في حديث آخر تشبيهه من لا ينهى عن المنكر بمن يرى المسلم مجروحاً في قارعة الطريق فلا يعينه حتى يهلك.

وقد صدر اللعن من بعض الأنبياء كداود وعيسى عليه السلام على من لا ينهى عن المنكر^(٣).

ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(٤).

وفي حديث: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض»^(٥).

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٨.

(٥) الكافي، ج ٥، ص ٥٥.

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٨.

وفي آيات القرآن الكريم ورد الأمر بترك المجلس اعتراضاً إذا كان فيه استهزاء بآيات الله إلى أن يخوضوا في حديث غيره^(١).

لا بد للإنسان من أن يكون ممن ينزعج قلباً من ارتكاب المعاصي، وأن ينهى عن ذلك بلسانه وأن يمنع من وقوعها بالقوة.

دعوة الآخرين إلى فعل الخير تجعلنا شركاء في الثواب، ولكن السكوت أمام فعل المنكر والمعاصي يؤدي إلى نشر الفساد؛ ليصبح المفسدون هم الحكام على الناس.

السكوت واللامبالاة إزاء ارتكاب المعاصي موجب لصيرورة المعصية فعلاً عادياً، ولجراً أهل المعاصي، وقسوة القلوب، ورضا الشيطان وغضب الله ﷻ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة إلهية، فلا تتوهم التالي لأنه باطل:

ذنوب الآخرين عليهم، لا تسلب الناس حريتها، نحن أهل الخوف والخجل، بوردة واحدة لا يكون الربيع، عيسى على دينه وموسى على دينه، لسنا في قبر واحد، غير موجود، فلماذا أنا أمر بالمعروف؟ بالنهي عن المنكر أفقد الأصدقاء والزبائن، ونحو ذلك، فهذا كله لا يرفع عنا التكليف والواجب. نعم لا بد من أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علم، ومن القلب، وعن طريق عقلاني، وبالخفاء بالقدر الممكن.

قد يجب علينا أن نتكلم نحن، ولكن إذا لم يكن لكلامنا أثر فالتكليف لا يسقط، بل علينا أن ندعو الآخرين ليتكلموا.

لو أمكن الوقوف أمام الفساد ولو إلى حين وجب ذلك، وإذا استلزم التكرار فلا بد من التكرار لنصل إلى النتيجة المطلوبة.

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠؛ وسورة الأنعام: الآية ٦٧.

﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨)

إشارات

□ «التصغير» نوع من المرض تصاب به الإبل فيمنعها من تحريك عنقها بعد التوائها. ويوصي لقمان ابنه بأن لا يتعامل مع الناس بتكبر فيميل بعنقه عن الناس كالأبل المريضة.

□ «المرح» هو الفرح الزائد الذي يحصل للإنسان بسبب امتلاكه المال والمقام. «المختال» يطلق على من يرى نفسه أفضل من غيره، تخيلاً منه لا على نحو الحقيقة، و«الفخور» بمعنى المتفاخر.

□ في التكبر استهانة بالناس، وهو سبب للعداوة، وإثارة للأحقاد الداخلية السابقة.

ورد في الحديث: «من مشى على الأرض اختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها»^(١).

التعاليم

- ١ - بِشْرُ الوجه سلوك المؤمن مع المسلم وغير المسلم، ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.
- ٢ - التكبر ممنوع حتى في المشي، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.
- ٣ - علينا الاستفادة من حب الله ﷻ لأمرٍ لترغيب الناس فيه، ومن بغضه لأمرٍ لتحذير الناس منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾.
- ٤ - علينا أن ننزه أنفسنا في سلوكنا من الخيلاء ومن العيش في الوهم، ﴿مُخْتَالٍ﴾.
- ٥ - لا تتفاخر على الناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

التواضع

يوصي لقمان ولده في هذه الآية بعدم المشي متكبراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ

مَرَحًا، وفي سورة الفرقان ورد أن أول صفات عباد الرحمن أن مشيهم التواضع، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(١).

من أسرار الصلاة أن الإنسان يضع أعلى عضو من جسده على التراب (٣٤) مرة في اليوم كحد أقل في سبعة عشر ركعة واجبة، وهذا لأجل تربية النفس على الاحتراز عن التكبر، والغرور، وعلى التواضع أمام الله ﷻ.

التواضع، وإن كان أمراً لازماً أمام الناس جميعاً، ولكن الأكثر إلزاماً هو التواضع أمام الوالدين، والمعلم، والمؤمنين. والتواضع لأهل الإيمان من أهم علامات الإيمان، ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

خلافاً لما طلبه المتكبرون من إبعاد الفقراء عن مجالسة الأنبياء، كان جواب الأنبياء: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣).

لماذا يتكبر الإنسان وأوله نطفة وآخره جيفة؟!

أليس علمه المحدود في معرض الزوال بالنسيان؟!

أليس الجمال، والقوة، والشهرة، والثروة في معرض الزوال؟!

ألا يشاهد المرض، والفقر، والموت في المجتمع؟!

ألا يلاحظ كيف أن قدراته تضمحل؟!

فلماذا يتكبر وقد وصف الله ﷻ المتكبر بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولًا﴾^(٤).

نماذج من تواضع أولياء الله ﷻ

١ - أفضل خلق الله ﷻ، أي النبي الأكرم ﷺ، كان يجلس مع الناس دون أن يتمكن أحد من التمييز بينه وبينهم، فإذا دخل أحدهم مجلسه كان يسأل: أيكم رسول الله ﷻ^(٥).

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٤٧.

(٣) سورة هود: الآية ٢٩.

- ٢ - عندما كان يسافر مع أصحابه كان يساعدهم في إعداد الطعام كواحد منهم وكان يتكفل جمع الحطب^(١).
- ٣ - وكان ﷺ إذا رأى أن أحدهم لم يجد مجلساً يجلس فيه رمى له بثوبه ليجلس عليه^(٢).
- ٤ - كان يلبس الثياب البسيطة، يركب على الحمار العاري، يجلس مع العبيد، يسلم على الأطفال، يرتق نعله وثوبه، يقبل دعوة الناس، يكنس البيت، يمد يده إلى الناس كافة، لا يكثر من الطعام^(٣).
- ٤ - عن أبي بصير قال: دخل أبو عبد الله ﷺ الحمام فقال له صاحب الحمام: أخليه لك؟ فقال: «لا حاجة لي في ذلك، المؤمن أخف من ذلك»^(٤).
- ٥ - كان أصحاب الإمام الرضا ﷺ يصرون على أن يجعلوا مائدة طعام الغلمان منفصلة عن مائدته، ولكنه لم يكن يقبل منهم ذلك^(٥).
- ٦ - دخل الرضا ﷺ الحمام فقال له بعض الناس: دلكني فجعل يدلكه فعرّفوه، فجعل الرجل يعتذر منه، وهو يطيب قلبه ويدلكه^(٦).
- ومن علامات التواضع قبول النقد والرأي المعارض من الغير والجلوس في مكان أقل من شأنه.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩)

إشارات

□ عن أبي الحسن ﷺ: «سرعة المشي تذهب بيهاء المؤمن»^(٧).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧، سيرة النبي ﷺ.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٣٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١٥٥؛ وج ٧٣، ص ٢٠٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٤٧.

(٥) محمد تقي فلسفي، كودك (الطفل)، ج ٢، ص ٤٥٧.

(٦) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٩٩.

(٧) تفسير نور الثقلين.

□ ورد في الحديث: «الرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن»^(١).

□ في كلام لقمان تسع وصايا بصيغة الأمر، ثلاثة بصيغة النهي، وسبع أدلة لهذه الأوامر والنواهي:

الأوامر التسع:

- ١ - الإحسان إلى الوالدين.
- ٢ - شكر الله ﷻ والوالدين.
- ٣ - مصاحبة الوالدين بالمعروف.
- ٤ - اتباع سبيل المؤمنين والتائبين.
- ٥ - إقامة الصلاة.
- ٦ - الأمر بالمعروف.
- ٧ - النهي عن المنكر.
- ٨ - التواضع في المشي.
- ٩ - غَضُّ الصوت.

وأما النواهي الثلاثة:

- ١ - النهي عن الشرك.
- ٢ - النهي عن تصغير الخد للناس.
- ٣ - النهي عن المشي متكبراً.

وأما الأدلة السبعة فهي:

- ١ - ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.
- ٢ - لأن الشرك ظلم فلا تشرك، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

- ٣ - لأن الناس كلهم يعودون إلى الله ﷻ وسوف يحاسبون، فيجب الإحسان إلى الوالدين، ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾، ﴿إِلَى مَرْجِعِكُمْ﴾.
- ٤ - لأن الله بكل شيء عليم فإن على الإنسان أن يراقب نفسه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.
- ٥ - لأن الصبر مهم فعليك بالصبر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.
- ٦ - لأن الله لا يحب المتكبرين فلا تتكبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾.
- ٧ - لأن أنكر الأصوات صوت الحمير، فلا ترفع صوتك، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

التعاليم

- ١ - الإسلام دين جامع، ولذا تضمن الأمر حتى بكيفية المشي، ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.
- ٢ - العقائد والأخلاق إلى جانب بعضهما في التعاليم الإلهية، ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ... وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.
- ٣ - يوصي القرآن الكريم بالقصد في المشي، فلا إفراط ولا تفريط، ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.
- ٤ - القصد ليس في المشي فقط بل في كل عمل تقوم به، ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.
- ٥ - غض الصوت مطلوب، فاحترز عن الصياح وليكن كلامك هادئاً ومعتدلاً، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.
- ٦ - الصياح ورفع الصوت أمران مذمومان وقبيحان، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ «الإسباغ» بمعنى «التوسعة».

□ أشارت هذه الآية إلى نوعين من النعم: النعمة الظاهرة: كالصحة، الرزق، الجمال ونحو ذلك، والنعمة الباطنة كالإيمان، المعرفة، الطمأنينة، حسن الخلق، المدد الغيبي، العلم، الفطرة، الولاية.

□ لعل من الممكن القول إن المراد من العلم في هذه الآية الاستدلال العقلي. والمراد من الهداية، الهداية الفطرية. والمراد من الكتاب الوحي الإلهي. وبعض الناس، دون استناد إلى أي من العقل، والفطرة، والوحي يبدون رأيهم في الله ﷻ.

التعاليم

١ - الغفلة عن الظواهر الطبيعية ودورها في حياة البشر سبب موجب للمذمة والتقريع، ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾.

٢ - كل ما خلقه الله ﷻ كان لهدف ولكي يستفيد منها الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾.

٣ - الإنسان قادر على تسخير ما في السموات وما في الأرض، ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾.

٤ - النعم الإلهية وافرة وواسعة، ﴿وَأَسْبَغَ﴾؛ وتقع تحت يد العباد، ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ وهي متنوعة، ﴿ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾.

٥ - لا ينبغي بنا أن نغفل عن النعم الإلهية الباطنة، بل علينا الالتفات إليها، ﴿أَلَمْ تَرَوْا... وَبَاطِنَهُ﴾.

٦ - على الرغم من سعة النعم الإلهية ووفرتها فإن الإنسان يجادل في الله وهذا نوع من كفران النعمة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ... يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾.

٧ - الجدل المنطقي حسن، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، ولكن الجدل بغير علم، وبعيداً عن هدى الله ﷻ، وبما يخالف كتاب الله أمر مذموم^(٢)، ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) يقول الملاء صدرا في كتابه الأسفار: «تباً لفلسفة تخالف الكتاب والسنة».

٨ - العقل، والفترة، والوحي، فقط دون غيرهم من مصادر المعرفة في الرؤية الإلهية الكونية، ﴿عَلِمَ، هَدَى، كَتَبَ مُنِيرٌ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢١)

إشارات

□ تدل كلمة «قيل» على شدة تعصب الكفار؛ لأنهم لا يقبلون كلمة الحق من أي قائل، بل يلجأون إلى الجدال والعناد مع أي قائل كان، ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾.

التعاليم

١ - من نماذج الجدال بالباطل التعصب للمعتقدات الباطلة لدى الآباء، ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ... قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾.

٢ - يجب اتباع الوحي وما أنزل من عند الله ﷻ، ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

٣ - من خلال دعوة المنكرين إلى الحق نلقي الحجة عليهم، ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾.

٤ - أمام الإنسان طريقان:

أ - طريق الله: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

ب - طريق الشيطان: ﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

٥ - لعقائد الآباء تأثيرها على الأجيال القادمة، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾.

٦ - التقليد والتعصب الأعميان منهيين عنهما، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا... أُولَئِكَ كَانَ﴾ (التعصب بغير حق يمنع الإنسان من قبول الحق).

٧ - للبيئة والمحيط، والمجتمع، والتاريخ تأثيرهم على اختيار الطريق، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ (على الإنسان أن يتبع العلم، والعقل، والوحي، لكي يحترز بها عن أي انحراف يقع في البيئة والمحيط، والمجتمع، والتاريخ).

٨ - الأساس هو منطق الحق، لا القومية ولا عقائد الآباء وعاداتهم، ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ...﴾.

٩ - يعمل الشيطان باستمرار على دعوة الإنسان إلى الباطل، ﴿كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾.

١٠ - كل طريق عدا طريق الوحي ضلال، يفضي بالإنسان إلى عذاب جهنم، ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

١١ - عاقبة اتباع المعتقدات الباطلة للآباء عذاب جهنم، ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢)

إشارات

□ ورد في القرآن الكريم مائة وأربعين مرة كلمات تعود إلى مادة (سلم) نحو: سلام، إسلام، ومسلم.

□ ورد في الآية السابقة أن طائفة من الناس كانوا يتبعون أهل الضلال ويوالونهم؛ وفي هذه الآية يتحدث عن المؤمنين بالله ﷻ الذين يسلمون وجههم إلى الله ويتبعون آياته. وفي الآية السابقة يتعرض لدعوة الشيطان للناس إلى عذاب السعير، وفي هذه الآية يشير إلى طريق النجاة من وساوس الشيطان وذلك من خلال التسليم لله ﷻ والإحسان.

□ التسليم لغير الله فيه عبودية وأسر، وأما التسليم لله ففيه الحرية والصواب والرشد. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾^(١)، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ يَجْتُمِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

وقد صدر الأمر الإلهي للبشر بأن يسلموا ﴿فَلَهُ أَسْلَمُوا﴾^(٣)، والنبي أيضاً

(١) سورة الجن: الآية ١٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٤.

أمر بالتسليم لله ﷻ: ﴿أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾^(١)، وكذا في هذه الآية: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، ويقول ﷻ كذلك: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢)، وكذلك ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾^(٣).

□ يعتمد الإنسان للنجاة والوصول إلى ما يريد على العديد من الأمور: كالسلطة، والثروة، والمقام، والعائلة، والأصدقاء، النسب و...، ولكن هذه كلها سوف يأتي يوم لا يمكن الاعتماد عليها، وتفقد أي قدرة على التأثير. وما ينفع الإنسان في ذلك اليوم، ويبقى، ويكون سبباً في نجاته هو التسليم لله ﷻ والعمل الصالح الذي جاء به.

□ ورد في الروايات أن الأنبياء المعصومين وأهل بيت النبي ﷺ، ومودتهم هي العروة الوثقى التي بها يكتب للإنسان النجاة: «نحن العروة الوثقى»^(٤)، «العروة الوثقى المودة لآل محمد»^(٥).

التعاليم

- ١ - التسلم لله ﷻ أمر اختياري ولا إكراه فيه ولا إجبار، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾.
- ٢ - التسليم لله ﷻ لا بدّ من أن يقترن بالعمل، ﴿يُسْلِمَ... وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.
- ٣ - لا يكفي أن يكون الإنسان من المحسنين؛ بل لا بدّ من أن يكون ذلك عن إخلاص في العمل، ﴿يُسْلِمَ وَجْهَهُ... وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.
- ٤ - عليكم بيان المجردات عن طريق تمثيلها وتشبيهها بالمحسوسات والماديات، (العمل الخالص يشبه بالعروة الوثقى)، ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.
- ٥ - اختر الطريق الذي تريده مع الالتفات إلى المعاد والتفكير بالمستقبل، ﴿وَالِ اللَّهَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.
- ٦ - الخلق كله يسير إلى هدف واحد وفي اتجاه واحد، ﴿وَالِ اللَّهَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦٠.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٨٥.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٥.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ﴾

إشارات

□ تنهى هذه الآية النبي ﷺ عن الحزن بسبب كفر بعض الناس وعدم إيمانهم، وهذا يدل على أمور منها:

- أ - إنهم لا قَدَرٌ لهم بنحو يستدعي أن يحزن النبي ﷺ على كفرهم.
 - ب - الحزن على كفرهم قد يعيقك عن القيام بالأعمال الأخرى.
 - ج - كفرهم لن يضرك شيئاً.
 - د - إنك لم تقصر في وعظهم ودعوتهم فلا تقلق عليهم.
 - هـ - لأن مرجع الكفار إلينا، ولا طريق لهم للفرار فلا داعي للحزن.
- المستفاد من تقديم كلمة «إلينا» على كلمة «مرجعهم» أن المرجع فقط إليه. والمستفاد من كلمة «مرجع» أنه المبدأ أيضاً؛ لأن «المرجع» بمعنى رجوع الشيء إلى مبدئه. مضافاً إلى أن جملة «إلينا مرجعهم» هي جملة اسمية، وهي تدل على حتمية المعاد.

التعاليم

- ١ - المقارنة بين المحسن والمسيء باب للمعرفة وللأختيار، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ... وَمَنْ كَفَرَ﴾.
- ٢ - النبي ﷺ حريص على الناس جميعاً؛ لذا كان يشعر بالأذى من كفر بعض الناس، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾.
- ٣ - الأنبياء يحتاجون أيضاً إلى ما يسليهم ويعزيهم، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾.
- ٤ - مهمة أئمة الدين هي إرشاد الناس لا الوصول إلى نتيجة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾.
- ٥ - كفر الناس له تأثيره على مصيرهم هم، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

- ٦ - لا ينبغي للكافر أن يسر لأن مرجعه إلى الله ﷻ، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾.
- ٧ - مرجع الإنسان ومبدؤه إلى الله ﷻ فقط، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾.
- ٨ - أمران يبعثان على سعة الصدر ورفع حالة الحزن لدى المؤمنين من انحراف الكفار: أحدهما: استحضار علم الله ﷻ والآخر استحضار المعاد، ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ... عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (فلا داعي للحزن بعد أن علمنا أن كل شيء يرجع إلى الله ﷻ، وهو بكل شيء عليم).
- ٩ - يواجه الإنسان في يوم القيامة تقريراً عن كل عمل قام به، ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.
- ١٠ - الله ﷻ عليم بالنوايا وبما يبعث الإنسان على الفعل، وهو ما سوف يظهره لهم في يوم القيامة، ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- ١١ - تذكر حساب يوم القيامة قد يكون سبباً لمنع الإصرار على الكفر، ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.
- ١٢ - لا تغرنكم النعم الدنيوية؛ لأنها أمام النعم الأخروية في غاية القلة، ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا﴾.
- ١٣ - حساب قيمة العمل لا بد من أن يكون بالنظر إلى عاقبته، ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.
- ١٤ - كفر الكفار اليوم اختياري، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، ولكن دخولهم إلى جهنم غداً إجباري، ﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾.
- ١٥ - النعم المادية ليست سبباً للسعادة، ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥)

إشارات

□ ورد ما يشبه هذا التعبير في مواطن أخرى من القرآن الكريم، من ذلك الآيات:

٦١ و ٦٣ من سورة العنكبوت، و ٣٨ من سورة الزخرف، والتي تدل على أن المشركين لم ينكروا الخالقية لله ﷻ، بل كان شركهم في عبادة الأصنام ورجائهم لشفاعتها، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١).

□ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة يعنى على المعرفة بأن الله ﷻ خالقه، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢).

التعاليم

١ - لا يخفى حتى على المشركين أن الله هو الخالق، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

٢ - يقر المشركون، ضمناً، بانحرافهم، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

٣ - الخلق كله من عند الله ﷻ، فالحمد له وحده، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٤ - لا بد من أن يكون الحمد باللسان، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٥ - انحراف أهل الشرك يعود إلى جهلهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

التعاليم

١ - الله ﷻ غني عن العالمين، في الخلق وفي التدبير، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ... لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ... هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

٢ - الله ﷻ وحده هو الخالق والمالك للمخلوقات، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهو وحده الغني الذي يستحق الحمد والثناء، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

(٢) تفسير نور الثقلين؛ والشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٣٠.

٣ - الأمر بحمد الله ﷻ والثناء عليه في الآية السابقة لا حاجة منه إلى ذلك، ﴿قُلِ الْمَعْدُ لِلَّهِ... هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧)

إشارات

□ ورد في الآية ١٠٩ من سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا يُصَالِيهِ مِدَادًا﴾.

□ لعل المراد من الأبحر السبعة هو الكثرة، ولا خصوصية للعدد؛ أي لو أن مياه البحار تحولت إلى حبر وكُتبت بها كلمات الله لنفدت قبل أن تنفذ كلماته سبحانه.

التعاليم

- ١ - دين الأنبياء ﷺ يخرج بالإنسان من ضيق الأفق والرؤية إلى عالم رحب، ومطلق، ولا نهاية له، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا... مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.
- ٢ - الكلمات الإلهية لا تقبل العد، ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ما هي كلمة الله؟

- ١ - النعم الإلهية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ...﴾^(١).
- ٢ - السنن الإلهية: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾^(٢)، ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّلَ يَتَنَبَّهُمْ﴾^(٣).
- ٣ - الخلق الخاص من الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾^(٤).

(٣) سورة الشورى: الآية ٢١.

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٤) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٢) سورة الصافات: الآيتان ١٧١ و ١٧٢.

- ٤ - الابتلاءات التي يراد منها اختبار الإنسان: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِئُوسَهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(١).
- ٥ - الآيات الإلهية: ففي أمر مريم نقرأ: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾^(٢).
- ٦ - أسباب انتصار الحق على الباطل: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ أَلْحَقَ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

والمستفاد من ملاحظة مجموع هذه الأمور أن المراد من «الكلمة» ليس مجرد لفظ، بل المراد السنن، والمخلوقات، والإرادة واللفظ الإلهيين الذين يظهران في خلقه.

وبناء عليه فإن جميع الأقلام والبحار لا يمكنها أن تكتب كلمات الله ﷻ، أي لا يمكن كتابة ما خلق الله ولا كتابته الألفاظ الإلهية والسنن الربانية على مر التاريخ. (والله العالم).

□ ورد في رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: «نحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى»^(٤). نعم فأولياء الله هم واسطة في الفيض من عند الله ﷻ، وكل لطف وكمال يصل عن طريقهم.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

إشارات

□ التشكيك في المعاد يرجع في الأساس إلى أحد أمور ثلاثة: تارة إلى أنه كيف يمكن أن يعود الناس إلى الحياة بعد هذه المدة الطويلة من الموت، وثانية، بأنه كيف يمكن للأموات أن يعودوا إلى الحياة بعد أن أصبحوا رميمًا وضلوا في الأرض، وثالثة، بأنه من الذي يمكن أن يحيط بأعمال الناس جميعاً ونواياهم؟

وفي هذه الآية جواب واحد في جملة واحدة على هذه الشبهات الثلاث،

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧.

(٤) تفسير نور الثقلين، ذيل الآية.

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.

فالله ﷻ يقول إِنَّ خَلْقَ الْجَمِيعِ هُوَ كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَلَا تَأْثِيرَ لِلزَّمَانِ فِي ذَلِكَ، وهو الذي يعلم بكل ما تنطقون به، وهو البصير بكم.

التعاليم

١ - لا تأثير للزمان، أو المكان، أو الكمية والعدد، أو الظهور والخفاء على سعة العلم والقدرة عند الله ﷻ، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُمُ إِلَّا كَنَفِيرٍ وَجِدَّةً﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩)

إشارات

□ طول الليل والنهار وقصرهما، وبشكل تدريجي، له تأثيره على نمو بعض المخلوقات التي تحتاج إلى ظلمة أو نور أكثر.

□ تعرضت هذه الآية لطول الليل والنهار وقصرهما، وتسخير الشمس والقمر من قبل الله ﷻ، ثم تعرضت لحركة كل منهما لمدة معينة. وأما في آخر الآية فتذكر بأن الله ﷻ عليم بكل ما يقوم به هذا الإنسان من فعل، أي إن الهدف من عالم الوجود وما يجري فيه من متغيرات هو عمل الإنسان، فعلى الإنسان أن يعمل لكي يكون في فعله رضا الله ﷻ.

□ غالب الخطابات الواردة في القرآن الكريم لشخص النبي ﷺ لا تنحصر به، بل تشمل الناس جميعاً، ولذا ورد في القرآن الخطاب للنبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْثَىٰ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١)، مع أننا نعلم أن النبي ﷺ قد فقد والديه وهو حدث السن. فهما لم يكونا على قيد الحياة حتى يبلغا الكبر عند النبي. وكذلك الحال في هذه الآية عندما وجهت الخطاب بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، إلى النبي ﷺ ولكن في آخر الآية ورد قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وهذا يدل على شمولها للناس جميعاً.

التعاليم

- ١ - من طرق معرفة الله ﷻ التأمل في الطبيعة وأسرار عالم الوجود، ﴿الَّذِي تَرَى...﴾.
- ٢ - طول الليل والنهار وقصرهما ليس صدفة، بل هو من فعل الله وضمن تخطيط إلهي، ﴿يُولِجُ...﴾.
- ٣ - الشمس لها حركتها أيضاً، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي﴾.
- ٤ - لحركات الأجرام أمد محدد، ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
- ٥ - متغيرات الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر كله لأجل أن يستفيد منه هذا الإنسان، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (لذا ينبغي أن يكون في فعل الإنسان وسلوكه نفع وفائدة أيضاً).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

إشارات

□ تعرضت الآيات من ٢٣ إلى الآية ٣٠ لعشر صفات من الصفات الإلهية وهي: الغني، الحميد، العزيز، الحكيم، السميع، البصير، الخبير، الحق، العلي، الكبير، وفي كل آية إشارة إلى فائدة، ففي الآية ٢٥ حديث عن صفة الخالقية لله ﷻ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾، وفي الآية ٢٧ حديث عن النعم الإلهية، ﴿مَا نَقَدْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾، وفي الآية ٢٨ حديث عن القدرة الإلهية المطلقة والتي تستبين في المبدأ والمعاد: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ﴾.

□ الله ﷻ، وما كان من عند الله، وما يرتبط بالله ﷻ هو الحق فقط، وكل ما عداه وما عدا ما هو من عنده فهو باطل ومصيره الزوال والفناء.

التعاليم

- ١ - منشأ كافة الأفعال والصفات الإلهية في الخلق ثابت ودائم، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

- ٢ - الحق والباطل ملاك الاختيار، لا التقليد، أو الدعاية، أو الطمع، أو التهديد، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾.
- ٣ - ينبغي الحديث بلهجة حاسمة وواضحة عند بيان الحقائق، (تكررت في هذه الآية ثلاث مرات كلمة «أن» وفي ذلك دلالة على التأكيد).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُزِيكُم مِّنْ آيَاتِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

- حركة السفن في الماء نتيجة لمجموعة من النعم الإلهية، من ذلك: حركة الرياح، ووزن الماء وقوانين ضغط الماء هي عوامل حمل الماء للأجسام. مضافاً إلى أن البحار هي طرق طبيعية لا كلفة مادية فيها على الإنسان وهي للناس كافة، وتصل أجزاء الأرض بعضها ببعضها الآخر، وعلى الرغم من التطور الكبير في النقل الجوي ولكن غالب البضائع لا تزال تنقل عن طريق البحر.
- ورد الصبر مع الشكر في مواطن عدة من القرآن الكريم، ولعل سر ذلك يعود إلى أن ما يجري في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان إما أن يكون مطابقاً للمراد فيستحق الشكر، وإما أن يكون مخالفاً لميل الإنسان فلا بد من الصبر، فعلى الإنسان أن يكون دائماً في حالة شكر أو في حالة صبر وإلا فهو في حالة كفران وغفلة.

التعاليم

- ١ - علينا أن نتأمل في آيات الله في كل من الأرض والسماء، (فآيات السابقة أشارت إلى السماء، والقمر، والشمس، وهذه الآية تشير إلى الأرض، والبحر، والفلك)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ...﴾.
- ٢ - على الداعية إلى الله أن يستفيد في دعوته من العلوم والمعارف الطبيعية التي هي في متناول أيدي الناس، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ...﴾.

- ٣ - لا ينبغي أن ننظر إلى مظاهر الخلقة نظرة بسيطة، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فهي آيات الله ﷻ، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا...﴾.
- ٤ - حركة السفن في البحر هي من النعم الإلهية التي تحتوي على رموز وأسرار، ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾.
- ٥ - إذا أردنا أن نستجلي مظاهر القدرة الإلهية وأن نتنعم بالكثير من النعم الإلهية لا بدّ من أن نتملك الصبر الكبير، (الصبار: كثير الصبر)، ولا بدّ من أن نسعى لكي نستفيد من العطاء الإلهي بأفضل نحو ممكن مع الشكر المستمر، (شكور: كثير الشكر).

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْتَنِبُهُمْ
إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

□ «الظُّلُّ» جمع «الظِّلَّة» بمعنى الغيم التي تجعل ظلاً، وتستخدم غالباً في الموارد التي لا يكون فيها ما يسرّ. و«المقنصد» بمعنى «المعتدل» في الفعل، والموفي بالعهد.

□ كلمة «ختار» صيغة مبالغة بمعنى من يكثر منه نقض العهود، ولما كان المشركون والعصاة يلجأون إلى الله ﷻ في الشدائد ويعطون عهدهم وميثاقهم، فإذا زالت الشدائد عنهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه، وإذ تكرر ذلك منهم أطلق عليهم صفة «ختار».

□ إيمان جماعة من الناس يكون دائماً وثابتاً، ولكن إيمان جماعة آخرين يكون مرحلياً ومؤقتاً، أي فقط عندما تنقطع الأسباب والوسائل المادية فإنهم يتجهون إلى الله ﷻ.

التعاليم

١ - الإنسان يملك معرفة فطرية بالله ﷻ، ولكن الوسائل والأسباب المادية هي

كالحجب على الفطرة، والشدائد والمصائب تزيل هذه الحجب، ﴿غَشِيَهُمْ... دَعُوا اللَّهَ﴾.

٢ - النعم المادية سبب للغفلة، وأما الأخطار والشدائد فهي عامل تضرع وتوجه، وخلوص، وتحد من الغرور، ﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ... دَعُوا اللَّهَ﴾.

٣ - من طرق الوصول إلى الإخلاص قطع الأمل عن الأسباب العادية، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾.

٤ - الغفلة أمر عارض على أولياء الله ﷻ ﴿إِذَا سَأَهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾^(١)، ولكن لدى بعض الناس يكون الإخلاص أمر عارضاً، ﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ... مُخْلِصِينَ﴾.

٥ - الدعاء مع الإخلاص متوقع الإجابة، ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ... نَجِّهِمْ﴾.

٦ - الإنسان مالك لإرادته وحر في اختياره، ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾ (فبعض بعد زوال الشدائد يبقى في طريق الحق، وبعض يرجع إلى طرق الشرك، والكفر، والانحراف، وهذا دليل حرية الإنسان واختياره).

٧ - الاقتصاد والاعتدال من لوازم الإيمان، لم يقل: «فمنهم مؤمن»، بل قال: ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾.

٨ - نقض العهود وعدم الشكر يجران الإنسان إلى الكفر، ﴿وَمَا يَحْكُدُ رِجَالِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

الإخلاص

الإخلاص هو الإتيان بالعمل لله ﷻ وحده دون أن يُقصد غيره به، فلو قُصد غيره سبحانه بالعمل سقط عن مرتبة الإخلاص فبطل أو قارب البطلان.

- إذا كان اختيارنا لمكان الصلاة لغير الله كما لو وقفت للصلاة في مكان يراك فيه الناس أو تكون تحت مرأى كاميرا التسجيل.

- إذا كان اختيارنا لزمان العبادة لغير الله ﷻ كما لو كانت صلاتك في أول الوقت لكي تجذب الناس إليك.

- إذا كان شكلك والهيئة التي تأتي بها بالصلاة لغير الله ﷻ، كلبس العبادة، وتنكيس الرأس، تغيير الصوت؛ لأجل تحصيل رضا غير الله ﷻ.
فالصلاة تقع باطلّة في جميع هذه الموارد، وقد وقعت في الإثم بسبب الرياء.

وبعبارة أخرى: الإخلاص هو أن يتجاهل الإنسان كافة الميول والرغبات النفسانية، والطواغيت، والاتجاهات السياسيّة، وما يريده فلان أو فلان، ويكون نظره إلى طاعة الله ﷻ وأداء التكليف فقط لا غير.

نعم، الوصول إلى الإخلاص أمر غير ممكن إلا من خلال التوسل بالمدد الإلهي. وقد قال تعالى في الآية ٣٢ من سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِإِينَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

سبل الوصول إلى الإخلاص

١ - تذكر سعة العلم والقدرة الإلهيين

إذا علمنا أن العزة كلها، القدرة، الرزق بيد الله ﷻ فقط، فلن نتجه إلى غيره لكسب العزة، القدرة والرزق.

إذا علمنا أنّ الموجودات إنما خلقت بإرادة من الله ﷻ، وأنها جميعاً تفنى بإرادته. وإذا علمنا أنه هو سبب الوجود وسبب الفناء، أي هو الذي جعل الشجرة تسقط رطباً جنيّاً على مريم، وجعل النار المحرقة برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، فلن نتوسل إلا به ﷻ.

وقد دعت المئات من آيات القرآن الكريم وقصصه الناس إلى استحضار سعة القدرة الإلهية، لعلهم ينصرفون عن غيره ويتوجهون بإخلاص إليه.

٢ - الالتفات إلى بركات الإخلاص

ليس للإنسان المخلص من هدف سوى الوصول إلى رضا الله ﷻ، ومن

هدفه رضا الله فقط لا ينظر إلى رضا فلان أو لوم فلان، ولا يخاف الوحدة، ولا يتراجع في طريقه، ولا يندم على ما يقوم به، ولا يزعجه تجاهل الناس، ولا طريق لليأس إليه، ولا يبالي ما دام في طريق الحق من كثرة سالقيه أو قلتهم.

وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمَوْهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؛ ولذا عزم الإمام الحسين عليه السلام على الذهاب إلى كربلاء؛ لأن هدفه القيام بتكليفه سواء كتبت له الشهادة أم كتب له النصر.

٣ - الالتفات إلى الألفاظ الإلهية

الطريق الآخر الذي يجعلنا أقرب إلى الإخلاص هو الالتفات إلى الألفاظ الإلهية. فلا ننسى أننا لم نكن شيئاً مذكوراً، ثم من التراب والغذاء وجدت النطفة وبقينا في ظلمات الأرحام، لنطوي مراحل الكمال مرحلة بعد أخرى، إلى أن خرجنا إلى الدنيا بشراً سوياً. ولم نكن نعلم شيئاً سوى الارتضاع من ثدي الأم، وفيه غذاء كامل لكل ما يحتاج إليه الجسم، مع عطف الأم وحنانها، والتي كانت تجعل ليلها ونهارها في خدمة أطفالها. فهل يسمح وجدان يقظ لأي إنسان بعد وصوله إلى هذه النعم أن يلجأ إلى غير المنعم عليه بها؟ فلماذا نبيع أنفسنا إلى من لا حق له علينا ولم يلطف بنا أبداً.

٤ - الالتفات إلى إرادة الله ﷻ

إذا أدركنا أن قلوب الناس هي بيد الله ﷻ وهو مقلب القلوب، فإننا لن نأتي بعمل إلا لله ﷻ، وكلما احتجنا إلى معونة من الناس فإننا نسأل الله ﷻ أن يجعل لنا في قلوب الناس محبة ومكانة لكي يجعل الناس معنا.

فالنبي إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة تحت شمس الحجاز الحارة كان يسأل الله ﷻ أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذريته. ومضت الآلاف من السنين وفي كل سنة تجد ملايين العشاق تطوف حول الكعبة المشرفة.

فكم من الناس يوقع نفسه في الضيق والشدة لكي يحصل على رضا الناس ومحبتهم؛ ولكنه لا ينال شيئاً من ذلك، ومن الناس من لا ينظر إلى الناس،

الماديات، الشهرة، النعم، والجاه، والمقام، ولكن قلبه تعلّق بالله ﷻ، فجاء بالعمل مخلصاً لله ﷻ، وترى له من المكانة والعظمة والدرجة في قلوب الناس، وعليه فإن الهدف ينبغي أن يكون تحصيل رضا الله ﷻ، وأما رضا الناس فإنه يطلب من الله ﷻ.

٥ - الالتفات إلى بقاء العمل

إن العمل الذي يؤتى به لوجه الله يبقى، وأما إذا كان لغير الله ﷻ فإنه سرعان ما يفنى ويزول؛ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١).

٦ - مقارنة الثواب

ثواب الناس مهما عظم يكون محدوداً، فلو أراد الناس أن يجازوا نبياً من أنبياء الله ﷻ، فقدموا له أفضل الثياب، وأفضل الطعام، وأفضل البيوت، فإن هذا كله سوف يكون مؤقتاً ومحدوداً، ولذا تجد هذا كله حتى عند من لا يكون أهلاً لذلك، فتجد أن من لا يستحق يعيش ويتنعم بأنواع من الزينة، والقصور، والبساتين. وأما لو كان العمل لله ﷻ فإن ثواب ذلك لا حد له ولا نهاية، وهو مادي ومعنوي.

ولو أننا التزمنا جانب التفكير الصحيح، فإن العقل لا يجيز لنا أن نستبدل الثواب الباقي وغير المحدود بالثواب الفاني والمحدود.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْفُسَ رَبِّكُمُ الْأَخْسَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

إشارات

□ عبارة «لا يجزى» تصدق على الثواب والعقاب، كما تأتي بمعنى الكفاية والكفالة، والمراد منها هنا المعنى الثاني. «الغرور» صيغة مبالغة بمعنى كثير الغرور ومصادقه الواضح هو الشيطان، ويطلق على كل أحد أو شيء يكون سبباً لاغترار الإنسان.

التعاليم

- ١ - لا بد لنا جميعاً من أن نتبع طاعة الله ﷻ، وأن نحترز عن أنواع الانحراف العقدي، والأخلاقي، والعملية، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.
- ٢ - التقوى هي أفضل زاد للإنسان يوم لا ينصر أحد أحداً حتى الوالد ولده والولد والده، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ...﴾.
- ٣ - خطر القيامة عظيم؛ لذا لا بد من استمرار الإنذار به، (ورد في الآية أمران ونهيان: ﴿اتَّقُوا... وَأَخْشَوْا... فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ... وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ﴾).
- ٤ - يوم القيامة يوم عظيم، (كلمة «يوماً» وردت نكرة ومع التنوين، وهذا شاهد على العظمة) ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾.
- ٥ - كل إنسان مسؤول عن عمله في يوم القيامة، ولا أحد يحمل وزر غيره، ﴿لَا يَجْزَى... شَيْئًا﴾.
- ٦ - الدنيا والشیطان هما سببا غفلة الإنسان عن القيامة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفُرُودُ﴾.
- ٧ - لا ينفع الحسب ولا النسب في يوم القيامة، ﴿لَا يَجْزَى وَالِدٌ... وَلَا مَوْلُودٌ﴾ (عندما لا ينصر الوالد المولود ولا العكس؛ فإن حساب الآخرين يكون بيتاً).
- ٨ - الخوف من يوم القيامة يجعل الإنسان في حصن من الاغترار بالدنيا، ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا... وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفُرُودُ﴾.
- ٩ - قد يستفيد الشيطان في بعض الأوقات حتى من أكثر الأمور قداسة لأجل إيقاع الناس، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفُرُودُ﴾.

القيامة يوم الوحدة

الله ﷻ حكيم والحكيم لا يفنى صنعه. والدنيا بيت يخبره مهندسه ليني ما هو أفضل منه، ولذا كان الموت وطبقاً للروايات تغييراً للمتل، ومقدمة للتكامل والحياة الأبدية.

مضافاً إلى العدالة الإلهية فإن ضرورة وجود القيامة ترجع إلى الإنسان أيضاً،

لأننا نجد أن المحسن والمسيء لا ينالا جزاءهما في هذه الدنيا، ولذا لا بدّ من أن يجعل الله ﷻ وهو العَدِلُ يوماً لينال كل منهما ثوابه وعقابه.

إننا وإن شهدنا بعض أنواع الثواب والعقاب في هذه الدنيا، ولكن بعض الأعمال لا يصل ثوابها ولا عقابها إلا في يوم القيامة، لأن بعض أنواعها قد لا يكون له وجود في هذه الدنيا، فمن استشهد في سبيل الله ﷻ كيف ينال ثوابه في هذه الدنيا وقد غادرها، ومن قتل الكثير من الناس في هذه الدنيا لا يمكن أن يقتل إلا مرة واحدة في هذه الدنيا.

مضافاً إلى أن الثواب والعقاب في هذه الدنيا سوف ينال كل من يرتبط بمن يُجازى بهما، مع أنه قد لا يكون مقصراً، وهذا يعني أن العقاب سوف ينال غير مستحقه.

كما إن جمع ذرات الموتى بعد ضلالها في الأرض وانتشارها ليس أمراً مستحيلاً، فكما إن زبدة اللبن تتجمع عندما يخض السقاء، فكذلك الأرض عندما تخض خضاً تتجمع أجزاء الموتى جميعها في مكان واحد، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(١) هذا مع قطع النظر عن أننا قد خلقنا من خلية واحدة، وهذه الخلية قد تكونت من ذرات التراب التي استحالت قمحاً أو أرزاً أو خضرة أو غير ذلك فكانت غذاء للوالدين، ثم صار الغذاء نطفة، إلى أن صار إنسان كاملاً.

وما يلفت النظر في هذه الآية تلك الصورة الغريبة بعدم نصرة الوالد لولده وعجزه عن فعل شيء له. وقد تعرض القرآن الكريم في موارد أخرى، لبعض الصور، وجمّع هذه الصور يوضح لنا كيف أن الإنسان سوف يعيش الغربة، والذلة، والوحشة:

- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٢).

- ﴿وَلَا يَنْتَلِي حَمِيْدٌ حَمِيْمًا﴾^(٣).

(٣) سورة المعارج: الآية ١٠.

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ١ - ٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٨.

- ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَكُمْ فَيَعْتَدِرُوا﴾^(١).

- ﴿فَلَا أَصَابَ يَنْفُسَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾^(٢).

- ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(٣).

فذلك اليوم هو يوم الغربة والوحشة والوحدة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤)

إشارات

□ العلم بساعة الموت وساعة القيامة يختص بالله ﷻ. فالإنسان إذا علم ساعة موته أو ساعة القيامة وكانت بعيدة فإنه سوف يصاب بالغرور، فيغرق في الذنوب، ولو علم بساعة القيامة وكانت قريبة فسوف يصاب بالوحشة ولا ينشط في العمل، ولذا كان على الإنسان ما دام لا يعلم ساعة موته ولا ساعة القيامة أن يبقى على استعداد دائم.

□ العلم بما في الأرحام مما خص الله ﷻ به نفسه. فالأجهزة الحديثة والمختبرات وإن أمكنها اليوم تحديد نوع الجنين، وأنه ذكر أو أنثى، ولكن علم الله ﷻ أزلي غير محدود؛ مضافاً إلى أن قوله: يعلم ما في الأرحام لا يختص بجنس الجنين، وأنه ذكر أو أنثى، بل يتعلق بالإمكانات والقابليات وعشرات المسائل الأخرى، التي لا يمكن معرفتها بأي جهاز أو اختبار بشري.

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام: «عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود»^(٥).

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام في تفسير الآية: «من قدم إلى قدم»^(٥) أي إن الإنسان مشى خطوة فإنه لا يدري الخطوة الأخرى إلى أين تكون.

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٦.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٠.

(٥) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٣٩.

التعاليم

- ١ - العلم البشريّ محدود ولا يمكن مقارنته بالعلم الإلهيّ غير المتناهي، ﴿يَمْلَأُ... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾.
 - ٢ - لا بد من التخطيط والتنظيم وحسن التدبير في إدارة الأمور؛ ولكن ثمة قدرة أعلى لا يعلم الإنسان ما يجري له في غده، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.
 - ٣ - لا يعلم أحد أين ولا متى يموت، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (وقد ورد في الروايات أن بعض أولياء الله ﷺ كان يعلم مكان موته أو شهادته وزمانهما، ولكن ذلك علم علمه الله إياه ولم يَعْلَمْهُ على نحو الاستقلال).
 - ٤ - لا ينبغي الاعتماد على قارئ الحظ أو قارئ الكف أو أصحاب النبوءات فيما يرتبط بمستقبلنا، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.
 - ٥ - الإنسان الذي لا يعلم ساعة موته، ولا ما يحدث له في غده، لماذا يصاب بالغرور؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ...﴾.
 - ٦ - على الإنسان أن يبقى على الدوام مستعداً وحاضراً للمساءلة، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.
- اللهم اجعل القرآن لنا نوراً، وأملاً، ومنطقاً، وأساساً في تفكيرنا، وموعظة لنا، وشفاءً وسكينة ونجاة لنا.

أمين رب العالمين

والحمد لله رب العالمين



سُورَةُ السَّجْدَةِ

السورة: ٣٢ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٣٠



ملاحح سورة السجدة

سورة السجدة مكية عدد آياتها ثلاثون. وهي إحدى السور التسعة والعشرون التي تبدأ بالحروف المقطعة التي يأتي بعدها ذكر عظمة القرآن الكريم.

وهي إحدى السور الأربعة التي فيها سجدة واجبة. وقد ورد في الحديث المنقول في تفسير مجمع البيان أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة قبل النوم مع سورة الملك.

وكسائر السور المكية تتعرض هذه السورة لما يتعلق بالمبدأ والمعاد، ومصير الكفار لتقوية إيمان المؤمنين وتثبيتهم في مواجهة ضغوط الكفار.

ورد في الآية الخامسة عشر منها ذكر صفة المؤمنين من الركوع والسجود والناس نيام، وتجب السجدة عند قراءة هذه الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

إشارات

□ تحدثنا مفصلاً في بداية سورة البقرة عن الحروف المقطعة؛ وقد ورد في بعض الروايات أن الحروف المقطعة هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم^(١).

□ سؤال: مع ملاحظة ما تعرض له الكتاب الكريم من الشك والترديد ونسبة الافتراء والكذب إليه من قبل المنكرين فكيف تصف بعض الآيات هذا الكتاب بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؟

الجواب: الآية تتحدث عن أن حقانية القرآن وما فيه من معارف لا شك فيها ولا شبهة. ولا تتحدث الآية عن أن أحداً لم يحصل له الشك والترديد فيها. وقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى في الآية ٢٣: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾؛ وطبقاً لما يذكره صاحب تفسير في ظلال القرآن فإن الورد الصناعية لا تصبح وردة طبيعية، لأن الورد الطبيعية تشهد بنفسها على أنه لا شك في كونها طبيعية.

□ ورد التأكيد في عددٍ من الآيات على أن القرآن من عند الله ﷻ من ذلك:

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- ﴿وَلِلَّهِ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

- ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾^(٣).

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٤).

(١) تفاسير مجمع البيان ونور الثقلين.

(٣) سورة يس: الآية ٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٢.

(٤) سورة الزمر: الآية ١.

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

- ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣).

- ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى﴾^(٤).

نعم لقد نزل القرآن الكريم ممن بيده عالم الوجود، وكل شيء خاضع له، العزيز، الرحيم، الحكيم، العليم والحميد.

التعاليم

- ١ - لقد كان القرآن الكريم في عصر نزوله على صورة كتاب، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾.
- ٢ - لا مجال للريب في القرآن الكريم؛ لأنه من رب العالمين، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٣ - الربوبية الإلهية قضت بإرسال كتاب لا ريب فيه، ﴿تَنْزِيلٌ... مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٤ - كتاب التشريع منسجم مع كتاب التكوين، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٥ - نزول الكتاب لما فيه من كمال وتربية بعالم الوجود بتمامه، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٥)

إشارات

- «النذير» من «الإنذار» وتطلق على التخويف عن علم.
- سؤال: مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥)، فكيف تحدث هذه الآية عن أن قوم النبي ﷺ ما أتاهاهم من نذير؟

(٤) سورة طه: الآية ٤.

(٥) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(١) سورة غافر: الآية ٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢.

الجواب:

- أ - قبل الإسلام لم يكن سكان الجزيرة العربية وأهل مكة أمة، بل كانوا فرقاً وجماعات مشتتة.
- ب - المراد أنه قبلك لم يأتهم نبي بدعوة عظيمة وعلمية، لا أنه لم يأتهم نذير.

التعاليم

- ١ - لا مانع من نقل شبهات أهل الضلال والباطل إذا كان ذلك للرد عليهم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾.
- ٢ - تكذيب القرآن أسلوب يعتمد الكفار دائماً، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ولكن عليك قول الحق ولا تياس من هداهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.
- ٣ - ليس للكفار من منطق، يستخدم هؤلاء سلاح الاتهام، ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾.
- ٤ - لا بد من السعي لنصرة الحق واتباعه في مواجهة سعي الكفار لإضعاف الحق، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾.
- ٥ - الحق من عند الله، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.
- ٦ - النبي الأكرم ﷺ محل عناية الله الخاصة، ﴿رَبِّكَ﴾.
- ٧ - إنذار الناس من الأهداف الأساس لبعثة الأنبياء، ﴿لِنُنْذِرَ﴾.
- ٨ - يجب على المبلّغ أن يطلع على تاريخ مخاطبيه، ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.
- ٩ - الإنذار يهدف إلى الهداية، ﴿لِنُنْذِرَ... لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.
- ١٠ - لا يكفي إنزال الكتاب وإرسال الرسول لتحقيق الهداية، بل لا بد من أن يتوافر في الإنسان الاستعداد للهدى، وأن يختار ذلك بنفسه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا مُفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

إشارات

- تطلق كلمة «نهار» في اللغة العربية على ما يقابل الليل، وأما كلمة «يوم» فتطلق على مجموع الليل والنهار، وعلى جزء من الليل والنهار.
- على الرغم من قدرة الله ﷻ على خلق السموات والأرض في لحظة، فإن إرادته تعلقت بخلق الموجودات بشكل تدريجي. وتحدث هذه الآية عن خلق السموات والأرض في ستة أيام.

التعاليم

- ١ - لنفي الشرك لا بد من الحديث عن القدرة الإلهية الأزلية وخلق السموات والأرض، ﴿خَلَقَ... اسْتَوَى... مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾.
- ٢ - لا انفصال بين خلق العالم وتديره، ﴿خَلَقَ... اسْتَوَى﴾.
- ٣ - العرش هو محل تدبير العالم وإدارته، ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.
- ٤ - من طرق الإنذار أن يبين للناس أن الأسباب المادية والارتباط بها لا تأثير لها وهي هباء، ﴿لِيُنْذِرَ... مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ﴾.
- ٥ - التذكير بالنعمة الإلهية من الأساليب المجدية في الإنذار، ﴿خَلَقَ... أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٦ - الإنسان يدرك الحقائق بفطرته؛ ولكنه بحاجة إلى تذكير يخرج به عن الغفلة، ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

إشارات

- سؤال: ورد في الآية الرابعة من سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي

يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٦﴾. وفي هذه الآية ورد أن هذا اليوم هو بمقدار ألف سنة؟

الجواب:

أ - ورد في الحديث: إن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون، ثم تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).
 ب - تتحدث هذه الآية عن عروج الأمر، وتلك الآية تتحدث عن عروج الملائكة، فلعل عروج الأمر في يوم مقداره ألف سنة وليس هذا في يوم القيامة، وأما عروج الملائكة ففي يوم القيامة يكون بألف سنة.

التعاليم

- ١ - تُدار الأرض من السماء، فمنها ينزل التدبير وإليها يعرج الأمر، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ... يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾.
 - ٢ - لا ينفصل التوحيد في الربوبية عن التوحيد في الخالقية، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾.
 - ٣ - التدبير الإلهي دائم ومستمر وليس مرحلياً، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾.
 - ٤ - كما إن الخلق كله منه وإليه يرجع، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فكذاك تدبير الأمور منه وإليه، ﴿مِنَ السَّمَاءِ... ثُمَّ يَعْرُجُ﴾.
- ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ^(٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ^(٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِيهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ^(٩)

إشارات

□ كلمة «سوى» من «التسوية»، وهي بمعنى إيجاد التعادل، والتناسب، والابتعاد عن الإفراط أو التفريط.

□ العالم على نحوين: بين وغير بين؛ وأما عند الله ﷻ فلا شيء يخفى ولا يغيب.

التعاليم

١ - القوانين الحاكمة في هذا العالم تقوم على أساس العلم الإلهي غير المتناهي، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ... عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ (نعم، تدبير كل مجموعة وإدارتها يتوقف على العلم بها).

٢ - لا فرق بالنسبة إلى العلم الإلهي بين الغيب والشهادة، ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

٣ - القدرة الإلهية تكون مع الرحمة، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٤ - كل خلق حسن، ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ (حتى السم في الحية له أهميته، كاللعباب في فم الإنسان فإنه نعمة، ولكنه متى خرج من الفم ووقع على شيء كان إهانة له).

٥ - كل شيء مخلوق هو من خلق الله ﷻ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾.

٦ - أفراد الإنسان بالذكر إلى جانب سائر المخلوقات دليل على الأهمية والقيمة الخاصة لهذا الإنسان، ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ... خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾.

٧ - ما يصير نقطة ليس سوى سلالة (خلية) من ماء، ﴿سُلَلْتُمْ مِنْ مَّاءٍ﴾.

٨ - جعل الله ﷻ من قطرة ماء مهين موجوداً شريفاً له قيمته، ﴿خَلَقَ... مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.

٩ - خلق آدم يختلف عن خلق بني آدم، ﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَلْتُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾؛ (خلق آدم كان من تراب ولكن خلق نسله كان من نقطة وماء).

١٠ - تلقى الكمالات الإلهية لا بد فيه من الاستعداد والتعادل، (فأولاً يسوى الجسم، ثم تنفخ فيه الروح)، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِيٍّ﴾.

١١ - من علامات شرف الإنسان، نفخ الروح الإلهية فيه، ﴿مِنْ رُوحِيٍّ﴾.

- ١٢ - خلق الإنسان الأول كان تدريجياً، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ... ثُمَّ سَوَّاهُ﴾.
- ١٣ - سعة دائرة نظر الإنسان أوسع من دائرة سمعه، (لا يمكن للإنسان أن يستمع إلى صوتين في وقت واحد؛ ولكنه يمكنه أن ينظر إلى أكثر من شيء في وقت واحد، مضافاً إلى أن الأذن لا يمكنها إلا أن تسمع صوت الأشياء والموجودات، وأما العين فيمكنها أن تدرك مكانها، لونها، حجمها، حركتها وسكونها)، (كلمة «السمع» وردت مفردة، وكلمة «الأبصار» وردت بصيغة الجمع).
- ١٤ - الأكثر أهمية في أعضاء الجسم ما يكون وسيلة للمعرفة، (لذا لم تتعرض الآية إلا للأذن، والعين، والقلب)، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتِدَةَ﴾.
- ١٥ - استذكار مراحل تكوّن الإنسان طريقٌ لمعرفة النفس ومعرفة الله وشكره، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.
- ١٦ - على الإنسان أن يكون شكوراً، وإلا كان مستحقاً للذم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

□ تحدثت الآية السابقة عما أعطاه الله ﷻ لهذا الإنسان من أدوات للمعرفة (السمع، البصر، والأفتدة)، ثم تحدثت عن أن قليلاً منهم ما يشكرون. وتحدثت هذه الآية عن بعض نماذج عدم الشكر من الإنسان ومنها إنكاره القيامة مع كل ما يراه من سعة القدرة الإلهية.

التعاليم

- ١ - احفظوا إيمان المؤمنين بنقل شبهات أهل الكفر والرد الحاسم عليها، ﴿وَقَالُوا...﴾.
- ٢ - ما كان يتردد فيه منكر المعاد هو المعاد الجسماني، ﴿ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٣ - ارفع شكك وترددك بالأدلة الواضحة والبيّنة، ولا الشك يجرك إلى الخراب، ﴿أَوَلَمْ يَلْقَآهُم كَافِرُونَ﴾.

٤ - الكفار أيضاً يخضعون لتدبير الربوبية الإلهية، ﴿يَلْقَآهُم كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١)

إشارات

□ كلمة «توفى» تعني استعادة الشيء تاماً. ونظراً إلى كون جسد الإنسان يبقى في مكانه؛ فالمراد من الاستيفاء التام هو استيفاء الروح. والتي هي حقيقة هذا الإنسان. ولو أنها ذهبت لذهب الإنسان بتمامه. وبناء عليه فالروح هي التي لها الأصالة، والاستقلال، والبقاء. وهذه الروح هي التي تعاد إلى الجسم وبها تعود الحياة إليه.

□ للقرآن الكريم تعابير ثلاث عن قبض الروح:

أ - ففي موضع يقول: ﴿تَوَفَّنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(١).

ب - في الآية المذكورة أعلاه ذكر أن الموكل إليه قبض الروح هو ملك الموت.

ج - ويقول تعالى في الآية ٤٢ من سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾.

وربما يمكن الجمع بين هذه الآيات على النحو الآتي: إنّ الملائكة تقبض الروح وتسلمها إلى ملك الموت الذي بدوره يسلمها إلى الله ﷻ. وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام: قد يموت في الدنيا في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصى إلا الله ﷻ، فكيف هذا؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة، له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاها الله تعالى من ملك الموت»^(٢).

ولعلّ اختلاف درجات الناس هو السبب في اختلاف قبض الأرواح، فعادة الناس تقبض أرواحهم الملائكة، وأهل الإيمان يقبض ملك الموت أرواحهم، وأما أولياء الله ﷻ فالله يتولى قبض أرواحهم.

التعاليم

- ١ - لا تتركوا الشبهات دون رد، ﴿وَقَالُوا... قُلْ...﴾.
- ٢ - حقيقة الإنسان بروحه، هذه الروح التي إن قبضت فكأن الإنسان قد قبض، ﴿يَتَوَفَّنَا﴾.
- ٣ - الملائكة لا يخيبون في أداء ما أمروا به، ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾.
- ٤ - موت الإنسان ودفنه، خطوة على طريق عودته إلى الحياة، كالبذرة التي تدفن لتصبح نباتاً، ﴿ثُمَّ لَكُمْ رَيْحُكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.
- ٥ - الله ﷻ الذي يتوفى الأنفس هو الذي يعيدها جميعاً بإرادة واحدة، ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢)

إشارات

□ تتحدث هذه الآية عن طلب المجرمين العودة إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، ولكن الرد عليهم، كما في الآية ٢٨ من سورة الأنعام، هو: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

التعاليم

- ١ - عناد المجرمين اليوم عاقبته أن تكون رؤوسهم منكوسة في يوم القيامة، وهذا موجب لهدوء خاطر النبي والمؤمنين، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾.
- ٢ - يوم القيامة يوم ندم المجرمين وتنكيس رؤوسهم، ﴿الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾.

- ٣ - يوم القيامة، يوم الاعتراف والإقرار، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.
- ٤ - يوم القيامة يوم انكشاف الحقائق، والإبصار، والسمع، (فمن سدّ سمعه وأغلق بصره عن الاستماع إلى الحق اليوم، سوف يقول غداً: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾).
- ٥ - العمل الصالح في هذه الدنيا هو السبب الوحيد للنجاة في يوم القيامة، ﴿فَاتَّبِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾.
- ٦ - سبب ارتكاب الذنوب التكذيب بيوم القيامة، (فهناك يقولون: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ ولكن ما نفع اليقين في ذلك اليوم)؟

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣)

التعاليم

- ١ - الفعل الإلهي خاضع لمشيئته وإرادته، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا...﴾.
- ٢ - الهدى لا بدّ من أن يكون عن اختيار لا عن إجبار، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا...﴾.
- ٣ - يختلف الناس في كيفية اهتدائهم، فلكل شخص هدايته الخاصة به، ﴿كُلٌّ نَفْسٍ هُدًى﴾.
- ٤ - لا تمنع سعة الرحمة من تحقق العذاب، ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾.
- ٥ - الجن كالإنسان محل للتكليف والرحمة والعذاب الإلهي، ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

إشارات

□ تعرضت الآيتان السابقتان لطلب المجرمين العودة إلى هذه الدنيا، ولعل هذه الآية في مقام الرد على هذا الطلب.

□ لا معنى لنسبة النسيان إلى الله ﷻ، ولذا فالمراد من قوله: نسينا، أننا في يوم القيامة نعامل الذين نسوا القيامة معاملة المنسين.

التعاليم

- ١ - بينوا سبب نزول العقاب بالمجرمين، ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾.
- ٢ - العقاب الإلهي عادل ومتماثل، ﴿نَسِيتُمْ... نَسِيتَكُمْ﴾.
- ٣ - ذكر المعاد باب النجاة، والغفلة عنه سبب للعقاب، ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾.
- ٤ - رأس فساد الأعمال في الغفلة عن المعاد، ﴿نَسِيتُمْ... كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٥ - استمرار العمل السيء موجب لاستمرار عذاب جهنم، ﴿عَذَابُ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٦ - لكل موقف وعمل عقابه المناسب، (تكرار «ذوقوا» يدل على أن نسيان القيامة يترتب عليه عذاب وعلى عمل الإنسان عذاب آخر).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾

إشارات

□ يجب السجود في أربع سور من القرآن الكريم عند تلاوة آية السجدة من هذه السور، وهذه السور هي: فصلت، النجم، العلق والسجدة، وهي التي يطلق عليها سور العزائم. وفي مذهب أهل البيت ﷺ أنه لا تجوز قراءة هذه السور في الصلاة بعد الفاتحة، ولا يجوز للجنب والحائض تلاوة أي آية من آيات هذه السور.

التعاليم

- ١ - السجود، والتسبيح، والحمد من علامات المؤمن، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ﴾.
- ٢ - يعتمد الأسلوب التبليغي للقرآن الكريم مضافاً إلى رسم صورة المجرمين، على رسم سيماء المؤمنين، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا...﴾.

- ٣ - عدم شمول الهداية الإلهية لبعض الناس بسبب حالة التكبر في نفوسهم، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى... إِنَّمَا يُؤْمِنُ... الَّذِينَ... لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.
- ٤ - الآيات الإلهية في كمال الانسجام مع فطرة الإنسان وعقله، ولا يحتاج إلا إلى التذكير، ﴿إِذَا ذُكِّرُوا...﴾.
- ٥ - سجود المؤمنين لا يختص بحال الصلاة، ﴿إِذَا ذُكِّرُوا... خَرُّوا﴾.
- ٦ - العبادة تتحقق في ظل مجموعة من الأمور، هي: الزمان ﴿إِذَا﴾، والأرضية الفكرية ﴿ذُكِّرُوا﴾، وأخيراً العمل ﴿خَرُّوا﴾.
- ٧ - لا بدّ من أن يكون السجود عن خشوع، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾؛ إذ تصوّر الآية الأمر وكأنه انهيار للجسد وسقوط إلى التراب بين يدي الله تعالى.
- ٨ - التسبيح مع الحمد أفضل ذكر في حال السجود، ﴿سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.
- ٩ - للسجدة قيمتها إذا لم يلحقها تكبر وغرور، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا... وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

التعاليم

- ١ - من علامات المؤمن القيام في السحر، وحرمان النفس من لذة النوم، ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾.
- ٢ - العبادة التي تكون في السر والخفاء أعظم من غيرها، ﴿نَتَجَافَى﴾.
- ٣ - المؤمن لا ييأس ولا يغترّ، فهو يعيش بين الخوف والرجاء، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.
- ٤ - من خصال المؤمنين على الدوام: التواضع، والقيام في السحر، والإنفاق، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ... يَدْعُونَ... يُنفِقُونَ﴾ (جميعها وردت بصيغة المضارع).
- ٥ - الارتباط بالله ﷻ في السحر لا بدّ من أن يكون مع الإنفاق على أهل الحاجة، ﴿يَدْعُونَ... يُنفِقُونَ﴾.

٦ - لا ينحصر الإنفاق بالمال، بل يشمل العلم والجاه وغير ذلك مما يملكه الإنسان، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

إشارات

□ في القرآن الكريم تعابير مختلفة عن الثواب الإلهي: ففي موضع ورد التعبير بـ: ﴿ضِعْفٌ﴾^(١) أي مرتين، وفي مورد آخر ورد التعبير بـ: ﴿أَضْعَافًا﴾^(٢)، أي ما يزيد عن مرتين، وفي ثالث ورد التعبير بـ: ﴿عَشْرُ أَثَالِيهَا﴾^(٣)، وفي مورد ورد تشبيهها بالحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فيكون مضاعفاً سبعمائة مرة^(٤)، ولكن في هذه الآية ورد ما فوق العدد والرقم، فورد التعبير بأن أحداً لا يعرف ما أخفي لهؤلاء الذين يقومون في الليل وينفقون.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن، إلا صلاة الليل، فإن الله، عز اسمه، لم يبين ثوابها، لعظم خطرها»^(٥).

التعاليم

١ - أعظم الأجر يترتب على قيام السحر، وصلاة الليل، والإنفاق على أهل الحاجة، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾.

٢ - بعض الثواب الإلهي لا يمكن للإنسان أن يحيط به، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾.

٣ - من أساليب التربية أن لا يعلم مقدار الثواب ولا نوعه، بل يبقى خفياً، ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾.

٤ - العبادة المخفية ثوابها مخفي، ﴿نَتَجَافَى... أُخْفِيَ لَهُم﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٥) تفاسير مجمع البيان والميزان.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

٥ - لنيل الثواب بلا حساب لا بد من القيام في الليل وتحمل مشقة ذلك، ﴿تَجَافَى... أَخْفَى لَهُمْ﴾.

٦ - الثواب على العمل وليس على القول، ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨)

التعاليم

١ - استعينوا على بيان الحق بتوجيه الأسئلة إلى وجدان الناس، ﴿أَفَمَنْ كَانَ...﴾.

٢ - أسلوب المقارنة من أفضل أساليب التعليم، ﴿أَفَمَنْ كَانَ... كَمَنْ كَانَ﴾.

٣ - لا يقف الكفار وحدهم في مواجهة المؤمنين، بل الفساق معهم أيضاً في ذلك، ﴿مُؤْمِنًا... فَاسِقًا﴾.

٤ - اطرحوا الأسئلة على الناس، ولكن أعلموهم أيضاً بالحق والصواب، ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠)

إشارات

□ تعرضت الآية الثامنة عشر، بالإجمال، لكون المؤمن والفاسق لا يستوون، وهاتان الآيتان تفصيل لذلك الإجمال.

التعاليم

١ - الإيمان لا ينفصل عن العمل، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا...﴾.

٢ - عمل المؤمن بتمامه لا بد من أن يكون صالحاً، ﴿الصَّالِحَاتِ﴾.

٣ - حقائق الجنة منازل للمؤمنين، ﴿نُزُلًا﴾.

- ٤ - الفاسق المنكر ليوم القيامة سوف يخلد في جهنم، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا... أُعِيدُوا﴾.
 ٥ - العذاب الجسماني لأهل جهنم يترافق مع العذاب المعنوي، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا﴾.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾

إشارات

□ عذاب الدنيا قريب ولكنه قليل، وأما عذاب الآخرة فهو بعيد ولكنه كبير، وطبقاً للقاعدة فإن المقابل لكلمة «أدنى» كلمة «أبعد»، ولكن لا يمكن وصف عذاب الله بأنه بعيد، ولذا وصفته الآية بأنه أكبر؛ كما إنه كان من الممكن استخدام كلمة «أصغر» مقابل كلمة «أكبر»، ولكن لأن عذاب الله لا يوصف بأنه «صغير»، جاءت كلمة «أدنى». وهذا هو سر استعمال كلمتي: «أدنى» و«أكبر».

□ ورد عن رسول الله ﷺ في المراد من «العذاب الأدنى» قال: «هي المصائب والأسقام، والأنصاب عذاب للمسرف في الدنيا»^(١).

التعاليم

- ١ - من السنن الإلهية إنزال العقاب بالمجرمين لعلمهم يتوبون، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.
 ٢ - لا ينفع في التربية استخدام أسلوب الرحمة والمحبة في كل زمان ومكان، بل لا بد من القسوة والعقاب أحياناً، ﴿الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾.
 ٣ - عذاب الآخرة أعظم من العذاب الدنيوي، ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾.
 ٤ - عذاب الدنيا جرس إنذار لليقظة من الغفلة واللجوء إلى التوبة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (فطريق العودة مفتوح حتى لأهل المعاصي).

(١) نور الثقلين وكثر الدقائق.

- ٥ - لا يتنافى العذاب الدنيوي مع العدل الإلهي، لأنه يقوم على أساس الحكمة وإصلاح الناس، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.
- ٦ - يكفي في التربية احتمال التأثير ولا يشترط اليقين بذلك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.
- ٧ - على الرغم من نزول العذاب الدنيوي، فإن توبة أهل المعاصي لا تكون عن إجبار، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٢)

إشارات

□ ورد في الآية الخامسة عشر أن المؤمنين إذا ذكروا بآيات الله خروا سجداً، ومقابل هؤلاء من إذا ذكر بآيات الله أعرض.

التعاليم

- ١ - أعظم ظلم للنفس وللمجتمع الإعراض عن آيات الله ﷻ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.
- ٢ - تذكير الله ﷻ للمؤمن ولغير المؤمن كل بنحو خاص، ﴿ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾، ﴿ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ﴾.
- ٣ - الإعراض عن التذكير الإلهي أسوأ من الذنب، ﴿ذُكِّرُوا... أَعْرَضَ... أَظْلَمُ﴾.
- ٤ - لا تتنافى رحمة الله ورحمانيته مع العذاب، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾.
- ٥ - الإعراض عن آيات الله جرم، والمجرم في معرض نزول العذاب الإلهي، ﴿مُنْقِمُونَ﴾.
- ٦ - لا يكفي التذكير والمحبة، بل لا بد من عقاب المجرمين والشدة معهم، ﴿مُنْقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ

مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٣)

إشارات

□ في المراد من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾، احتمالات عدة، منها:

- أ - عدم الشك في ملاقات النبي موسى ﷺ لربه وتلقيه الوحي منه.
- ب - عدم الشك في لقاء القرآن والوحي (وتؤيده الآية الثالثة من هذه السورة).
- ج - عدم الشك في لقاء القيامة، (وتؤيده الآية العاشرة والرابعة عشر من هذه السورة).

التعاليم

- ١ - رسالة نبي الإسلام ونزول الكتب السماوية ليس أمراً لا سابق له، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.
- ٢ - الاطلاع على تاريخ الأنبياء سبب لطمأنينة خاطر النبي ﷺ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى... فَلَا تَكُنْ﴾.
- ٣ - لا ينبغي الشك أو التردد في وجود نبي سماوي، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ﴾.
- ٤ - التوارة أنزلت لهداية بني إسرائيل لا الناس كافة، ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (١١)

التعاليم

- ١ - تعيين الإمام حق من حقوق الله ﷻ، ﴿جَعَلْنَا... أُمَّةً﴾.
- ٢ - تحديد مضمون الهداية وأسلوبها ودائرتها، بيد الله ﷻ، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (وقد ورد في الحديث في التعليق على الآية: «لا بأمر الناس... يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم...»^(١)).
- ٣ - اليقين والصبر شرطان ضروريان للقيادة، (لا بد للقائد من أن يكون على يقين من الهدف الذي يريد، ومن أن يصبر حتى يصل إلى ما يريد)، ﴿صَبَرُوا... يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أن الله ﷻ هو الذي بيده حق اختيار الإمام وتعيينه. وفي هذه الآية ورد أن الله ﷻ هو الذي يفصل بينهم في ما كانوا فيه يختلفون. ولعل المراد من الاختلاف، الاختلاف في مسألة الإمامة، وأنهم لما كانوا يقفون في مواجهة من عيَّنه الله ﷻ بالعناد والجدال فإن الله ﷻ سوف يحاسبهم في يوم القيامة، وهو نوع من التهديد لمن يحمل لواء الرفض لمن عيَّنه الله ﷻ للناس إماماً.

التعاليم

- ١ - الفصل بين الناس في ما كانوا فيه يختلفون من شؤون الربوبية في يوم القيامة، ﴿رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾.
- ٢ - كافة الاختلافات سوف يُفصل بينها في يوم القيامة، ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- ٣ - لا حل للاختلافات الدينية في هذه الدنيا، ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- ٤ - الإنسان على مر التاريخ كان يعيش الاختلاف، ﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.
- ٥ - لا ينبغي لأئمة الدين أن يتوانوا عن القيام بواجبهم في نشر الدين وهداية الناس؛ لأن الاختلاف أمر مستمر، ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

إشارات

- «القرون» جمع «قرن» وهو بمعنى القوم أو الأمة التي تعيش في زمان ما.
- لما بينت هذه الآية حال الأمم السابقة وهلاكهم وكانت مسألة تاريخية تتلقى

بالسمع؛ كان تعبير القرآن في آخر الآية: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾. وأما في الآية التالية إذ كان الحديث عن اخضرار الأرض بعد مواتها وهو أمر يدرك بالبصر؛ كان التعبير القرآني: ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾.

التعاليم

- ١ - كان لأهل مكة خبر عن انقراض الأمم السابقة وكانوا يرون آثارهم المتبقية ، ولكنهم لم يعتبروا بذلك، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.
- ٢ - المتغيرات التاريخية تسير ضمن القانون، (هلاك الأمم السالفة من جهة والأمر بالاعتبار بذلك، علامة على أن المتغيرات التاريخية لا تتحقق صدفة، بل لها سر لا بد أن يكون عبرة)، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.
- ٣ - سقوط الأمم السابقة من أفضل العبر للآتين، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.
- ٤ - الأمم التي أهلكت في الماضي كثيرة جداً، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا... مِنْ الْقُرُونِ﴾.
- ٥ - يوصي الإسلام بالنظر في آثار الأمم السالفة، ولكن شرط أن يكون ذلك للاعتبار وأن لا يكون عن غفلة، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ... يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾.
- ٦ - أفضل مواقف العبرة حيث يكون الإنسان حاضراً، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾.
- ٧ - حفظ آثار الأمم السالفة ضروري لكي يعتبر بها الآتون، ﴿مَسْجِدُهُمْ﴾.
- ٨ - لا بد للإنسان من أن يبحث عن أسباب العزة والمذلة التي لحقت بالأمم السالفة وأن يعتبر بذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾.
- ٩ - انهيار الأمم والحضارات تجلُّ للآيات الإلهية، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾.
- ١٠ - إذا كان للإنسان قدرة على السماع فإن في الخرابة الخادمة رسالة، ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧)

إشارات

- «جرز» بمعنى الأرض القاحلة التي قلعت جذور نباتها^(١).
- تعرضت الآية السابقة لكون هلاك الأمم السابقة آية على القدرة الإلهية، وفي هذه الآية حديث عن كون عمارة الأرض كذلك.

التعاليم

- ١ - يعتمد الأسلوب التربوي في القرآن الكريم على بيان المتغيرات الطبيعية كأسلوب هداية، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٢ - حركة الغيوم المثقلة بالماء، ونزول المطر في الأماكن البعيدة عن البحار لا يتحقق صدفة، بل طبقاً للإرادة الإلهية الحكيمة، ﴿أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ...﴾.
- ٣ - إنما تثمر الأرض إذا نزلت عليها الماء، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ ولكن بعض القلوب مع كل ما ينزل عليها من آيات العبرة فإنها لا تثمر، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.
- ٤ - الحيوانات تتقدم على الإنسان في المنافع المادية، ﴿أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾، (فهو يأكل أكثر من الإنسان، وتنام أكثر، ولا تحتاج إلى مقدمات وإعداد ما تأكله).
- ٥ - من لا يستنير بنور البصيرة، لا يستحق أكثر من ذكر اسمه بعد اسم الأنعام، ﴿أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.
- ٦ - لا تعبر عن نظام نزول المطر وخروج النبات دون تأمل، ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨)
 قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾
 فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾، ولكن الكفار يسألون: متى يكون هذا الفتح لكم أيها المؤمنون؟ وهذا ما تعرضت له هذه الآية وأجاب عنه.

التعاليم

- ١ - لا بد من الرد على مقولات المنكرين والجاحدين، ﴿وَيَقُولُونَ... قَدْ﴾.
- ٢ - لا نفع من الإيمان في ساعة الاضطرار، ﴿لَا يَنْفَعُ... إِيمَانُهُمْ﴾.
- ٣ - الإمهال وإن كان سنة إلهية ﴿أَتَيْلَهُمْ رُسُلًا﴾^(١) ولكن له حد ينتهي إليه، ﴿وَلَا تُمْ يُنْظَرُونَ﴾.
- ٤ - آخر مرحلة بعد الاستدلال والإنذار الإعراض عن المنحرفين، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.
- ٥ - مرور الزمان يبين نقاط الاختلاف بين أتباع الحق وأتباع الباطل، ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾.
- ٦ - لا بد للإمام من أن يكون حسن الظن بالمستقبل وفي حالة انتظار له، ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾.
- ٧ - الكفار دائماً في حالة انتظار هزيمة المسلمين، ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

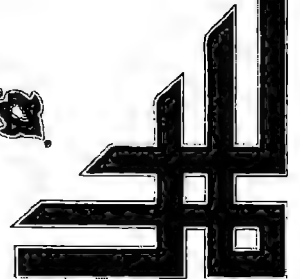
سورة الاحزاب



سُورَةُ الْأَحْزَابِ

السورة: ٣٣ الجزء: ٢١ - ٢٢

عدد الآيات: ٧٣



سورة الاحزاب

ملاحح سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنية عدد آياتها ثلاث وسبعون.

اجتمع اليهود في المدينة، مع مشركي مكة والمنافقين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين في السنة الخامسة للهجرة لمحاربة المسلمين وتحالفوا على ذلك، واضطر النبي ﷺ والمسلمون إلى حفر خندق حول المدينة لمواجهة هجومهم، فسميت هذه المعركة باسم معركة الخندق نسبةً إلى هذه الوسيلة الدفاعية التي اعتمدها المسلمون.

ولما كان العدو في هذه الحرب مؤلفاً من جماعات عدة سميت المعركة باسم معركة الأحزاب كذلك.

وقد تعرضت هذه السورة في سبع عشرة آية منها لمعركة الأحزاب، وقد أخذت السورة اسمها من ذكر كلمة «أحزاب» فيها ثلاث مرات في الآيتين ٢٠ و٢١.

وتتحدث السورة مضافاً إلى معركة الأحزاب، عن بعض القضايا كالظهار والطلاق الجاهليين، وعن أحكام الابن المتبنى، والحجاب والمعاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾

إشارات

□ كلمة «أيها» بعد حرف النداء «يا» يراد منها لفت غير المخاطب أيضاً؛ فعندما يقال: يا رسول الله، فإن المخاطب هو النبي ﷺ فقط، وأما عندما يقال: يا أيها الرسول، فكأنه يقال: أيها الناس! أنا أنادي الرسول.

التعاليم

- ١ - لنبي الإسلام ﷺ مقام خاص عند الله ﷻ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (في موارد عدة من القرآن نودي الأنبياء بأسمائهم: يا إبراهيم، يا نوح، يا موسى، يا يحيى، ولكن لم يرد في القرآن تعبير: «يا محمد».
- ٢ - حتى النبي ﷺ يحتاج إلى موعظة من الله ﷻ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.
- ٣ - الأمر الموجه إلى النبي ﷺ موجه إلى أتباعه في الحقيقة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.
- ٤ - نواجه المنكر بإحياء المعروف، (طاعة الله ﷻ أولاً ثم بعد ذلك اجتناب الكفار والمنافقين)، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.
- ٥ - اتّباع المنافقين والكافرين سببه عدم التقوى، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.
- ٦ - يسعى الكفار والمنافقون وبأي وسيلة ممكنة لجعل أئمة الدين معهم، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.
- ٧ - إنما يمكن محاربة الانحراف والآراء الفاسدة متى كان عنصراً الإيمان والتقوى قوين، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ﴾.
- ٨ - الكفار والمنافقون في جبهة واحدة، ﴿الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

٩ - طاعة الله ﷻ العليم الحكيم مبررة ﴿عَلِمًا حَكِيمًا﴾ ؛ ولكن اتّباع الكفار والمنافقين الذين لا علم لهم ولا حكمة ما الذي يبرّرها، ﴿أَتَقِي اللَّهَ... عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١٠ - الأمر الإلهي بترك اتّباع الكفار والمنافقين يرجع إلى علمه ﷻ وحكمته، ﴿عَلِمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾

التعاليم

١ - كلما وجدت خطأ منحرفاً، عليك أن تفتح طريقاً واضحاً، ﴿وَلَا تُطِيع... وَأَتَّبِعْ﴾.

٢ - طريق الوصول إلى التقوى لا يتحقق إلا باتّباع الوحي، (قال تعالى في الآية السابقة: ﴿أَتَقِي اللَّهَ﴾، وفي هذه الآية قال سبحانه: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾).

٣ - الوحي شأن من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾. (اتّباع الوحي وسيلة تربية للإنسان)، ﴿رَبِّكَ﴾.

٤ - الإيمان بالعلم الإلهي من أهمّ الأسباب الداعية إلى اتّباع الوحي، ﴿وَأَتَّبِعْ... إِنَّ اللَّهَ... خَبِيرًا﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤﴾

إشارات

□ «الأدعياء» جمع «دعي» من الدعوى والادعاء، والمقصود هنا الولد المدعى والمنسوب إلى غير أبيه.

- «الظهار» هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي. وكان شكلاً من الطلاق في الجاهلية، وهو حرام ويترتب عليه الكفارة المعروفة بكفارة الظهار. ولمزيد تفصيل تُراجع الكتب الفقهية.
- ينسب القرآن الكريم المشاعر، والأحاسيس، والعواطف، والميول الداخلية إلى قلب الإنسان.

التعاليم

- ١ - في ترك طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي مشاكل لا بد من مواجهتها بالتوكل على الله ﷻ، ﴿وَلَا تُطِيعُوا... وَاتَّبِعُوا... وَتَوَكَّلُوا﴾.
- ٢ - يجب علينا السعي لبيان دليل الأوامر، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (ومن وجد الله لا يمكن أن يفقد شيئاً).
- ٣ - الميول القلبية والفطرية للإنسان تتجه اتجاهات واحداً لا غير، ومهما سعى الإنسان ليخالفها في القول أو العمل كان ذلك نفاقاً شخصياً وليس إرادة إلهية، ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾.
- ٤ - لا يجتمع في قلب واحد حبان متضادان، ﴿مِن قَلْبَيْنِ﴾ (لا تجتمع محبة الوحي واتباعه مع تولي الكافرين والمنافقين واتباعهم).
- ٥ - علاقة الأبوين بالولد علاقة طبيعية وحقيقية وليست تعاقدية وشكلية، (فلا الزوجة يمكن أن تكون أمّاً) ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾؛ ولا ولد الغير يصبح ولداً لك، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾.
- ٦ - من مهام الأنبياء مواجهة الخرافات في المجتمع، ﴿وَمَا جَعَلَ... ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.
- ٧ - الوحي الإلهي هو معيار الحق والباطل، لا العادات والتقاليد الاجتماعية، ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

التعاليم

- ١ - يجب حفظ علاقة الأولاد بأبائهم النسبيين، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (ينبغي ذكر أسماء آباء الناس في وثائقهم الشخصية).
- ٢ - لا بد من معاملة من لا يُعرف أبوه باحترام مقرون بالعاطفة والأخوة، ﴿فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ (هم الذين أسروا في الحرب ثم أسلموا ولكن المسلمين لا يعرفون آباءهم).
- ٣ - الأخوة في الدين اصطلاح قرآني، ﴿فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.
- ٤ - العبد المحرر إذا لم يعرف أبواه فادعوه مولى، ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾.
- ٥ - القصد، والنية، والعلم أمور لها تأثيرها في ارتكاب المعصية، ﴿أَخْطَأْتُمْ... تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.
- ٦ - تعمّد التلاعب في أنساب الناس جريمة محرّمة، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.
- ٧ - التجاوز والعفو عن الذنب غير العمدي والخطأ هو من آثار سعة الرحمة الإلهية، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.
- ٨ - المغفرة الإلهية تقتن بالرحمة والشفقة، ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُزْلُؤُا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

إشارات

□ ورد في تفسير مجمع البيان: أخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يواخي بين

الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الثاني منهما دون أهله، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة. وورث الأدنى فالأدنى من القربات^(١).

□ روي أن النبي ﷺ لما عزم على غزوة تبوك، وأمر الناس بالخروج، قال قوم: نستأذن آبائنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الآية^(٢).

□ إن النبي الأكرم ﷺ عيّن في يوم الغدير، وبأمر من الله ﷻ، علياً عليه السلام خليفة له، وقبل ذلك نادى مخاطباً المسلمين: «ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. فأقروا واعترفوا فعند ذلك قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^(٣).

□ أولوية النبي ﷺ بالمؤمنين من أنفسهم تشمل القضايا العامة والفردية وكافة الأمور: ﴿الَّتِي أُولَىٰ﴾، كما ورد في الآية ٣٦ من هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾. وقد ورد عن النبي ﷺ أن هذه الأولوية ثابتة للأئمة المعصومين عليهم السلام^(٤).

□ ورد في حديث عن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»^(٥).

التعاليم

١ - للنبي ﷺ الولاية التامة على المؤمنين وولايته على الناس أعمق من ولايتهم على أنفسهم، ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، (الدين هو الحاكم في المجتمع الإسلامي).

٢ - من لوازم الإيمان بالله ﷻ الإيمان بولاية رسول الله ﷺ، ﴿الَّتِي أُولَىٰ...﴾.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير مجمع البيان.

(٥) تفسير نمونه، نقلاً عن (في ظلال القرآن).

(٣) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٨٧.

- ٣ - يجب احترام زوجات النبي ﷺ، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، (حتى بعد وفاة النبي ﷺ لا يجوز الزواج منهن).
- ٤ - جعل زوجات النبي ﷺ أمهات للمؤمنين لا يعني الإرث منهن، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.
- ٥ - القرابة والعلاقة الأسرية لها الأولوية، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.
- ٦ - القوانين الثابتة للإرث لا تعني إطلاقاً عدم الإحسان لأهل الحاجة، ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾.
- ٧ - بعد تنفيذ الوصية، الأولوية تكون للأرحام، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا...﴾ (نعم، إذا أوصى الإنسان بتوزيع جزء من ماله على أناس معينين فيجب العمل بالوصية أولاً، ثم تقسيم الإرث).
- ٨ - لا بد من التعامل مع الأحكام والقضايا الحقوقية في الأسرة بدقة، ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.
- ٩ - تدوين الأمور وضبطها فعل إلهي، ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَإِسْحَاقَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧)

إشارات

□ للأنبياء أولي العزم وهم خمسة من أصحاب الكتاب، والشرعة من بين سائر الأنبياء منزلة خاصة عند الله، وهذه الآية وردت بهم.

وقد قدّم ذكر النبي الأكرم ﷺ على سائر الأنبياء وهذا يدل على العظمة الخاصة له من بينهم^(١). كما أن ذكر اسم مريم والدة عيسى عليه السلام يدل على مكانتها الخاصة وعلى أهمية ولادة عيسى عليه السلام منها بطريقة إعجازيته.

التعاليم

- ١ - الاطلاع على التاريخ والتعرف على السنن الإلهية أمران ضروريان؛ لأجل توفير الاستعداد الروحي والتربوي، (أخذ الميثاق منك أيها النبي ليس استثناءً، فإنها سنة إلهية ثابتة مع جميع الأنبياء)، ﴿أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ﴾.
- ٢ - إذا كان النبي ﷺ أولى بالمؤمنين؛ فإن المسؤولية والميثاق عليه سوف يكون أعظم: ﴿أَخَذْنَا... مِنْهُمْ مِيثَاقَهُمْ مِنْكَ﴾، فصاحب المقام الأفضل تترتب عليه وظيفة أعظم، (فالله ﷻ أخذ ميثاق النبيين كافة؛ ولكنه أخذ من أولي العزم ميثاقاً غليظاً).

﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

إشارات

- لعل المراد من الصادقين في هذه الآية الأنبياء، أي إن الله ﷻ أخذ منهم الميثاق لكي يسألهم عن هذا الميثاق في يوم القيامة، ولعل المراد منه أن الله ﷻ أخذ من النبيين عهداً غليظاً على إبلاغ الوحي الإلهي لكي تصح مساءلة الناس يوم القيامة عن الصدق والكفر.
- للصادقين في القرآن الكريم مكانة خاصة: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١)، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٢)، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).
- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا سئل عن صدقه على أي وجه قاله، فيجأزي بحسبه، فكيف يكون حال الكاذب»^(٤).
- جعلت الآية الصادقين لا المؤمنين في مقابل الكافرين. أي إن الصدق لازم للإيمان لا ينفك عنه.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٤) تفاسير مجمع البيان والبرهان.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥.

التعاليم

١ - العهد الإلهي هادف، والهدف منه تمييز الصادقين من الكافرين، ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ... أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ ءَارَسَلْنَا عَلَيْهِمَ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ تتحدث هذه الآية وستة عشر آية بعدها عن معركة الأحزاب التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة. وفي هذه المعركة اجتمع اليهود والمشركون والمنافقون على خوض معركة يحسمون فيها مسألة القضاء على الإسلام، وقام المسلمون، وباقتراح من سلمان الفارسي على النبي الأكرم ﷺ، بحفر خندق في أطراف المدينة وثبتوا في مواجهة الكفار. وفي حفر الخندق أول ضربة معول كانت من رسول الله ﷺ وكان كلما ضرب ضربة برقت ضربته بإصابة معوله للصخر، فبشر رسول الله ﷺ المسلمين بالنصر. وقد نصر الله ﷻ المسلمين في هذه المعركة بالريح والملائكة.

التعاليم

١ - الإيمان والعمل شرطان لتلقي المدد الإلهي، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ (فالمسلمون تجهزوا للدفاع، وحفروا الخندق فنصرهم الله).

٢ - يوصي الله ﷻ بتذكر النعم الإلهية، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، فذكر المدد الإلهي يرفع من معنويات المجاهدين.

٣ - الإنسان معرض لنسيان النعمة ولا بد من تذكيره، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾

٤ - الرد على الجنود يكون بإرسال الجنود، ﴿جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ... ءَارَسَلْنَا... وَجُنُودًا﴾.

٥ - النصر من عند الله، ﴿ءَارَسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾.

- ٦ - بإرادة من الله تصبح الريح جنداً، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.
- ٧ - الملائكة أيضاً تدعو للمؤمنين، وتبشرهم أيضاً بالمدد الإلهي، ﴿فَأَرْسَلْنَا... وَخُودًا﴾.
- ٨ - متى رأى الله ﷻ من عباده أنهم يؤدون تكليفهم أنزل المدد الإلهي عليهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

التعاليم

- ١ - إنما يشعر الإنسان باللطف الإلهي متى كان يعيش في الضيق والشدة، ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ... وَإِذْ زَاغَتِ﴾.
- ٢ - يجب على المسلمين مراقبة كافة حدود بلاد الإسلام، ﴿فَوْقَكُمْ... أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.
- ٣ - للحالات المعنوية تأثيرها على الجسم، (الخوف من الأسباب التي تؤدي إلى أن تزوغ الأبصار، وتسقط القلوب، وعلامة ذلك انفراج العينين وسرعة دقات القلب)، ﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.
- ٤ - بعض المؤمنين يبتلى بسوء الظن بالله ﷻ متى أحاطت به بعض الظروف الضاغطة والشدائد، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾.
- ٥ - المؤمن معرض للابتلاء والاختبار، ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
- ٦ - الحرب، والخوف، والوحشة، والظروف الصعبة وسائل لاختبار الإنسان، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ﴾.
- ٧ - في الشدائد يعرف الناس ويميز بينهم، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ﴾، (فلا تجد في ساحات القتل أياً من دعاة التنوير أو المنافقين).
- ٨ - ثبات الإنسان يتحقق باستقراره المعنوي، (إذا تلقى الإنسان ضربة في معنوياته تزلزل)، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾

التعاليم

- ١ - الحرب الإعلامية التي يشنها المنافقون دائمة، ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾.
- ٢ - من علامات الانحراف والنفاق العمل على إلحاق تئيس المجاهدين وإضعاف معنوياتهم، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ...﴾.
- ٣ - من بين أنصار الأنبياء من يقع في الشك والتردد، ومنهم من يقع في النفاق والكذب، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۖ وَيَسْتَكْثِرُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُونَ إِنَّ يَثْرِبَ مَدِينَةٌ وَمَا هِيَ بِغَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝﴾

التعاليم

- ١ - يسعى جماعة من المنافقين من خلال بث الشائعات: ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ... لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾، وجماعة منهم بالفرار من الزحف: ﴿وَيَسْتَكْثِرُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، يسعون لإضعاف معنويات المؤمنين.
- ٢ - لا ينبغي أن نغفل عن خطر الشائعات التي يبثها المنافقون لإضعاف المؤمنين، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾.
- ٣ - قائد المعركة شخص النبي الأكرم ﷺ، ﴿وَيَسْتَكْثِرُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَيْسَ﴾.
- ٤ - لا بد للقوى المسلحة من أن تكون منظمة بنحو لا يحق لأحد الخروج دون إذن، ﴿وَيَسْتَكْثِرُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَيْسَ﴾.
- ٥ - الطمأنينة والأمن الفكري والأسري على درجة من الضرورة والأهمية بنحو يحتاج به المنافقون لكي يغادروا ساحة القتال، ﴿إِنَّ يَثْرِبَ مَدِينَةٌ وَمَا هِيَ بِغَوْرَةٍ﴾.
- ٦ - من لا يخلي قلبه من التعلق بالحياة لن يكتب له التوفيق، ﴿إِنَّ يَثْرِبَ مَدِينَةٌ وَمَا هِيَ بِغَوْرَةٍ﴾.

- ٧ - المنافق جبان ومتذرع، (لعدم امتلاكه الشهامة والشجاعة يلجأ إلى التذرع ولا يذكر الأسباب بصراحة)، ﴿يُؤْتِنَا غُورَةً﴾.
- ٨ - يستخدم الأعداء الدين لمواجهة الدين، (يتذرع المنافقون بحفظ العرض الذي هو أمر مرغوب دينياً)، ﴿يُؤْتِنَا غُورَةً﴾.
- ٩ - يفضح الوحي أفكار المنافقين ويكشفهم أمام الناس، ﴿وَمَا هِيَ بِغُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْآذِنُورَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

إشارات

□ من شروط الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ عدم الفرار من الزحف، ﴿لَا يُؤْلَوْنَ الْآذِنُورَ﴾. وقد أخبر تعالى بأنه سوف يسأل الإنسان عن فعله، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

التعاليم

- ١ - يستعين الأعداء بمنافقي الداخل لإيجاد الفتنة بين الناس، ﴿سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾.
- ٢ - يتخلى المنافقون عن الحق بسهولة، وكذلك يتبعون العدو ويسعون للفتنة، ﴿لَآتَوْنَهَا﴾.
- ٣ - الاستجابة لطلب الكفار سريعاً دون تفكير وتأمل علامة النفاق، ﴿سَأَلُوا... وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾.
- ٤ - ليس المهم هو إعطاء العهود، وإنما المهم هو الوفاء بها، ﴿عَاهِدُوا اللَّهَ... لَا يُؤْلَوْنَ الْآذِنُورَ﴾.
- ٥ - لا تساهل في الوفاء بالعهود الإلهية؛ لأننا سوف نسأل عن ذلك ونعاقب عليه، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٦

التعاليم

- ١ - لا يمكن للإنسان على الإطلاق أن يفرّ من قضاء الله ﷻ المحتوم كالموت، ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ... مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾.
- ٢ - لا ينبغي للإنسان أن يضيع السعادة الأبدية لأجل متاع قليل، ﴿لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٧

إشارات

□ المراد من تعلق الإرادة الإلهية بما يلحق بهذا الإنسان من سوء، أن الإنسان بنفسه سوف يختار ذلك من خلال ما يصدر منه من فعلٍ ما لا ينبغي فعله كالفرار من الزحف، وبهذا يوقع نفسه في عذاب النار، ولأن كل فعل خاضع للإرادة الإلهية ينسب الفعل إلى الله ﷻ.

التعاليم

- ١ - أيقظوا الوجدان من خلال توجيه السؤال، ﴿قُلْ مَنْ... يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.
- ٢ - الرحمة والعذاب، والنعم، والمصاعب، تصل إلى الإنسان بإرادة من الله ﷻ، ﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا... أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، (نعم إرادة السوء أو الرحمة الإلهية خاضعة للحكمة).

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٨

إشارات

- «المعوق» بمعنى «المانع»، و«البأس» بمعنى مصاعب القتال وساحة الجهاد.
- أشار القرآن الكريم إلى بعض أنواع الأخوة:

- أ - الأخوة الطبيعية عن طريق الأبوين.
- ب - الأخوة الدينية عن طريق الدين، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١).
- ج - الأخوة الحزبية والسياسية التي أشارت إليها هذه الآية.
- د - الأخوة في السلوك الحاصلة من الاتباع. كالمبذرين الذين هم إخوان الشياطين، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢).
- المراد من ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ دعوة المنافقين ضعاف الإيمان من المسلمين إلى ترك القتال.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ عليم بكل ما يخطط له الأعداء وما ينشرونه من شائعات، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾.
- ٢ - المنافقون الجبناء الذين يفرون من الزحف يعملون على منع حضور الآخرين ساحة القتال أيضاً، ﴿الْمُفَرِّقِينَ... وَالْقَائِلِينَ﴾.
- ٣ - أي تضعيف لمعنويات المجاهدين ذنب عند الله ﷻ، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ... وَالْقَائِلِينَ... هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.
- ٤ - ليس المهم الذهاب إلى الجبهة، بل المهم الثبات فيها ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ لُغُوفٌ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ لُغُوفٌ سَلَفُواكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١٩)

إشارات

□ كلمة «أشحة» جمع «شحیح» من «الشح» بمعنى «البخل» الذي يكون عن

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٧.

حرص. «سلقوكم» من السلق بمعنى الغلبة وإلحاق الهزيمة، أي إنهم يسعون من خلال بث الشائعات لتحقيق الغلبة على المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم. «حداد» جمع «حديد» وهو بمعنى «الحاد» و«الخشن».

التعاليم

- ١ - لا يريد المنافقون لكم الخير أبداً؛ فعند الخطر وطلب العون منهم في القتال ييخلون بمد يد العون، ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾. وبعد زوال الخطر يحرصون على المشاركة في جمع الغنائم، ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾.
- ٢ - يتهم المنافقون النبي ﷺ والمسلمين بأنهم سبب المصائب التي تحلّ بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ... يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - يفقد المنافقون زمام أنفسهم عند الأزمات، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ... تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾.
- ٤ - للحالات الروحية تأثيرها على وجه الإنسان، ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾.
- ٥ - المنافقون قليلو العمل كثيرو الكلام. فعند الحرب وفي الشدائد هم أشد الناس خوفاً وعند الأمن أكثر الناس تطلباً، ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ... أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾.
- ٦ - من العلامات البارزة في المنافقين: الخوف، والبخل، وحدة اللسان، وتوقع ما ليس في محله، ﴿أَشْحَةً... تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ... بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.
- ٧ - حبط أعمال المذنبين يقوم على أساس الحكمة وطبقاً لعمل الإنسان، ﴿لَنْ يَرْبُتُوا فَالْحَبْطَ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ﴾.
- ٨ - النفاق سبب لحبط الأعمال وضياعها، ﴿فَالْحَبْطَ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ﴾.
- ٩ - سلوك المنافقين (البخل، حدة اللسان، بث الشائعات لردع الناس عن المشاركة في القتال...) لا يمكنها أن تقف عائقاً أمام الإرادة الإلهية، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَٰكِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتُ فِي الْأَعْرَابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

إشارات

□ يطلق على العرب الذين يسكنون في المدن تسمية (عربي)، وعلى العرب الذين يسكنون البادية تسمية «الأعراب». وكلمة «بادون» جمع (بادي) وتطلق على من يسكن البادية والفلاة.

التعاليم

- ١ - يتصور الجبناء وضعاف الإيمان أن أعداء الإسلام دائماً هم أقوى من المسلمين، (كان ظن المنافقين أن الأحزاب من اليهود والمشركين لن ينفروا حتى يدخلوا المدينة)، ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾.
- ٢ - استيلاء الخوف على الإنسان يمنعه من إدراك الواقع، ﴿يَحْسَبُونَ... لَمْ يَذْهَبُوا﴾.
- ٣ - يفضل ضعاف الإيمان العيش في المجتمعات البعيدة عن الثقافة على العيش في المجتمع الديني، ﴿يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتُ﴾.
- ٤ - ضعاف الإيمان يستبدلون الحضور في الساحات الاجتماعية بقراءة الصحف والاستماع إلى الأخبار، ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾.
- ٥ - ضعاف الإيمان ليسوا من أهل الحرب ولا الثبات، ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾

إشارات

□ تستعمل مفردة «الأسوة» في التأسّي واتباع الآخرين في عمل الخير. وقد وردت هذه المفردة في موضعين في القرآن الكريم في شأن نبيين من أنبياء الله العظام: أحدهما النبي إبراهيم عليه السلام، وثانيهما نبي الإسلام ﷺ، وما يلفت النظر أن كون

إبراهيم أسوة هو في براءته من الشرك ومن المشركين، وكون النبي ﷺ أسوة في ثباته ووقوفه بوجه أعداء الدين.

□ دور النبي ﷺ في معركة الأحزاب أن يكون القدوة للقادة: إرشاد الجند، بث الأمل، المشاركة في حفر الخندق، إطلاق الشعارات الحماسية، مواجهة العدو والثبات. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن منا أقرب إلى العدو منه»^(١).

□ هذه الآية وردت في سياق الآيات التي تتحدث عن معركة الأحزاب؛ ولكن كون النبي ﷺ أسوة لا يختص بالحرب؛ بل النبي أسوة حسنة للمسلمين في كل شيء.

التعاليم

- ١ - لا تشكيك في كون النبي ﷺ أسوة، ﴿لَقَدْ﴾.
- ٢ - كون النبي ﷺ أسوة أمر دائم، ﴿كَانَ﴾.
- ٣ - النبي ﷺ حجة في قوله، وفعله، وسكوته الذي يدل على رضاه بأمر، ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾.
- ٤ - من أساليب التربية تقديم الأسوة، ﴿لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾.
- ٥ - ينبغي إرشاد الناس إلى الأسوة الحسنة؛ لكي لا يتجه الناس إلى التأسى بمن ليس أهلاً، ﴿رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾.
- ٦ - الدعوة بالأفعال من أفضل أساليب التبليغ، ﴿أُسْوَةٌ﴾.
- ٧ - إنما ينظر إلى النبي ﷺ كأسوة حسنة من كان قلبه مليئاً بالإيمان وذكر الله ﷻ، ﴿لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ...﴾.
- ٨ - وإن كان للأسوة مكانة في القلب؛ ولكن لا ينبغي أن ننسى ذكر الله ﷻ، ﴿رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ... وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

إشارات

□ تحدثت الآية ١٢ عن وصف المنافقين وعود النبي ﷺ بالغرور؛ وهذه الآية تتحدث موقف المؤمنين المعاكس.

□ تعرضت الآيتان السابقتان لشأن جماعة من ضعاف الإيمان الذين تمنوا في قلب المعركة البعد عن أماكن القتال، وأما في هذه الآية فالحديث عن أهل الإيمان الذين تزيدهم رؤية الأعداء إيماناً وتسليماً.

التعاليم

- ١ - الإيمان سبب للقوة، ﴿رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا...﴾.
- ٢ - يرى المنافقون العدو الغائب وغير الموجود حاضراً، ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا...﴾؛ وأما المؤمنون فلا يرونه حاضراً إبان حضوره وذلك لتجاهلهم إياه وعدم تأثيره فيهم، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ... هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ...﴾.
- ٣ - اجتماع الأعداء على محاربة المسلمين ليس أمراً مفاجئاً للمسلمين، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ...﴾.
- ٤ - كلام رسول الله ﷺ مطابق لكلام الله، ﴿وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾.
- ٥ - أخبر النبي ﷺ المسلمين بوقوع معركة الأحزاب قبل وقوعها، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾.
- ٦ - يرى المؤمنون أن تحقق وعد الله ورسوله حتمي، ﴿وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ... وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾.
- ٧ - الحرب والقتال للمؤمنين سبب للرفق والازدياد، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...﴾.
- ٨ - لا يخاف المؤمنون من عديد المشركين ولا من عدتهم، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...﴾.

- ٩ - للإيمان والتسليم درجات ومراتب، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.
- ١٠ - تحقق وعد الله ﷻ ووعد رسوله يزيد من إيمان المؤمنين، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ... وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

إشارات

- كلمة «نَحْب» لها معان كثيرة؛ ولكن المراد منها هنا النذر والعهد الذي يؤدي الالتزام به إلى الموت أو إلى الوقوع في خطر عظيم.
- مقابل من كان يسعى لحياة الرغد: ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾^(١)، ثمة من ينتظر الشهادة: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾.
- تلا الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية عندما ودَّع أصحابه في كربلاء^(٢).

التعاليم

- ١ - أصحاب النبي ﷺ والمؤمنون ليسوا على درجة واحدة، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٢ - الحديث عن كمالات الآخرين وسيلة من وسائل التربية، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾.
- ٣ - الدفاع عن الحق حتى الشهادة دليل على صدق الإيمان، ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾.
- ٤ - لا بد للإيمان أن يقترن بالعمل، والعمل بما يقتضيه علامة صدقه، ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾.
- ٥ - تعظيم الشهداء درس من دروس القرآن الكريم، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾.
- ٦ - انتظار الشهادة خصلة حسنة أيضاً، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾، ومن صفات المؤمنين الاستعداد والتهيؤ للقاء الله ﷻ.

٧ - باب الشهادة مفتوح، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾.

٨ - استشهاد بعض المؤمنين ليس سبباً لتراجع أو ضعف سائر المؤمنين، فالؤمن إذ يرى أصدقاءه ومن يحبهم ينالون الشهادة يبقى في حالة انتظار لنيلها، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾.

٩ - المؤمن الحقيقي ثابت على العهد مع ربه، ولا يغير موقفه حتى بعد استشهاد أحبائه وأصدقائه، ﴿وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾.

﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

إشارات

□ كلمة «توبة» إذا تعدت بحرف (إلى)، فالمعنى المراد منها توبة العباد إلى الله ﷻ، وإذا تعدت بحرف (على) كان المراد توبة الله على عباده وشمول لطفه لهم، ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

التعاليم

١ - للمصائب والابتلاءات هدف وغاية، وهدفها هو تنمية الاستعدادات وفتح الباب أمام الإنسان لنيل الثواب من خلال السعي وبذل الجهد، ﴿لَيَجْزِيَ﴾.

٢ - مجازاة الصادقين سبب لترغيب الآخرين في الصدق، ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.

٣ - النجاة في الصدق، ﴿لَيَجْزِيَكَ... بِصِدْقِهِمْ﴾.

٤ - نيل الثواب على الصدق في العمل، ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾.

٥ - البشارة قبل الإنذار، ﴿لَيَجْزِيَكَ... وَيُعَذِّبُ﴾.

٦ - لا عمل بلا ثواب أو عقاب، (لا صدق الصادقين ولا نفاق المنافقين) ﴿لَيَجْزِيَ... وَيُعَذِّبُ﴾.

٧ - اللطف الإلهي ليس بعيداً حتى عن المنافقين، شرط أن يتوبوا، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

٨ - قبول التوبة من الله يقترن بسعة رحمة الله، ﴿عَفْوَراً رَحِيماً﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (٢٥)

إشارات

□ عندما قتل الإمام علي عليه السلام رأس حربة المشركين عمرو بن ود في معركة الأحزاب انهزم المشركون وردّهم الله بغيظهم.

التعاليم

١ - لا ينبغي الخوف من اجتماع المشركين، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فعلى الرغم من اجتماع قوى الكفر من المشركين، اليهود والمنافقين في معركة الأحزاب لمحاربة المسلمين؛ ولكنهم عادوا منهزمين دون أن يغنموا شيئاً.

٢ - لا تخرج أحداث الحرب عن إرادة الله ﷻ، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ... وَكَفَى اللَّهُ﴾.

٣ - المدد الغيبي كان عامل نصر في معركة الأحزاب (الخندق)، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ... وَكَفَى اللَّهُ﴾.

٤ - قد ينبغي أحياناً الحديث بلغة الأعداء، ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾. الانتصار على الإسلام وأخذ الغنائم كان خيراً في نظر الكفار.

٥ - الهدف الذي ينشده أعداء الإسلام من الحرب إما النصر أو اكتساب الغنائم، احتلال البلدان أو حفظ مصالحهم، ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾؛ ولكن الهدف من الحروب التي يخوضها الإسلام هو ﴿إِخْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾^(١)، أي أداء التكليف الديني، ودعوة الناس إلى الحق، ورفع الموانع أمام انتشار الحق أو الشهادة ولقاء الله ﷻ.

٦ - الله ﷻ هو مصدر عزة المسلمين وقوتهم، ﴿وَكَفَى اللَّهُ... وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

□ «الصباصي» جمع «صيصة»، وهي القلاع المحصنة وتطلق على كل وسيلة دفاع كقرون الثور ومخالب الذئب.

□ تشير هذه الآية إلى غزوة بني قريظة، فإن يهود بني قريظة نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ في معركة الأحزاب ظناً منهم أن الهزيمة ستلحق بالنبي ﷺ، ونقضهم كان للمعاهدة من خلال مدهم يد العون إلى مشركي مكة ولكنهم انهزموا واستسلموا.

□ كانت طوائف ثلاث من اليهود تقيم في المدينة وهم: بنو قينقاع، بنو النضير، وبنو قريظة، وكانت تربطهم بالمسلمين معاهدات ومواثيق. وقد نقض بنو قينقاع عهدهم في السنة الثانية للهجرة، فحاربوا المسلمين ولحقت بهم الهزيمة وأخرجوا من المدينة وذهبوا إلى الشام. وفي السنة الرابعة للهجرة حارب بنو النضير المسلمين وانهزموا وخرجوا إلى الشام، وأخلوا المدينة وخيبر. وفي السنة الخامسة للهجرة نقض بنو قريظة عهدهم وأعانوا المشركين في معركة الأحزاب، ومع هزيمة الأحزاب سيطر عليهم الخوف. وقد حاصر المسلمون قلاعهم بعد معركة الأحزاب، وبعد حصار استمر خمسة وعشرين يوماً أخرجوا من المدينة، وبهذا تطهرت المدينة من اليهود ناقضي العهود والمواثيق^(١).

□ كان لمعركة بني قريظة نتائج عديدة مهمة منها:

- أ - إخراج بقية اليهود من المدينة إلى الأبد.
 ب - نال المسلمون منهم أموالاً وغنائم كثيرة.
 ج - ثبتت قوة المسلمين، واتضح المصير السيء الذي ينتظر كل من ينقض عهده مع المسلمين.

التعاليم

- ١ - لا ينبغي الغفلة عن القوى التي تحاول اختراق الصفوف، ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾.
 ٢ - العيش بسلام مع أهل الكتاب مشروط بعدم نصرتهم لأعداء الدين، ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.
 ٣ - النصر من عند الله ﷻ، ﴿وَأَنْزَلَ﴾.
 ٤ - القلاع المحصنة والمرتفعة للعدو قابلة للفتح، ﴿وَأَنْزَلَ... مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾.
 ٥ - على الرغم من اشتراك اليهود من أهل الكتاب مع المسلمين في عبادة الله والإيمان بالمعاد؛ إلا أنهم كانوا في نصرة المشركين، ﴿ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.
 ٦ - لا ينبغي أن يقصر النظر على العدو الذي يقف في المواجهة، بل لا بد من النظر إلى من يحميهم، ﴿ظَاهَرُوهُمْ﴾.
 ٧ - من أنواع المدد الغيبي المنزل من عند الله ﷻ في الحرب إنزال الرعب في قلوب الأعداء، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.
 ٨ - معنويات المقاتلين تلعب دوراً أساساً في النصر أو الهزيمة في الحرب، ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ... تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
 وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتِعْتِكُنَّ وَأَسَرَحْتِكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨)

إشارات

□ بعد أن نال المسلمون الغنائم من الحرب، طلبت بعض زوجات النبي

الأكرم ﷺ أن يوسع عليهم في حياتهم. ورفض رسول الله ﷺ ذلك، وهجرهم لشهر كامل حتى نزلت الآيات.

التعاليم

- ١ - حياة إمام المسلمين لا بدّ من أن تتسم بالبساطة، (المكانة الدينية والاجتماعية للإنسان تفرض عليه تكاليف خاصة)، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ مُحَمَّدٍ فَاتَّبِعُونِي... وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.
- ٢ - لا ينبغي لإمام المسلمين أن يقع تحت تأثير طلبات زوجته، ﴿قُلْ لَا أَزْوَاجُ﴾.
- ٣ - امتلاء خزانة بيت المال لا ينبغي أن تثير طمع أقارب إمام المسلمين، ﴿قُلْ لَا أَزْوَاجُ﴾.
- ٤ - كما إن إمام المسلمين يخضع لمراقبة الناس فكذلك من يرتبط به يراقبه الناس، ﴿قُلْ لَا أَزْوَاجُ﴾.
- ٥ - التكاليف الإلهية فوق التكاليف الأسرية والعائلية، (فقد يجب غصّ النظر عن بعض العواطف والاعتبارات العائلية لحفظ مقام القيادة المقدسة)، ﴿قُلْ لَا أَزْوَاجُ﴾.
- ٦ - المرأة حرة؛ يمكنها أن تعيش ببساطة؛ ولكن بسعادة، ويمكنها أن تختار طريقاً آخر، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ مُحَمَّدٍ... وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.
- ٧ - في مقابل الطلبات غير المبررة للزوجة لا بد من اتخاذ موقف واضح وصريح، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ مُحَمَّدٍ... وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (من خلال استخدام لغة حاسمة ولكنها مفعمة بالمحبة والعدالة يمكن رد الطلب).
- ٨ - التعامل بحسم مع الأسرة والأقارب عند وصول الأموال والغنائم إلى بيت المال يمنع الطلبات غير المبررة لسائر الناس، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ مُحَمَّدٍ... فَاتَّبِعُونِي... وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.
- ٩ - إذا لم تتحمل المرأة حياة البساطة مع السعادة، فينبغي تطبيقها مع مراعاة العدل والإنصاف، ولا يجبر الإنسان على البقاء على الحياة الزوجية، ﴿إِنْ كُنْتُمْ... أَطِيعُوا أَمْرِي... وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.

- ١٠ - خطر حب الدنيا يشمل حتى بيت النبوة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ...﴾.
- ١١ - التمتع بزينة الدنيا ليس محرماً؛ ولكنه ليس من شأن بيت النبوة، ﴿فَتَعَالَى أُمُوتِكُمْ﴾.
- ١٢ - إذا اضطررت إلى الطلاق، فليكن ذلك بالعدل والإحسان، ﴿وَأَسْرِعْكُمْ سَرَكَكُمْ حَتَّىٰ﴾.

﴿وَلَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

التعاليم

- ١ - لا يجتمع طلب الدنيا مع طلب الآخرة، ﴿تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... تُحِبُّونَ اللَّهَ...﴾، نعم التمتع بنعم الله في الحلال لا يتنافى مع طلب الآخرة.
- ٢ - على الإنسان أن يتخير بين التعلق بالدنيا الفانية والآخرة الباقية، ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ...﴾.
- ٣ - القناعة، والزهد، وبساطة العيش لا تكفي وحدها للنجاة؛ بل لا بد من العمل الصالح معها، ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ... لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ﴾.
- ٤ - الوعد الإلهي حتمي، ﴿أَعَدَّ﴾.
- ٥ - يصف الله ﷻ حياة البساطة لبيوت قادة الدين بأنها حسنة، ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ﴾.
- ٦ - كون المرأة زوجة للنبي ليس كمالاً لها، بل لا بد من أن تعمل صالحاً، ﴿لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ﴾.
- ٧ - زوجات النبي ﷺ لسن على درجة واحدة، ﴿لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ﴾.
- ٨ - من يترك الدنيا المحدودة فإن له الأجر العظيم، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ
ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

إشارات

- يخاطب الله نساء النبي الأكرم ﷺ من خلال مقام الرسالة وليس وحياً إليهن مباشرة، خلافاً لمريم ﷺ فقد خاطبها الوحي مباشرة، ﴿يَمْرُومٌ﴾^(١).
- الذنوب على قسمين: كبيرة وصغيرة. والأساس في هذا التقسيم قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٢)، ولكن في بعض الموارد قد يكون للصغيرة حكم الكبيرة، كما لو ارتكب الصغيرة في زمان خاص كشهر رمضان فإن عقوبته تتضاعف. أو في مكان خاص أو مع تكرار الصغيرة والإصرار عليها، أو من أسره ذنبه، أو كان يقوم به جهراً، أو الذنب الذي يصدر من أفراد هم أسوة للناس كنساء النبي. وعليه فقد يكون لبعض الجوانب تأثيرها على الذنب وعقوبته.
- ورد في الروايات: أن لذنوب الكبار حساب خاص، حتى لو صدر من الأنبياء ترك الأولى فإنهم يؤنبون عليه؛ وقد ورد في الحديث: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»^(٣).

التعاليم

- ١ - ليس للحسب ولا للنسب أثر في الثواب والعقاب، فكل عاص لا بد من أن يعاقب، ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ...﴾.
- ٢ - كون المرأة زوجة للنبي ﷺ لا يستلزم عصمتها، ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾، (فالكون في بيت النبي لا يشكل ضماناً للإنسان، بل الالتزام بالدين هو الضمانة).

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٧.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٢) سورة النساء: الآية ٣١.

- ٣ - حساب التجاهر بالمعصية يختلف عن حساب المعصية سرّاً، ﴿تُبَيِّنْهُ﴾.
- ٤ - العمل السيء بنفسه موجب لترتب العقاب عليه، ﴿يُضَعَّفُ﴾، ولم يقل: نضاعف.
- ٥ - نوع العقاب والثواب، شدة وضعفاً، مرتبط بما يترتب على العمل من آثار فردية واجتماعية، ﴿يَلْسَأَ النَّبِيُّ... ضِعْفَيْنِ﴾.
- ٦ - عقاب ذنوب أصحاب المكانة الدينية والاجتماعية والذين يشكلون القدوة في سلوكهم لدى الآخرين أشد من عقاب الآخرين، ﴿يَلْسَأَ النَّبِيُّ... ضِعْفَيْنِ﴾.
- ٧ - على أسر المسؤولين وأقاربهم في النظام الإسلامي أن يدركوا أنه لو ارتكبوا مخالفة فإنهم ليسوا أحراراً في ذلك، بل عقابهم مضاعف، ﴿يَلْسَأَ النَّبِيُّ... الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.
- ٨ - إذا كان عقاب المخالف من أقارب المسؤول مضاعفاً، فما هو ميزان عقوبة المسؤول نفسه؟ ﴿يَلْسَأَ النَّبِيُّ... الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (وقد ورد في القرآن الكريم في ما يتعلق بصدور المخالفة من النبي نفسه: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَقْعُ الْأَفَاوِيلِ... لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(١)).
- ٩ - عقاب العصاة على الله ﷻ يسير، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

الجزء ٢٢

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَالِحًا تُوَفَّقَهَا
أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١)

إشارات

- «القنوت» بمعنى الطاعة مع الخضوع وبإدب.
- روي أن رجلاً قال للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ: إنكم أهل بيت مغفور لكم، قال: فغضب، وقال: نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله في

أزواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول، إنا نرى لمحسنتنا ضعفين من الأجر ولمسبتنا ضعفين من العذاب، ثم قرأ الآيتين^(١).
 □ عن رسول الله ﷺ: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»^(٢).

التعاليم

- ١ - الترغيب والترهيب إذا انضموا إلى بعضهما أثرا، ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ... وَمَنْ يَفْتَنُ﴾.
- ٢ - للطاعة أهميتها إذا كانت عن معرفة، وعن محبة، ومع الخشوع، ﴿يَفْتَنُ... لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.
- ٣ - يجب طاعة الأوامر الإلهية وطاعة رسول الله ﷺ، ﴿يَفْتَنُ... لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.
- ٤ - لا يكفي الإتيان بالعمل الصالح، بل لا بد من المداومة عليه، ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾.
- ٥ - لا يكفي أن تكون المرأة زوجة للنبي، بل لا بد من العمل الصالح، ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾.
- ٦ - لا أهمية لكون العمل صغيراً أو عظيماً، بل المهم كون العمل صالحاً، ﴿صَالِحًا﴾ (وردت كلمة صالحاً منكرة).
- ٧ - لترغيب العباد ينسب الله ﷻ الجزاء إلى العامل، ﴿تُؤْتِيهَا... أَعْتَدْنَا﴾.
- ٨ - الأجر والجزاء يختلف تبعاً لمكانة العامل ولما يترتب على العمل من آثار فردية واجتماعية، ﴿تُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ﴾.

﴿يَنْسَاءَ الَّتِي لَسَتْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ قُلُوبَكُمْ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢)

التعاليم

- ١ - حساب عوائل قادة الدين وأسراهم مختلف عن حساب سائر الناس، ولا بد

لهم من مراقبة سلوكهم أكثر من غيرهم، ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (المكانة الاجتماعية سبب للتضييق).

٢ - عندما يوجه الخطاب التحذيري إلى نساء النبي اللواتي كان غالبهن من كبار السن ويعشن البساطة في الحياة بأن لا يتكلمن بالكلام المثير؛ فإن النساء الشابات والجميلات لا بد من أن يحسبن حسابهن في ذلك، ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ... فَلَا تَخْضَعْنَ...﴾.

٣ - حديث الغنج والدلال من المرأة مخالف للتقوى، ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾.

٤ - يبين القرآن الكريم آداب الكلام أيضاً، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾.

٥ - على المرأة أن تراقب نفسها حتى لا يطمع من في قلبه مرض، فكيف بمن يكون جاداً، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ... فَيَطْمَعَ﴾.

٦ - من في قلبه مرض يطمع حتى بالمقدسات، ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ... فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

٧ - لا ينبغي أن يكون حديث المرأة ولا تصرفها موجباً لإثارة الشهوة، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

٨ - ليس كافة أفراد المجتمع النبوي سالمين، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

٩ - لا ينبغي إيقاع الآخرين في المعصية سواء أكانوا واحداً أم أشخاصاً عدة، ﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، ولم يقل: «الذين في قلوبهم مرض».

١٠ - النظرة المشتتة على الشهوة والريبة مرض روحي، ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

١١ - من في قلبه مرض وإن كان يعاني من مشكلة ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، ولكن لا ينبغي فعل ما يوجب إثارته، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ... فَيَطْمَعَ﴾.

١٢ - لا بد من أن يكون الحديث بنحو يكون مضمونه جيداً، ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وأسلوبه صحيحاً: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾.

قواعد في النهي عن المنكر (مُستفادة من الآية)

- ١ - الاستفادة من مكانة أفراد الأسرة: ﴿يَلِسَاءَ النَّبِيِّ﴾.
- ٢ - الاستفادة من المكانة الاجتماعية: ﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾.
- ٣ - ذكر الصفات والألقاب المحببة: ﴿إِنْ أَتَقَيْتُمْ﴾.
- ٤ - البدء بأبسط الأمور: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾.
- ٥ - البدء بالنفس وبالكبار: ﴿يَلِسَاءَ النَّبِيِّ﴾.
- ٦ - النهي عن موجبات وقوع المنكر: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ﴾.
- ٧ - لا تغفل الانحرافات والسلوكيات البسيطة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾.
- ٨ - بيان الآثار والنتائج السيئة المترتبة على الفساد والانحراف: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.
- ٩ - الأمر بالمعروف إلى جانب النهي عن المنكر: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ... قُلُوبَ﴾.
- ١٠ - لأجل الحيلولة دون وقوع المنكر يجب ردع حتى الفرد الواحد: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي﴾ ولم يقل: «فيطمع الذين»..
- ١١ - ينبغي مواجهة المنكر حتى على مستوى الرغبة فيه، فضلاً عن وقوعه: ﴿فَيَطْمَعَ﴾.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣)

إشارات

- «قَرْنَ» من «الوقار» أو من «القرار»، والنتيجة على كلا المعنيين واحدة. أي لا تخرجن من بيوتكن للتبرج.
- «التبرج» من «البرج» وهو التباهي، كما إن للبرج من بين المباني مظهره الخاص.

□ الجاهلية الأولى تدل على ظهور جاهلية أخرى هي التي نشهدها اليوم. وقد ورد في الحديث أيضاً: «ستكون جاهلية أخرى»^(١).

إذا كانت الفتاة تدفن وهي حية في تلك الجاهلية، ففي هذه الجاهلية يُجهض الجنين.

إذا كان في الجاهلية الأولى إسراف في القتل، فإننا نشهد في جاهلية اليوم قتلا للملايين في الحروب العالمية والكبرى.

إذا لم يكن في تلك الجاهلية مدرسة فتقع الجرائم، فإننا اليوم نجد كيف تهدر حقوق الإنسان مع وجود مئات الجامعات.

في الجاهلية الأولى كان الفساد والزنا جريمة، وأما اليوم فإن اللواط في أكثر الدول رقياً يعتبر أمراً مشروعاً^(٢).

كلمات في آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

- كلمة «إنما» تدل على أن هذه الآية تدل على موهبة خاصة ترتبط بأهل البيت عليهم السلام.

- المراد من «يريد» الإرادة التكوينية لا الإرادة التشريعية؛ لأن الإرادة التشريعية للتطهير لا تختص بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- المراد من «الرجس» كل نوع منه ظاهرياً كان أو باطني^(٣).

- المراد من «أهل البيت» ليس كل أهل بيت النبي، بل بعض الأفراد الذين تعرضت المصادر الروائية، الشيعية والسنية، لهم. وهم عبارة عن: علي، فاطمة، الحسن والحسين عليهم السلام.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) حول الجاهلية المعاصرة كتاب لمحمد قطب عنوانه (جاهلية القرن العشرين)، وكتاب آخر للسيد مجتبي موسوي اللاري تحت عنوان (سيماي تمدن غرب) (خصائص الحضارة الغربية)، وقد ترجم إلى لغات عدة.

(٣) تفسير البرهان.

سؤال: ما هو الدليل على الحصر؟ ولماذا لا تشمل هذه الآية كل أهل البيت النبي أو نساء النبي ﷺ.

الجواب:

- ١ - الروايات الواردة عن نساء النبي ﷺ حتى عائشة وأم سلمة حيث سألن النبي ﷺ: ألسن من أهل البيت؟ فكان جواب النبي بالنفي.
- ٢ - ورد في العديد من الروايات أن النبي وضع عباءته على رأس هؤلاء الخمسة وهو معهم وذكر أنهم هم أهل البيت ولا يدخل فيهم غيرهم.
- ٣ - ورد أن النبي ﷺ ولأجل إثبات أن أهل البيت ﷺ هم هؤلاء الخمسة فقط، كان يمر كل يوم ولمدة ستة أشهر، وفي بعض الروايات لتسعة أشهر: كَانَ يَقِفُ عِنْدَ طُلُوعِ كُلِّ فَجْرِ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَقَاطِمَةَ ﷺ فَيَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُحْسِنِ الْمُجْمِلِ الْمُنْعِمِ الْمُفْضِلِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ سَمِيعٌ [سَمِعَ] سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلَايِهِ عِنْدَنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ صَبَاحِ النَّارِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَسَاءِ النَّارِ الصَّلَاةِ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(١).

وقد ذكر في كتاب إحقاق الحق ما يزيد على السبعين حديثاً من المصادر المعروفة عند أهل السنة، ما يدل على اختصاص هذه الآية بالخمسة المذكورين، وقد ذكر في كتاب شواهد التنزيل، وهو من الكتب المعروفة عند أهل السنة، ما يزيد عن مائة وثلاثين رواية في هذا المجال^(٢).

وعلى أي حال فإن هذه الآية لا تشمل نساء النبي ﷺ لأنه:

قد تصدر منهن المعصية أحياناً، فقد ورد في سورة التحريم قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٣).

وعائشة كانت زوجة للنبي ﷺ؛ ولكنها خاضت حرب الجمل ضد الإمام علي عليه السلام ثم ندمت على ذلك، مع أن جمعاً كثيراً من المسلمين قتل في تلك المعركة.

(٣) سورة التحريم: الآية ٤.

(١) الصدوق، الأمالي، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) تفسير نمونه؛ ونور الثقلين.

اسئلة واجوبة

١ - أليس معنى «يطهركم» أن أهل البيت عليهم السلام كانوا ملوثين بالذنوب فأراد الله تعالى أن يطهرهم؟

الجواب: لا يشترط في التطهير أن يكون المطهر ملوثاً؛ لأن القرآن الكريم وصف الحور العين بأنها مطهرة مع أنه لا مجال للتلوث هناك. وبعبارة أخرى: يطهركم بمعنى يحفظكم مطهرين لا أن يطهركم من لوث سابق.

٢ - إذا كان أهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء الخمسة فقط فلماذا جعلت هذه الآية في سياق الحديث عن نساء النبي صلى الله عليه وآله؟

الجواب:

أ - جملة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ نزلت بشكل منفصل؛ ولكنها جعلت هنا عند جمع القرآن.

ب - ورد في تفسير مجمع البيان: أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره، ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم.

كما لو أن المذيع في التلفزيون قال فجأة: ألفت نظركم إلى خبر عاجل وردنا الآن، فإن هذا موجب للانتباه والالتفات من قبل المستمعين. وذلك كآية الثالثة من سورة المائدة إذ تحدثت عن تمام الدين، وكمال النعمة، ويأس الكفار، ورضا الله تعالى إلى جانب الآيات المرتبطة بلحم الميتة والخنزير والدم، وهذا هو سر حفظ القرآن من إرجاف المبطلين.

ج - إنه من ضمن الوصايا الموجهة إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، تنبيهاً لزوجات النبي بأنهن في بيت فيه أهل العصمة ولا بد لهن من مراعاة التقوى والمواظبة عليها.

د - في مورد أهل البيت عليهم السلام ورد الضمير بصيغة الجمع المذكر، وهذا دليل غلبة الرجال، وذلك خلافاً للجمل المرتبطة بنساء النبي صلى الله عليه وآله؛ فإن المستخدم فيها ضمير المؤنث: «بيوتكن - أقمن، عنكم - يطهركم».

هـ - تشمل هذه الآية، وإن كان المخاطب فيها نساء النبي ﷺ، نساء المسلمين كافة، فعليهن العمل بها.

التعاليم

- ١ - المرأة إما أن تكون في البيت أو في الخارج ولكن دون تبرج، ﴿وَقَرْنَ... وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾.
- ٢ - الرجوع إلى زمن الجاهلية ممنوع، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.
- ٣ - التبرج ليس علامة على التحضر، بل علامة على الجاهلية، ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.
- ٤ - الصلاة والزكاة عنصران لا ينفكان وبينهما تلازم تام، ﴿الصَّلَاةَ... الزَّكَاةَ﴾.
- ٥ - تجب طاعة الرسول إلى جانب طاعة الله ﷻ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾.
- ٦ - الذنب رجس معنوي، وأهل بيت النبوة ينبغي أن يكونوا في بعد عن هذا الرجس، ﴿لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤)

إشارات

□ قالوا إن لكلمة «ذكر» معنيين هما: التذكر والآخر القول باللسان. وعليه؛ فالمراد من قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ إما أن على نساء النبي ﷺ أن يتذكرن أن كتاب الله أنزل في بيوتهن، أو بمعنى أن يذكرن لساثر الناس ما يتلى في بيوتهن من كتاب الله ﷻ.

التعاليم

- ١ - يوصي القرآن الكريم بتلاوة القرآن في البيوت وتكراره من قبل أهل تلك البيوت، ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى... مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

٢ - بدل اتّباع ثقافة الابتذال يجب اتّباع الثقافة الدينية، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَأَذْكُرْنَ﴾.

٣ - جعل المرأة في بيتها والحد من خروجها لا يعني إطلاقاً تخلفها عن العلم والحكمة، ﴿وَقَرْنَ... وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَأَذْكُرْنَ... ءَايَتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

٤ - العمل الحسن يطلب بنحو أكد من بيت النبوة، ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؛ (العيش في بيت النبوة يولّد تكاليف خاصّة).

٥ - الأمر بقرار المرأة في بيتها، نهيها عن التبرّج، أداء الصلاة والزكاة، وذكر الآيات يرجع إلى اللطف الإلهي بالنساء وعلمه بالمصالح والمفاسد، ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

□ بعد أن تعرّضت الآية السابقة للأوامر الموجهة إلى زوجات النبي ﷺ، تذكر الآية عشر صفات كمالية، للرجال والنساء كافة، ترتبط بالمسائل العقديّة، والأخلاقيّة، والعلمية.

□ تتضح أهميّة هذه الآية عندما نلاحظ ذلك التمييز الموجود لدى العرب والعجم في موضوع الرجل والمرأة.

□ الفرق بين الرجل والمرأة في الجسم. فالروح لا فرق فيها بينهما، وكافة الكمالات البشرية ترتبط بالروح لا بالجسم. ولذا كانت كافة الكمالات الواردة في هذه الآية بنحو التساوي بين الرجل والمرأة.

التعاليم

- ١ - إنما يصبح الإنسان كاملاً إذا حاز على كافة الكمالات لا على بعضها فقط، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ...﴾.
- ٢ - من دلائل كون الإسلام جامعاً أنه يلحظ الكمال في كافة الأبعاد سواء العقدي منه أم الأخلاقي أم العلمي، الفردي أم الاجتماعي، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ...﴾.
- ٣ - ترغيب الآخرين بفعل الخير يكون بذكر أهل الخير بالتبجيل والاحترام، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ...﴾.
- ٤ - تطوّر الإنسان يتم بشكل مرحلي وخطوة بعد أخرى، (فالإسلام يبدأ باللسان أولاً، ثم الإيمان بالقلب، ثم الطاعة، فالصدقة، فالصبر وإلى غير ذلك، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ... الْمُؤْمِنِينَ... الصَّادِقِينَ...﴾).
- ٥ - الإنسان الكامل مضافاً إلى إقراره باللسان (الإسلام) والاعتقاد بالقلب (الإيمان) لا بد له من أن يتحكم بشهوة البطن والفرج أيضاً.
 - التحكم بشهوة البطن بالصوم، ﴿وَالصَّائِمِينَ﴾.
 - التحكم باللسان بالصدق، ﴿الصَّادِقِينَ﴾.
 - التحكم بالشهوة الجنسية بالابتعاد عن الحرام، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾.
 - مواجهة الغرور بالتواضع، ﴿الْقَانِتِينَ﴾.
 - مواجهة الغفلة بذكر الله ﷻ، ﴿وَالذَّكِّرِينَ﴾.
 - مواجهة المصاعب والمشاق بالصبر، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾.
 - عدم الغفلة عن المحرومين بالإنفاق عليهم، ﴿وَالْمُنْصِفِينَ﴾.
- ٦ - يهتم الإسلام بالكم وبالنوع، (ففي مسألة الكم يقول تعالى: ﴿وَالذَّكِّرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ وفي مورد النوع يقول تعالى: ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، (أي الطاعة مع الخشوع والخضوع).
- ٧ - للمرأة حق التملك والإنفاق، ﴿وَالْمُنْصِفِينَ وَالْمُنْصِفَاتِ﴾.

٨ - يجب أن نعلم أن كل ما نوفق إليه فهو من عند الله ﷻ، (ذكر الله خاتمة الكمالات)، ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾.

٩ - الرجل والمرأة سواء في تلقي الكمال المعنوي والإنساني، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

١٠ - العمل الصالح مفتاح المغفرة الإلهية، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾.

١١ - المغفرة الإلهية أولاً، ثم تلقي الثواب، ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦)

إشارات

□ إذا كان المسلم موقناً بهذه الآية، فقد قال النبي ﷺ في غدير خم وبأمر من الله ﷻ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^(١) فهل يُقدّم أحداً على علي ﷺ.

□ هذه الآية توطئة للآية التالية التي تأمر النبي ﷺ بتحطيم أعراف الجاهلية، وأنه ليس للناس الحق في اتباع ما يريدون مقابل الإرادة الإلهية.

□ دلالة الآية على أنه ليس لأحد الحق في اختيار غير ما يريده الله ورسوله، لا ينبغي أن تكون مثاراً للتعجب؛ لأن ذلك كقول الطبيب للمريض ليس لك الحق في أن تأكل ما لا أسمح به، أو تشرب من الدواء ما لا أصفه لك. فهنا منع إلهي من أن يكون اختيارنا طبقاً للميل الشخصي مقابل الأوامر الإلهية، لأنه أعلم بما فيه سعادتنا.

وقد ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب... ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين»^(٢).

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ١٧٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٥٤٥.

□ المحور في نظام الدولة الدينية هو الله ﷻ، وهو الحاكم على الديمقراطية ورأي الناس؛ لأن رأي الناس إنما يكون معتبراً ما لم يكن مخالفاً لما يريده الله ﷻ.

التعاليم

- ١ - العمر، والعلم، والعرق، والقوة، والثروة، والشهرة، والعشيرة، والأنصار، والمؤسسات الدولية، جميعها، لا تكون سبباً في ثبوت حق لأحد في مواجهة القانون الإلهي، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.
- ٢ - التعبد أمام الله ﷻ ورسوله علامة الإيمان، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.
- ٣ - لا فرق بين الرجل والمرأة في التسليم والتعبد، ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.
- ٤ - كل من يأتي بقانون مخالف للقانون الإلهي ولسنة النبي ﷺ فعليكم الشك بإيمانه، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.
- ٥ - أوامر النبي الأكرم ﷺ كالأوامر الإلهية يجب الالتزام بها، ﴿إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.
- ٦ - لله ﷻ ولرسوله ﷺ الولاية التامة على أمور الناس، ﴿قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾.
- ٧ - الاجتهاد مقابل النص منهي عنه، (حيث يكون الحكم الإلهي واضحاً بيناً؛ فليس لأحد حق الاعتراض وتقديم اقتراحات بديلة)، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.
- ٨ - حرية الإنسان لا بد من أن تكون ضمن إطار القانون الإلهي، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.
- ٩ - العقل تابع للوحي، والطبع لا بد من أن يكون تابِعاً للتكليف، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.
- ١٠ - أي اختيار أو رأي مخالف للقانون الإلهي أو لحكم الله ورسوله، فهو معصية وانحراف بين، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ... ضَلَّالًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

□ «الأدعياء» جمع «دعي»، وهو الولد المتبنى. «والوطر» بمعنى «الحاجة».

□ نزلت هذه الآيات -على قول أغلب المفسرين- في قضية زواج (زينب بنت جحش) -بنت عمه الرسول الأكرم- يزيد بن حارثة مولى النبي ﷺ المعتق. والقصة كما يلي: كانت خديجة قد اشترت قبل البعثة وبعد زواجها بالنبي ﷺ عبداً اسمه زيد، ثم وهبته للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ، فلما طردته عشيرته وتبرأت منه تبناه النبي ﷺ. وبعد ظهور الإسلام أصبح زيد مسلماً مخلصاً متفانياً، وأصبح له موقع ممتاز في الإسلام، وكما نعلم فإنه أصبح في النهاية أحد قواد جيش الإسلام في معركة مؤتة واستشهد فيها. وعندما صمم النبي ﷺ على أن ينتخب زوجة لزيد، خطب له (زينب بنت جحش)، فكانت زينب تظن أن النبي ﷺ يريد أن يخطبها لنفسه، فسرت ورضيت، ولكنها لما علمت فيما بعد أن خطبته كانت لزيد تأثرت تأثراً شديداً وامتنعت، وكذلك خالف أخوها عبد الله هذه الخطبة أشد مخالفة. هنا نزلت الآية الأولى من الآيات مورد البحث وحذرت زينب وعبد الله وأمثالهما بأنهم لا يقدرُونَ على مخالفة أمر يراه الله ورسوله ضرورياً، فلما سمعوا ذلك سلماً لأمر الله.

غير أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، بل انتهى إلى الطلاق نتيجة عدم الانسجام واختلاف أخلاق الزوجين، بالرغم من أن النبي الأكرم ﷺ كان مصرّاً على أن لا يتم هذا الطلاق.

ولكن زيد طلقها وبهذا عانت زينب مشكلتين: مشكلة زواجها من زيد إذ لم يكن المجتمع يتقبل ذلك، ومشكلة طلاقها منه.

□ كان رسول الله ﷺ مأموراً بتحطيم سنتين جاهليتين:

أ - معاملة الولد المتبنى كالولد الحقيقي في زمان الجاهلية.

ب - الزواج من طليقة العبد المتبنى حيث كان فعلاً قبيحاً في الجاهلية.

□ بعد ذلك تزوج النبي ﷺ من زينب وخصها بأن أطعم الناس ما لم يطعمه عند زواجه من سائرهن. ولما كان تعبير الآية هنا ﴿زَوَّجْتَكُمَهَا﴾ كانت زينب تفتخر على سائر زوجات النبي ﷺ بأن زواجهن كان من رسول الله ولكن زواجه كان بأمر من الله ﷻ.

□ سؤال: ما هو المراد من جملة: ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؟

الجواب: ورد عن الإمام الرضا ﷺ في جوابه عن أسئلة المأمون له عن عصمة الأنبياء: «أما محمد ﷺ وقول الله ﷻ: ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾، فإن الله تعالى عرف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وأحد من سُمي له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى ﷺ اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين»^(١). وعليه فالنبي ﷺ لم يرتكب ما يخل بالعصمة ومقام النبوة.

□ الأوامر على نحوين: مولوية، وهي لا بد من العمل بها، وإرشادية، وهي الأوامر التي يكون العمل بها لصالح هذا الإنسان. وقول النبي ﷺ لزيد: أمسك عليك زوجك، كان أمراً إرشادياً لا غير، وإلا لم يكن معنى لقول الله ﷻ: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ مع أنه خالف أمر النبي ﷺ هذا وطلق زوجته. كما إنه قد ورد في الآية السابقة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.

□ لم يكن النبي ﷺ عازماً على الزواج من زينب؛ لذا أمر زيداً بإمساك زوجته

(١) تفاسير: الميزان في تفسير القرآن؛ ونور الثقلين؛ وعيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٨١.

وعدم طلاقها، ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... زَوْجَتَكَهَا﴾.

□ بملاحظة ما سوف يأتي في الآية التالية: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، فإن المبلغ لدين الله لا يخاف أحداً، والمراد من خشية النبي ﷺ في: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ هو الخوف من الفشل في تحقيق الهدف المرجو؛ لأن الناس قد تقول إن النبي ﷺ قد تزوج من زوجة عبد، أو من زوجة ابنه المتبنى.

التعاليم

- ١ - الأنبياء هم المرجعية لحل مشاكل الناس، (رَاجَعَ زيد بن حارثة النبي مرات عدة وكان النبي يأمره بإمسакها)، ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾.
- ٢ - الله ﷻ ورسوله هم أولياء النعم، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ... وَأَنْعَمْتَ﴾.
- ٣ - عند بيان النعم لا بد أولاً من بيان النعم المعنوية، ثم النعم المادية والدينية: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ والمراد من ذلك هداية زيد إلى الإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ المراد منها عتق عبد وتحريره من الرق.
- ٤ - الإسلام والحرية نعمتان عظيمتان، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بأن وفق للإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن حرّر.
- ٥ - إذا أردت ذكر صفة شخص بدل ذكر اسمه فاختر أفضل الصفات، ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾.
- ٦ - إذا شكأ أحد في مشكلة زوجية فلا تتخذ قراراً مباشراً بالتفريق والطلاق، ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؛ (فالإسلام من أنصار تثبيت العلاقة الزوجية).
- ٧ - لا بد من الاستفادة من العاطفة والتقوى في الأمر بالمعروف، ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.
- ٨ - التقوى سبب لتقوية أواصر الأسرة، ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.
- ٩ - كون الإنسان ولي النعمة سبب لثبوت حق الأمر والنهي له، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.
- ١٠ - يترتب على كون الإنسان حاسماً وحازماً أن يواجه الأفكار الفاسدة

والمنحرفة حتى لو كانت أفكاراً تسود المجتمع، ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

١١ - لا ينبغي الخوف من أقاويل الناس إذا أردنا تحطيم بعض العادات الاجتماعية الخاطئة، ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

١٢ - لا ينبغي انتظار تأييد المجتمع الدولي وغيره عندما نريد إنفاذ أمر الله، ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

١٣ - لا ينحصر الطلاق في حالات النشوز من المرأة، (أي عدم رغبتها في الرجل وعدم تمكينها له)، ﴿فَقَضَى زَيْدٌ مِثْلَهَا وَطَرًا﴾.

١٤ - الزواج من الحاجات الإنسانية الثابتة، ﴿وَطَرًا﴾ أي حاجة مهمة وأساس.

١٥ - لا بد من استخدام الكناية في المسائل الجنسية، ﴿فَقَضَى زَيْدٌ مِثْلَهَا وَطَرًا﴾.

١٦ - على قادة الدين أن يكونوا سباقين إلى تحطيم العادات والسنن الباطلة، ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، (افتتح باب الحق للآخرين أمر مهم).

١٧ - المرأة المطلقة محترمة والزواج منها ليس معيباً، ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾.

١٨ - التمسك بالأعراف والتقاليد غير الدينية سبب للوقوع في الحرج، ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾.

١٩ - يجوز الزواج من زوجة الولد المتبنى بعد طلاقه لها، ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ

فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾

إشارات

□ هذه الآية بمثابة إعلان حاسم على أن قادة الدين لا بد لهم من تحطيم الحواجز، وعدم الخوف من ملامة الناس، وعدم انتظار رضاهم.

□ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: علم الله ﷻ أن المنافقين سيعيونه بتزويجها (زوجة

زيد الابن المتبنى للنبي ﷺ، فأنزل: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾^(١).

التعاليم

- ١ - لا ينبغي للنبي ﷺ أن يعتني بحديث الناس إذا أراد إنفاذ أمر الله ﷻ، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾.
 - ٢ - قد يكون للنبي ﷺ وظائف وتكاليف خاصة به، ﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾.
 - ٣ - الأنبياء كافة حطموا الحواجز وحاربوا التقاليد المنحرفة عند الناس، ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾.
 - ٤ - السنة الإلهية قضت بتحطيم السنن الخاطئة، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾.
 - ٥ - الأمر الإلهي مقدر ولا بد من إنفاذه، ﴿أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾.
- ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَصِيبًا﴾^(٣٩)

إشارات

- تحدثت هذه الآية عن شجاعة المبلغ لدين الله وحزمه في بيان الأحكام الإلهية للناس. ولكن علينا أن ندرك أن المداراة، والليونة، والسكوت قد تكون أموراً لازمة أحياناً لجذب القلوب.
- الخشية غير الخوف. فالخشية هي التأثير القلبي الناشئ من عظمة أمر ما، ولكن الخوف هو انتظار وقوع أمر غير محبوب يجب الحذر منه. والأنبياء لا يخشون أحداً إلا الله، لأنهم لا يرون أحداً إلا الله ﷻ.

التعاليم

- ١ - نجاح العمل التبليغي رهن بـ:
- أ - استمراره ودوامه، ﴿يُبَلِّغُونَ﴾.

ب - التقوى في العمل، ﴿وَيَحْشَوْنَ﴾.

ج - الحزم والصلابة، ﴿وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾.

د - التوكل على الله، ﴿وَكُنْ بِإِلَهِ حَيًّا﴾.

٢ - التبليغ لا يكون دائماً عن طريق الخطابة، بل لا بد أحياناً من اتباع أسلوب العمل لبيان حكم الله ﷻ، (فقد ورد في الآية السابقة الأمر بالزواج من زوجة زيد لأجل القضاء على عرف خاطئ، وهنا: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾).

٣ - لأصحاب الدعوة إلى الله ﷻ أعداء على الدوام، ﴿وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا﴾.

٤ - الخوف من الله مقدمة للشجاعة والشهامة، ﴿وَيَحْشَوْنَ وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا﴾.

٥ - على الداعية إلى الله ﷻ أن يعلم أن كل ما يتحملة ويصبر عليه فإن حسابه عند الله ﷻ، ﴿وَكُنْ بِإِلَهِ حَيًّا﴾.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾

إشارات

□ وردت في هذه الآية مفردة «رسول» ومفردة «نبي»، والرسول هو من له كتاب، والنبي هو المخبر. أو أن الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، والنبي: من بعثه لتقرير شريعة سابقة^(١).

□ «الخاتم» بمعنى ما يوضع للزينة، وكانوا قديماً يحفرون الاسم على فص الخاتم لكي يمهروا بها آخر رسائلهم. وهو هنا كناية عن آخر أنبياء الله ﷻ.

□ على الرغم من تعدد الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على أن رسالة النبي محمد ﷺ هي رسالة عالمية خالدة نحو: ﴿لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢)؛ ﴿لَّأُنذِرَكُمْ﴾

بِهِ وَمَنْ يَلْعَلْ^(١)؛ ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٢)؛ وعلى الرغم مما ورد في الروايات من الحديث المتواتر: «لا نبي بعدي»^(٣)، والحديث المعروف: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة»^(٤)، وعشرات الروايات الأخرى، إلا أن هذه الآية هي أوضح دليل على ختم النبوة بالنبي ﷺ.

□ هذه الآية هي الآية الوحيدة التي تعرضت لاسم النبي ولكونه رسول الله في صفتين: (محمد)، (رسول الله)، ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

اسئلة واجوبة

١ - لماذا استغنى الناس عن الحاجة إلى النبي بعد الإسلام؟

الجواب: السبب الأساس لتجديد النبوة ومجيء أنبياء جدد يعود إلى أحد أمرين: إما التحريف الذي يقع في الدين السابق، بنحو يطل التحريف الكتاب أو تعاليم النبي السابق؛ وإما تكامل البشر على مر التاريخ الموجب لنزول قوانين أشمل وأتم.

وأما بعد نبوة نبي الإسلام ﷺ فلم يحدث شيء من هذا، لأنه: أولاً: لم ينل القرآن شيء من التحريف، بل هو محفوظ بين الناس دون نقص حتى بكلمة واحدة، وثانياً: إن الإسلام احتوى على القوانين التامة والجامعة، فما من حكم يحتاج إليه البشر، ويعلم من الله ﷻ إلى يوم القيامة، إلا وقد بُيِّن في الإسلام.

٢ - كيف يمكن الجمع بين الحاجات المتغيرة للإنسان وخاتمية الدين الإلهي؟

الجواب: يحتاج الإنسان إلى الأستاذ في مراحل الدراسة إلى أن يصل إلى مرحلة الاجتهاد أو ينال شهادة الدكتوراه، ومتى وصل إلى ذلك استغنى عن الحاجة إلى الأستاذ، لأنه قد تعلم القواعد العامة ويمكنه من خلال ما لديه من اجتهاد أن يستنبط الأحكام الجديدة التي يحتاج إليها من القواعد العامة. نعم دون الفقهاء أصولاً وقواعد لاستخراج هذه الأحكام من القواعد العامة.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ٢٦.

(٢) سورة سبا: الآية ٢٨.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٨.

٣ - لماذا انقطعت علاقة البشر بالغيب؟

الجواب: الوحي لا ينزل؛ ولكن علاقة البشر بالغيب لم تنقطع، فالإمام المعصوم عليه السلام حاضر، وتنزل عليه الملائكة^(١). فالممدد الغيبي يصل إلى من يستحق من البشر؛ حتى البشر العاديون يجدون نوراً إلهياً يبين لهم الطريق من خلال التقوى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ... وَجَعَلَ لَكُم تَوْرًا﴾^(٢).

التعاليم

- ١ - الولد المتبنى لا يصير ولداً نسبياً، ولا يصبح الأب أباً نسبياً له حتى يحرم عليه الزواج من طليقته، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.
- ٢ - حكم أمهات المؤمنين، وهن زوجات النبي صلى الله عليه وآله (الوارد في الآية السادسة من هذه السورة)، ليس دليلاً على حكم الأبوة للنبي صلى الله عليه وآله، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ...﴾.
- ٣ - خاتمية نبي الإسلام تقوم على أساس العلم والحكمة الإلهيتين، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيُّنَ... اللَّهُ يَكْلِفُ مَن يَشَاءُ عِلْمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ﴾

إشارات

□ ذكر الله تعالى لا يقتصر على اللسان، بل لا بد من أن يكون السعي لرضا الله تعالى في كل تفكير، وفعل، وعمل.

وقد تعرض القرآن الكريم لآثار ذكر الله تعالى وبركاته، فمن حكم الصلاة أنها ذكر الله تعالى، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٣)؛ وذكر الله وسيلة لسكينة القلوب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٤)، وعروج النفس المطمئنة إلى بارئها ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾^(٥). كما إن الإعراض عن ذكر الله موجب لضنك الحياة، ﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾^(٦).

(٤) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(١) انظر: كتاب الإمامة من أصول الكافي.

(٥) سورة الفجر: الآيتان ٢٧ و ٢٨.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٨.

(٦) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٣) سورة طه: الآية ١٤.

- قالوا: إن تسييح السيدة الزهراء عليها السلام مصداق الذكر الكثير^(١).
- ورد عن رسول الله: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر...»^(٢).
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِلَّا الذُّكْرُ فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ»^(٣).
- ورد في الحديث: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال ذكر الموت وتلاوة القرآن»^(٤).
- وقد ورد في عدد من الروايات أن الذكر ليس باللسان وحده؛ «ولكن ذكر الله في كل مواطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته»^(٥).

التعاليم

- ١ - الخطاب الحسن والمليء بالمحبة وسيلة لجذب الناس وباب لتقبلهم الحديث، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٢ - ذكر الله إنما يؤثر في الإنسان متى كان دائماً ومستمراً، ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.
- ٣ - أفضل ذكر الله ﷻ التسييح، ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ... وَسَيَّحُوهُ﴾.
- ٤ - بدء النهار ونهايته لا بد من أن يكونا بذكر الله ﷻ، ﴿وَسَيَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (١٣)

إشارات

- ورد في الآية السابقة الأمر بذكر الله كثيراً، وفي هذه الآية حديث عن صلاة الله عليكم، وهما معاً كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٦).

(١) ميزان الحكمة وسفينة البحار (مادة ذكر). (٤) نهج الفصاحة، ص ٣٤٤.
(٢) نهج الفصاحة، ص ٢٠٤. (٥) سفينة البحار، مادة: «ذكر». (٦) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

التعاليم

- ١ - المحبة والرحمة طريق لدعوة الناس إلى الدين، ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ... لِيُخْرِجَكُمْ﴾.
 - ٢ - الملائكة يصلّون على المؤمنين، ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَلَتَنَكُنَّ لِيُخْرِجَكُمْ﴾ ويستغفرون لهم أيضاً، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١).
 - ٣ - العلم والعقل البشري لا يكفي لإخراج الإنسان من الظلمات، بل لا بد له من المدد الإلهي، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي... لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾.
 - ٤ - الظلمات عديدة، ﴿الظُّلُمَاتِ﴾، ظلمة الجهل، والشرك، والتفرقة، والغفلة، والخرافات.
 - ٥ - الإيمان بالله ﷻ وبالحقائق الإلهية يضيء للإنسان الطريق، ﴿إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.
 - ٦ - الإيمان مفتاح تلقي الرحمة الإلهية الخاصة، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.
- ﴿يَجِئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾

إشارات

- كلمة «تحية» من «الحياة»، بمعنى الدعاء بالسلامة للآخرين.
- المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يوم الملاقاة وهو يوم القيامة، إذ يلاقي الإنسان ربه بعد زوال الحجب عن القلب؛ فيصل الإنسان إلى مقام الشهود الباطني^(٢).
- السلام:

- من الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(٣).
- ومن الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٤).

(٣) سورة يس: الآية ٥٨.
(٤) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(١) سورة غافر: الآية ٧.
(٢) تفسير نمونه.

- علامة السلامة: ﴿أَتَخْلَوْهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾^(١).

- كلام أهل الجنة: ﴿قِيلَ سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٢).

التعاليم

١ - السلام تحية أهل الجنة، ﴿يَحْيِيْنَهُمْ... سَلَامٌ﴾.

٢ - الثواب الإلهي كريم وعظيم، ﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤)

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٥)

إشارات

□ في الآيتين بيان لدور النبي الأكرم ﷺ في المجتمع. فهو يدعو الناس إلى الله ﷻ، ووسيلة هذه الدعوة التبشير والإنذار، ولكن باللسان والعمل، فهو بذلك يكون المحجة والقدوة.

التعاليم

١ - ينبغي إعلام الناس بدور بعض الأفراد والمسؤولية الملقاة عليهم، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ...﴾.

٢ - التعظيم والاحترام لازمان في مقابل أذى الأعداء، ﴿أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾، ونقرأ في الآية التالية: ﴿وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ﴾.

٣ - النبي ﷺ شاهدٌ على أعمال العباد، ﴿شَهِيدًا﴾.

٤ - من يحق له التبشير والإنذار لا بد من أن يكون شاهداً على أعمال الناس وأفعالهم، ﴿شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا﴾.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٠.

(١) سورة الحجر: الآية ٤٦.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

- ٥ - التبشير والإنذار أمران لازمان في العمل التبليغي، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٦ - التبشير والإنذار وسيلتا دعوة الأنبياء، ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا﴾.
- ٧ - الأنبياء يدعون الناس إلى الله ﷻ لا إلى أنفسهم، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾.
- ٨ - لا استقلال للأنبياء بالقياس إلى الله ﷻ، فتكليفهم منه ونجاتهم ودعوتهم بإذنه، ﴿بِإِذْنِهِ﴾.
- ٩ - النبي نور هداية في المجتمع، وهذا النور هو سبب تطوّر المجتمع وضياء حركته، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

﴿وَنَبِّئِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨)

إشارات

- تجاهل أذى الأعداء لا يعني الضعف وعدم القدرة على مواجهتهم، بل يعني التوكل والأمل برحمة الله ﷻ كي لا يؤدي آذاهم للتراجع.
- النبي مأمور من الله ﷻ بأن يبشر المؤمنين بالفضل الإلهي الخاص الذي يشملهم، وهو بنفسه من عظيم لطف الله ﷻ.
- هذه الآية ﴿وَنَبِّئِ...﴾ هي مصداق الآية السابقة: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾.

التعاليم

- ١ - الإيمان شرط لتلقي الألفاظ الإلهية الخاصة، ﴿وَنَبِّئِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٢ - على القائد أن يبشر المؤمنين، ﴿وَنَبِّئِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٣ - يعامل الله ﷻ المؤمنين بفضله، ﴿مِنَ اللَّهِ فَضْلًا﴾. نعم، فضل الله على العباد على درجات ومراتب، ﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾.
- ٤ - من يتعلق بمصدر قوة الحق تعالى يمكنه أن ينفصل عن أهل الانحراف، ﴿مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا... وَلَا تُطِيعُ...﴾.

- ٥ - تجاهل أذى الكفار والمنافقين والوثبات في مواجهتهم تحتاج إلى توكل، ﴿وَلَا تُطِيعُ... وَدَعْ أَذْنَهُمْ... وَتَوَكَّلْ﴾.
- ٦ - الكفار والمنافقون في جبهة واحدة، ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فهما معاً يؤذون المؤمنين، ﴿أَذْنَهُمْ﴾.
- ٧ - في بعض الحالات تكون وظيفة القائد الإرشاد فقط، دون أن يسعى لمقابلتهم بالمثل أو الانتقام منهم، ﴿وَدَعْ أَذْنَهُمْ﴾.
- ٨ - يجب على الإنسان أن يتوكل على الله؛ لأنه وكيل كاف وواف، ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾

إشارات

- المراد من النكاح عقد الزواج، والمراد من المسّ الوطء، والسراح هو الجميل الطلاق دون خصومة وعنف.
- «العدة» تطلق على المدة التي لا بد للمرأة المطلقة فيها من أن تنتظر نهايتها قبل أن تتزوج من رجل آخر. وعدة طلاق المرأة ثلاث طهور، وعدة وفاة الزوج أربعة أشهر وعشرة أيام.
- بعض النساء لا عدة لهن وهن: من لم يتحقق وطؤها، البائسة (المرأة بين ٥٠ و٦٠).
- ورد في الآية ٢٣٦ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- «عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ۝ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، قَالَ: مَتَّعُوهُنَّ أَيَّ جَمَلُوهُنَّ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّهِنَّ يَرْجِعْنَ بِكَابَةِ وَوَحْشَةٍ

وَمَنْ عَظِيمٌ وَشَمَاتَةٌ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي وَيُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ إِنْ أَكْرَمَكُمْ أَشَدُّكُمْ إِكْرَامًا لِحَالِهِمْ^(١).

التعاليم

- ١ - من لوازم الإيمان العمل بما أمره به الله ﷻ، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ...﴾.
 - ٢ - حق الطلاق بيد الرجل، ﴿طَلَّقْتُمْ﴾؛ إلا في بعض الموارد المحددة من قبل الشارع.
 - ٣ - الإيمان أهم شرط في الزواج، ﴿ءَامَنُوا... نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.
 - ٤ - الطلاق ليس دليلاً على عدم الدين، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ... طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾.
 - ٥ - العدة حق للرجل إذا أراد الرجوع إلى الزوجة، وأما في الطلاق قبل الدخول فلا حق للرجل بالرجوع، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ﴾.
 - ٦ - لا بد من جبران الخسارة المعنوية، ففي الطلاق بعد العقد خسارة معنوية للمرأة؛ لذا لا بد من جبران ذلك بدفع المهر المناسب، ﴿فَتَعْمُوهُنَّ﴾.
 - ٧ - الطلاق والانفصال لا يبرران الحقد والعنف، ﴿وَمَسْرُوهُنَّ سَرَامًا جَبِيلًا﴾.
- ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

□ «أفاء» من «الفيء»، ويطلق على الأموال التي يغنمها المسلمون دون قتال. كلمتا

«عم» و«خال» تطلقان في اللغة العربية على الجنس وتشملان كل عم وخال، ولكن «العمة» و«الخالة» تأتيان بصورة الجمع (عماتك، خالاتك).

□ توجد أنواع ثلاثة من النكاح في الإسلام:

أ - النكاح مع المهر، (دائماً كان أو مؤقتاً).

ب - النكاح بملك اليمين (الإماء).

ج - النكاح دون مهر وهو أن تهب المرأة نفسها للرجل.

أما النوعان الأول والثاني فهما مشروعان للمسلمين كافة، وأما النوع الثالث فمشروعيته تختص برسول الله ﷺ. وقد ورد أن عائشة قالت للنبي ﷺ: «وانك إن أطعت الله سارع في هواك»^(١).

□ الجهاد واجب على النبي ولو كان وحيداً: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، كما تجب عليه صلاة الليل، فهذا الاختصاص المادي ليس شيئاً أمام ما تحمّله النبي ﷺ^(٣).

□ سؤال: لماذا تعددت زوجات رسول الله ﷺ؟

الجواب: أولاً: لم تكن الشهوة هي الأساس في زواج النبي ﷺ؛ لأن النبي الكريم عاش من سن ٢٥ حتى سن ٥٣ مع خديجة فقط، وهي امرأة كانت تكبر النبي ﷺ بخمسة عشر سنة، ولم يتزوج النبي امرأة في حياته.

ثانياً: إن القبائل كافة قد اجتمعت على النبي ﷺ وكان عليه، وبتخطيط دقيق، أن يواجه هذا الاجتماع والتحالف ضده، وأفضل طرق ذلك وأبسطها كان بمصاهرته ﷺ لمختلف القبائل، وقد كانت من أعراف الناس وتقاليدهم في ذلك الزمان الدفاع عن الصهر وحمايته، وبهذا تمكن النبي من تذليل بعض العقبات أمام نشر الدين.

ثالثاً: إنّ بعض حالات زواج النبي ﷺ كان لتحطيم بعض الأعراف

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٨٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٣) ورد عن النبي ﷺ قوله: «ما أودى نبي مثل ما أوديت». بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٥٦.

والتقاليد الخاطئة بين الناس، كما في حالة زواجه من ابنة عمته زينب، وقد تعرضنا لها في الآية ٣٧ من هذه السورة.

رابعاً: كانت بعض زيجاته ﷺ مجرد عقد، ولم تنشأ بينه وبين بعضهن علاقة زوجية كاملة، كما إنه لم يتجاوز حد خطبة النساء من بعض القبائل ولم يعقد عليهن، وهذا كان وسيلة ارتباط.

خامساً: لو كان الهدف جنسياً لكان ينبغي أن يكون للنبي أسرة كبيرة من هذه الزوجات المتعدّدات.

سادساً: إن النبي ﷺ تزوج عائشة وكانت صغيرة السن، ولم يتمكن من البناء بها إلا بعد مدة من الزمن. فلو كان الهدف جنسياً ما كان ليتزوج طفلة.

سابعاً: لا ينبغي أن نقيس النبي ﷺ بأنفسنا، فنحن قد يعيقنا وجود زوجة واحدة عن الاهتمام بالأمور المعنوية وتحصيل الكمال؛ ولكن النبي ﷺ لم يشغله هذا العدد من الزوجات عن التعبّد والاشتغال بالمعنويات والعمل على هداية الناس حتى خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿لَمَّا كَبُخْتُ نَفْسِي﴾^(١)، أو قوله تعالى: ﴿لَتَشْفَى﴾^(٢)، نعم فنسيم المعرفة يشمل وجود النبي ﷺ بنحو لا يمكن أن يعيقه من الرقي هذه الزيجات المتعدّدة.

إذاً، تعدد زوجات النبي ﷺ كان بعد سن الخمسين وكان من نساء مطلقات ومتروكات مع رغبتهن في الزواج، ولأجل تطبيق العدالة بين الزوجات من قبل النبي بما يكون درساً عملياً لكيفية إدارة حالات تعدد الزوجات، واختيار الحياة البسيطة دون إطاعة رغبات بعض الزوجات في الزينة والمباهاة. مضافاً إلى أن ذلك صدر من النبي ﷺ في زمان لم يكن تعدد الزوجات فيه عيباً، بل لعل الزوجة الأولى كانت تذهب لخطبة الزوجة الثانية. هذا مضافاً إلى ملاحظات أخرى لا بدّ من أن تؤخذ بالاعتبار.

(١) سورة الشعراء: الآية ٣.

(٢) سورة طه: الآية ٢.

التعاليم

- ١ - تعيين الحلال والحرام بيد الله ﷻ، ﴿إِنَّا أَمَلْنَا لَكَ﴾، (فالنبي ﷺ تابع للقانون الإلهي في مسأله الخاصة).
 - ٢ - المهر لازم للمرأة ويجب على الرجل أدائه، ﴿ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ﴾.
 - ٣ - لا بد من إشباع الغريزة الجنسية، فهذه الحاجة فطرية موجودة عند الناس، ومنهم الإمام والعبيد فلا ينبغي إهمال هذا الأمر عندهم، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.
 - ٤ - خص الإسلام النبي الكريم ﷺ ببعض الأحكام والتكاليف، ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾.
 - ٥ - تحديد من يصح الزواج منها من النساء بيد الله ﷻ، ﴿فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾.
 - ٦ - لا يريد الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يقع في الحرج، ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾.
- ﴿تُرْجَىٰ مِنْ نِّسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتَقْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ نِّسَاءٍ وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَقُّ أَنْ تَفَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَتْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (٥١)

إشارات

- كلمة «ترجي» من «الإرجاء» بمعنى التأخير، وكلمة «تؤوي» من المأوى بمعنى تقديم المسكن. وهاتان المفردتان كناية عن الطلاق، أو الإمساك، أو التأخير والتقديم في المضاجعة.
- العدل واجب بين النساء، ولكن النبي ﷺ وبسبب الصعوبات التي كان يواجهها في الدعوة وجهاده أعداء الدين، كان له الحق في تغيير تقسيم الليالي على النساء، فله أن يبقى أكثر من ليلة عند إحداهن^(١). نعم ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية تتحدث عن أن الخيار للنبي ﷺ في مقدار النفقة قلة وكثرة، أو رد طلب المرأة التي وهبت نفسها النبي له القبول به، أو طلاق المرأة ثم الرجوع إليها.

(١) وهو المستفاد من رواية في الكافي، ج ٥، ص ٣٨٨.

التعاليم

- ١ - لا بدّ من أن يكون لبعض أصحاب المسؤوليات العظام صلاحيات خاصة، ﴿تُرِي مَن تَشَاءُ﴾، (عندما تكون عدالة الشخص محرزة وتقواه واضحة، يمكنه التقديم والتأخير والتحقّف من بعض القيود الشكلية. فأزواج النبي ﷺ، عليهنّ أن لا يخشين حيفه عليهنّ أو نقصه من حقوقهنّ بتقديم ليلة واحدة منهنّ على غيرها).
 - ٢ - ثبوت الصلاحيات للنبي ﷺ لا يعني تجاهل حق زوجاته، ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ... وَلَا يَحْزَنَ... وَيَرْضَيْنَ﴾.
 - ٣ - قرّة عين المرأة في أمرين: عدم الحزن والرضا، ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ﴾.
 - ٤ - تحصيل رضا الزوجة لا ينبغي أن يكون في الأيام الأولى من الزواج فقط، بل يجب أن يكون على الدوام، ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾.
 - ٥ - تحصيل رضا الزوجة مائة بالمائة مستحيل بحسب العادة؛ ولكن لا بد من العمل على ما يكون قريباً من ذلك، ﴿أَدْنَىٰ أَن... وَيَرْضَيْنَ﴾.
 - ٦ - على الرجل أن يسعى لتحصيل رضا كافة نساؤه، ﴿كُلُّهُنَّ﴾.
 - ٧ - الأحكام الإلهية تكاليف لإقامة العدل وحفظ الحقوق في الأسرة، وإن كان في القلوب شيء آخر، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾.
 - ٨ - أحكام الأسرة في الإسلام نابعة من العلم الإلهي، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾.
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

إشارات

□ كان النبي ﷺ يتعرض لضغوط بعض القبائل ليتخذ له زوجات منهم، ليكون لهم الفخر بمصاهرة رسول الله، وقد تزوج رسول الله ﷺ ببعض النساء لبعض المصالح؛ ولكن هذه الآية تمنع النبي من الاستمرار في ذلك.

التعاليم

- ١ - في القرآن أحكام ثابتة وأخرى متغيرة، ﴿لَا يَحِلُّ... مِنْ بَعْدِ﴾، فالزمان عنصر مؤثر في الأحكام.
- ٢ - تعدد الزوجات محدود حتى للنبي ﷺ، ﴿لَا يَحِلُّ... مِنْ بَعْدِ﴾.
- ٣ - الله ﷻ هو الرقيب على تبديل النبي ﷺ زوجةً بأخرى، ﴿رَقِيبًا﴾.
- ٤ - النبي صلى الله عليه وآله مكلف بأن يتلقى أحكامه من الحلال والحرام من الله ﷻ، ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- الاستئذان لدخول بيوت الآخرين لا يختص ببيت النبي ﷺ؛ لذا ورد في سورة النور: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾^(١).
- تعرضت هذه الآية لبعض آداب الضيافة، وفي آيات أخرى آداب أخرى:
 - السلام عند الدخول: ﴿فَسَلِّمُوا﴾^(٢).
 - الرجوع عند عدم الإذن: ﴿وَأَنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا﴾^(٣).
 - الاهتمام بالضيف وتقديم ما يناسب من الطعام له خاصة مع سبق الدعوة: ﴿جَاءَ يَعْجَلُ خَبِيرٌ﴾^(٤).

(٣) سورة النور: الآية ٢٨.

(٤) سورة هود: الآية ٦٩.

(١) سورة النور: الآية ٢٧.

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

- وضع الطعام بين يدي الضيف، وليس أخذ الضيف إلى الطعام ونقله من مكان إلى آخر: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾^(١).

وقد أشارت الروايات إلى عشرات الآداب الأخرى.

□ «إناء» بمعنى الغذاء المطبوخ والمراد من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾، أن لا يأتي الضيف قبل إعداد الطعام بالنحو الذي يجعله ينتظر إعداد الطعام.

□ كان لبيت النبي ﷺ غرف متعددة، ولكل زوجة غرفة: ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾.

□ الخطاب الموجه في هذه الآية إلى نساء النبي ﷺ هو خطاب كل امرأة مسلمة بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْمُرْ لِقَوْلِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

□ نظراً إلى خطر سوء استغلال مسألة الزواج من زوجات النبي ﷺ فإن الوقاية من ذلك الخطر أهم من حقهن الشخصي؛ لذا سلب منهن حق الزواج بغير النبي، ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ﴾.

التعاليم

١ - الإيمان مستلزم لرعاية الآداب والأعراف الاجتماعية، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا...﴾.

٢ - حق السكينة في البيوت حق محترم للجميع لا سيما لرسول الله ﷺ، ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾.

٣ - الأفضل أن تكون الضيافة في البيت، (لا في الفنادق ونحوها)، ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ... إِلَى طَعَامٍ﴾.

٤ - لصاحب البيت الحق في عدم الإذن بالدخول، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

٥ - الإذن بدخول البيت للآخرين يكفي ولا يلزم على كل شخص أن يطلب الإذن بنفسه، (كلمة «يؤذن» وردت بصيغة المجهول، أي بأي نحو تحقق إذن صاحب البيت بالدخول).

- ٦ - دعوة الضيف من سيرة النبي ﷺ، ﴿إِنْ طَعَامٌ... دُعِيتُمْ﴾.
- ٧ - المهم هو أصل الضيافة، لا نوع الطعام، ﴿إِنْ طَعَامٌ... دُعِيتُمْ﴾.
- ٨ - الدين الجامع هو الدين الذي يمتلك حكم كل شيء سواء أكان تفصيلاً كضيافة الضيف أم أمراً عاماً ومهماً كقضايا الحكم والسلطة، ﴿يُؤْذَنَ لَكُم... غَيْرَ نَظِيرِينَ... فَأَنْتَشِرُوا...﴾.
- ٩ - لا تذهب إلى طعام دون دعوة، ﴿إِذَا دُعِيتُمْ﴾.
- ١٠ - يتمكن حتى عامة الناس في الإسلام من التردد على بيت الشخصية الدينية الأولى فيكون ضيفاً، ﴿يُؤْتَى أَلَتَيْ... دُعِيتُمْ﴾.
- ١١ - من آداب الضيافة ترك البيت بعد تناول الطعام، ﴿فَأَنْتَشِرُوا﴾، ولا نجعل من البيت مجلس أنس وحديث، ﴿وَلَا مُتَتَنِّينَ لِحَدِيثٍ﴾.
- ١٢ - يحرم إيذاء المضيف، ﴿يُؤْذَى أَلَتَيْ﴾ (ومن مصاديق إيذائه، اصطحاب من ليس مدعوا كالأولاد أو الأصدقاء، واستقلال الطعام وذمه).
- ١٣ - النبي ﷺ كان يتأذى من إتلاف وقته بحديث لا فائدة فيه، ﴿وَلَا مُتَتَنِّينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى أَلَتَيْ﴾.
- ١٤ - الأذى لا يقتصر أمره على الأذى الظاهري والجسماني؛ بل من الأذى ما يكون معنوياً وأخلاقياً، ﴿ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى﴾.
- ١٥ - لا تجعلوا صاحب المنزل يسكت من باب الحياء، ﴿فَلْيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾.
- ١٦ - السكوت الذي يكون عن حياء ليس علامة على الرضا، ﴿فَلْيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾.
- ١٧ - النبي الأكرم ﷺ يمتاز بالحياء، ﴿فَلْيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾.
- ١٨ - لو أن شخصاً سكت حياء، فعلى الآخرين أن يكسروا الصمت ويبينوا الحق ويرفعوا حاجز الحياء، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنْ الْحَقِّ﴾.
- ١٩ - لا مانع من الحديث مع النساء والتعامل معهن إذا كان ذلك مع حفظ الحجاب، ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

- ٢٠ - زوجة النبي ﷺ لم تكن أسيرة بيته، بل كانت تخرج من بيتها^(١)، ﴿فَسَلُّوهُنَّ﴾.
- ٢١ - عند الاستدلال على ضرورة الحجاب لا بد من استحضار دليل متفق عليه، ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾.
- ٢٢ - علاقة الرجل بالمرأة يجب أن تقوم على أساس التقوى وطهارة القلب، ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.
- ٢٣ - نظر غير المحارم إلى بعضهم له تأثيره على قلوبهم، ﴿فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.
- ٢٤ - في الحجاب صلاح الرجل والمرأة معاً، ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.
- ٢٥ - التحدث مع غير المحرم دون حفظ الحجاب هو الذي يؤدي النبي ﷺ، ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.
- ٢٦ - إلحاق الأذى بالنبي ﷺ من كبائر الذنوب، ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾

التعاليم

- ١ - الله ﷻ بكل شيء عليم لا بالأعمال فقط، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.
- ٢ - علم الله بالعلن والسر على حد سواء، ﴿كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.
- ٣ - إذا كنا ندرك أنه بكل شيء عليم فلماذا الرياء والنفاق؟ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.
- ٤ - حفظ الحجاب الظاهري والعلاقة غير المشروعة، علامة على عدم الإيمان بعلم الله ﷻ، ﴿تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ... عَلِيمًا﴾.

(١) لعل بعضهم ينزعج اليوم حتى لو طلب أحد من زوجته كأس ماء، ويعترض على تحدث الآخرين مع زوجته، ولكن القرآن يقول إن السؤال لا مانع منه مع حفظ الحجاب.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾
 وَأَتَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

إشارات

- تتحدث هذه الآية عن محارم المرأة النسبیین، وأما المحارم السببیین فهم: الصهر والأخ من الرضاعة فهؤلاء لا يجب الاحتجاب عنهم، ويضاف إليهم الطفل الذي لم يصل إلى سن التمييز^(١).
- ذكر بعضهم أن هذه الآية خاصة بنساء النبي ﷺ؛ ولكن يبدو أن هذه الآيات مرتبطة بالنساء كافة.

التعاليم

- ١ - ليس في الإسلام حرج، فالأقارب في الدرجة الأولى الذين يكثر التردد عليهم في العوائل والأسر هم من المحارم، ﴿لَا جُنَاحَ...﴾.
- ٢ - لا يجب الحجاب أمام المرأة المسلمة، وأما الحجاب أمام المرأة غير المسلمة فواجب، ﴿نِسَائِهِنَّ﴾.
- ٣ - الكون من المحارم لا يعني اللامبالاة وعدم التقوى، ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ... وَأَتَيْنَ اللَّهُ﴾.
- ٤ - كون الله ﷻ شاهداً على أعمال العباد من أفضل الأسباب الداعية إلى التقوى، ﴿وَأَتَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

(١) في ما يتعلق بالمحارم لا بد من الرجوع إلى فتاوى مراجع التقليد.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥٦)

إشارات

□ ورد في الصحاح الستة عند أهل السنة أن النبي ﷺ لما سئل عن كيفية الصلاة عليه قال: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

ونقل البخاري هذه الرواية في صحيحه، في باب «كيفية الصلاة على النبي»، ولكنه عندما صلى على النبي حذف عبارة: «آل محمد»^(١).

□ ذكر الصلاة على محمد إلى جانب اسم النبي أمر مهم. فقد ورد عن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في الكتاب»^(٢).

وفي الحديث القدسي: «من صلى عليك صلاة، صليت بها عليه عشر صلوات، ومحوت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات»^(٣).

□ الصلاة على النبي ﷺ باب لاستجابة الدعاء وسبب لثقل ميزان عمل المؤمن في يوم القيامة.

□ قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾^(٤). وهنا ورد الأمر للناس بالصلاة على النبي ﷺ. نعم في الإسلام علاقة الناس بالقائد هي علاقة محبة متبادلة كما ورد في الآية ٥٤ من سورة الأنعام أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

□ ورد عن الإمام الصادق: «صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه، وصلاة الملائكة مدحهم له، وصلاة الناس دعائهم له والتصديق والإقرار بفضله»^(٥).

(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٥) تفسير نور الثقلين.

(١) صحيح البخاري، الحديث، ٥٨٨٠.

(٢) تفسير روح البيان.

(٣) تفسير مجمع البيان.

التعاليم

- ١ - متى أردت دعوة الآخرين إلى عمل خير، فابدأ بنفسك وبمن يرتبط بك أولاً، (فالله ﷻ قبل أن يصدر أمره للناس بالصلاة على النبي، صلى هو وملائكته عليه)، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾.
- ٢ - صلاة الله ﷻ وملائكته مستمرة، ﴿يُصَلُّونَ﴾.
- ٣ - الصلاة على النبي ﷺ من لوازم الإيمان ومن الواجبات على المؤمنين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا﴾.
- ٤ - الصلوات اللفظية لا تكفي؛ بل لا بد من التسليم العملي، ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾.
- ٥ - علاقة الناس بالقائد في الدولة الدينية هي السلام والصلوات، (لا يكفي الارتباط القلبي، بل لا بد من إظهار ذلك)، ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾

إشارات

- أذية الله ﷻ تتحقق بمعصية أوامره ونواهيه بنحو يوجب نزول غضبه ولعنته بدل نزول رحمته ورضاه.
- لعل المراد من أذية الله ﷻ أذية عباد الله، كمن يقرض الله ﷻ بإقراض عباد الله ﷻ. والمراد من أذية النبي ﷺ تكذيبه واتهامه بما لا يليق وأذية أهل بيته ﷺ فقد ورد في أكثر من رواية عن النبي ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»^(١).

التعاليم

- ١ - العبد المخلص يصل إلى درجة يكون في أذيته أذية الله ﷻ، ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

٢ - بعض عقوبات أذية المؤمنين وإهانتهم والاستهزاء بهم تظهر في هذه الدنيا، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾.

٣ - لما كان هدف المؤذي المهانة كانت عقوبته في الآخرة المهانة أيضاً، ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا
فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّا مُبِينَا﴾ ﴿٥٨﴾

إشارات

□ في الأضرار الجسمية يجوز القصاص والمقابلة بالمثل، ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنَ بِاللِّسَنِ﴾^(١). وأما الأذى الروحي والمعنوي فلا وجود لمبدأ المقابلة بالمثل فيه. فلم يرد في القرآن الكريم أن من رماكم بتهمة لكم اتهامه، بل ورد تحذير المذنب وإنذاره، ومع فرض الحاجة لا بد من إقامة الحد عليه عند الحاكم الشرعي.

□ لعل المستفاد من قوله: ﴿بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾، أن إلحاق الأذى بالمسلم المذنب في إطار القانون الإلهي جائز.

التعاليم

١ - الإصرار على الذنب يزيد من قبحه ومن العقوبة عليه، ﴿يُؤْذُونَ﴾ (صيغة المضارع تدل على الاستمرار في الأذى والإصرار عليه).

٢ - كرامة الرجل والمرأة المؤمنين مصانة وانتهاكها ذنب عظيم، (حفظ الكرامة لا فرق فيه بين الرجل والمرأة)، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

٣ - الذنب الذي يترتب عليه العقوبة هو الذنب الذي يصدر عن علم وعمد، ﴿اكْتَسَبُوا﴾.

- ٤ - الذنب موجب لثقل حمل الإنسان، ﴿أَحْتَمِلُوا﴾.
- ٥ - أعظم الأذى هو ما كان من اللسان ومن خلال الاتهام، ﴿يُؤْذُونَ... بُهْتَنًا﴾.
- ٦ - إيذاء الآخرين وإزعاجهم، من الذنوب الموجبة لغضب الله، بغض النظر عن طبيعة الأذى والإزعاج، ﴿يُؤْذُونَ... إِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥٩)

إشارات

- «الجلابيب» جمع «جلباب» وهو المقنعة التي تستر الرأس والرقبة^(١). أو الثوب الذي يستر تمام البدن مع الرأس والرقبة^(٢).
- تعرضت الآية السابقة بالحديث عن أذية المؤمنين وأذاهم من قبل المنافقين. وأمّا هذه الآية فتتحدث عن أنّ على المرأة المسلمة أن تدني من جلابيبها حتى لا يؤدي ذلك إلى إيذاها وهتك حرمتها.
- طبقاً لمفاد هذه الآية، فإن المرأة كانت تستخدم الحجاب في ذلك الزمان؛ ولكنها لم تكن تراعي الدقة في الستر عن غير المحارم. ولذا وجّه إلى النساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، لا بأصل الحجاب لأنه كان أمراً معروفاً.
- هذه الآية التي تأمر بالحجاب لم ترد بلغة التهديد بل ببيان فلسفة الحجاب، بأن النساء عليهن أن يدنين جلابيبهن حتى لا يلحق بهن الأذى من الاتهام ونحوه.

آفات السفور

- ١ - فتح الباب أمام الفساد الخلقي واتباع الشهوات.
- ٢ - انتشار الفساد والفحشاء.

- ٣ - الأذى والتعدي والعنف.
- ٤ - الحمل غير المشروع والإجهاض.
- ٥ - ظهور الأمراض النفسية والجنسية.
- ٦ - الانتحار والتشرد بعد الهروب من البيوت بعد المهانة.
- ٧ - عنف الرجال مع نسائهن إذا كان الرجل ممن ينظر إلى الحرام.
- ٨ - تصاعد نسبة الطلاق وضعف العلاقات الأسرية.
- ٩ - المنافسة في التزين.
- ١٠ - إلحاق الأذى بالعوائل العفيفة، والإخلال باستقرارها.

التعاليم

- ١ - لا بد من أن يبدأ الإنسان بالمقربين أولاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٢ - لا فرق في الأحكام الإلهية بين نساء النبي ﷺ وبَنَاتِهِ وبين سائر النساء، ﴿لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٣ - لا بد للمرأة من أن ترتدي الثوب الذي يصون شخصيتها عن لحاق الأذى بها، ﴿يُعَرِّفَنَّ فَلَا يُوْذَنَنَّ﴾.
- ٤ - لا ينبغي إفساح المجال أمام مرضى القلوب ليلحقوا الأذى بالعفة العامة، (في الآيات السابقة ورد التحذير من الأذى، وفي هذه الآية بيان لتكليف المرأة التي يمكن أن تتعرض للأذى)، ﴿يُعَرِّفَنَّ فَلَا يُوْذَنَنَّ﴾.
- ٥ - لا مانع من خروج المرأة من بيتها إذا كان ذلك مع الحفاظ على العفة العامة، ﴿يُعَرِّفَنَّ فَلَا يُوْذَنَنَّ﴾.
- ٦ - لا بد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بيان سبب الأمر والنهي، ﴿فَلَا يُوْذَنَنَّ﴾.
- ٧ - نوع الشياب المتعارفة في المجتمع يعكس شخصية المجتمع، والدين وأهدافهما، ﴿يُعَرِّفَنَّ فَلَا يُوْذَنَنَّ﴾.

- ٨ - السبب في الكثير من الأذى الذي يلحق بالنساء والبنات من الشباب هو نوع لبسهن، ﴿يُعَرِّقْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾.
- ٩ - على المرأة أن تتمسك بالحجاب لكي تحفظ العفاف العام بنحو يمنع من فتح المجال أمام إساءة أهل السوء، ﴿يُعَرِّقْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾.
- ١٠ - السفور معصية قابلة للعفو، ﴿عَفُورًا رَجِيمًا﴾.
- ١١ - تترافق المغفرة الإلهية مع الرحمة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠)

إشارات

□ «المرجفون» من «الإرجاف» وتطلق على من يبث الشائعات لإيجاد حالات الاضطراب والقلق في المجتمع الإسلامي. فمن لا يذهب إلى الحرب للمشاركة في القتال ويقوم ببث الشائعات بأن المسلمين قد أصيبوا بالهزيمة، وأن المشركين قد انتصروا، أو أن النبي ﷺ قد قتل، فإنهم بذلك يبثون القلق بين الناس.

□ «لنغرينك» من «الإغراء» بمعنى الإلصاق، وهو كناية عن السيطرة من كافة الجوانب.

□ هذه الآية إن كانت ضمن سياق الآية السابقة؛ فإن المراد منها أن المنافقين ومرضى القلوب، الذين كانوا يؤذون النساء المؤمنات اللواتي، أمرن بأن يُدْنِينَ من جلابيبهن حذراً من أذيتهن، فهي تحذير لهؤلاء، وإن كانت مستقلة عن سياق الآية السابقة كان المراد منها أن عليكم مواجهة من يتآمر مع أعداء الدين ممن يبث الشائعات لإيجاد القلق والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وهذه المواجهة ينبغي أن تؤدي إلى اجتثاثهم.

□ على الرغم من أن هذه الآية استخدمت أشد لغة تهديد، وعلى الرغم من أن

المجتمع الإسلامي تلقى أعظم الضربات بسبب الشائعات المصنوعة والمفبركة،
إلا أن الكتب الفقهية، وللأسف، قليلاً ما تعرّضت لهذا الموضوع، حتى إن
أحد المجتهدين، الذي كان ولسنوات عدة يتولى منصب القضاء، بحث في ما
يقرب من ٥٤ كتاباً فقهياً ولم يجد فيها باباً تحت عنوان الإرجاف.

□ الجملة الأخيرة في الآية أي قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْكَوِرُونَكَ...﴾
يمكن تفسيرها بأحد معنيين:

أ - إننا وإن أثّرناهم عليك؛ ولكنهم سوف يجتثون ولن يبقوا إلى جانبك إلا
مدة قليلة.

ب - إننا سوف نشتهمهم، فلا يبقى سوى قلة قليلة منهم في جوارك.

التعاليم

١ - قبل مواجهة العصاة والمخالفين لا بد من إتمام الحجة عليهم، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ...
لَنُغْرِبَنَّكَ﴾.

٢ - لسعة الصدر حدّ لا ينبغي تجاوزه، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ فلا يشر التسامح
دائماً؛ بل قد يؤدي إلى عكس المطلوب.

٣ - يصطفت مرضى القلوب إلى جانب المنافقين دائماً، ﴿الْمُنَافِقُونَ... الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ﴾.

٤ - نهضة المسلمين وعزمهم على الحرب والقتال لا تستند إلى الانتقام أو
التشقي؛ بل طبقاً للإرادة والأمر الإلهيين، ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾.

٥ - على الأمة الوفية أن تذوب في قائدها وتتحد معه، ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾ ولم يقل:
لنغرينكم.

٦ - القائد الإسلامي هو أول من عليه أن ينتفض لمواجهة من يخل بالأمن في
المجتمع الإسلامي، ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾.

٧ - لشدة اهتمام الإسلام بالأمن في المجتمع الإسلامي، فإنه يأمر بإخراج من
يشير الاضطراب بين الناس ونفيه، ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْكَوِرُونَكَ﴾.

٨ - على الأعداء أن يعيشوا الخوف من قيام المسلمين وثورتهم عليهم، ﴿لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾.

﴿مَلْعُونِينَ أَتَيْنَا نَقْفًا أَخَذُوا وَقَتَلُوا نَقْبًا﴾ (٦١)
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

إشارات

□ «ثقفوا» من «ثقافة» بمعنى وجدوا، وهي التسلط التام والدقيق، ولذا يطلق على العلم ثقافة.

□ ذهب بعض المفسرين إلى أن كافة هذه المصاعب هي في سياق الحديث عن الذين يؤذون المؤمنين الذين تعرضت لهم الآيات السابقة، ولكن الظاهر أن لغة التهديد هذه وإهدار الدم هي لمن كان قاصداً للإخلال بالأمن في المجتمع ومخالفة النظام العام، لا الذين يعتدون على أعراض الناس فقط.

التعاليم

- ١ - اللعن للمنافقين شعار قرآني، ﴿الْمُفَقُونَ... مَلْعُونِينَ﴾.
- ٢ - لا حدود زمانية ولا مكانية في إنفاذ أحكام الله ﷻ بحق أصحاب الفتنة الذين يحاربون الحق، ﴿أَتَيْنَا نَقْفًا﴾.
- ٣ - لا وجود لمكان آمن لأهل الفتنة ولمن يقوم بالإخلال بالأمن في المجتمع، ﴿أَتَيْنَا نَقْفًا أَخَذُوا﴾.
- ٤ - فرار أهل الفتنة لا ينبغي أن يقف حائلاً أمام مواجهتهم، ﴿أَتَيْنَا نَقْفًا أَخَذُوا﴾.
- ٥ - ينبغي تعبئة الناس جميعاً لإلقاء القبض على الأعداء، ﴿أَتَيْنَا نَقْفًا أَخَذُوا﴾.
- ٦ - لا أمان لمن يخل بأمن المجتمع، ﴿أَخَذُوا وَقَتَلُوا﴾.
- ٧ - أحياناً لا بد من مواجهة تأمر الأعداء عن طريق الحرب الباردة وعن طريق المواجهة المباشرة أيضاً، ﴿وَالْمَرْجُوفُونَ... وَقَتَلُوا﴾.

- ٨ - من يسعى لإيجاد الفتنة والاضطراب في المجتمع ولا يكف عن ذلك لا بد من قتله وإذلاله، ﴿وَقَتِّلُوا تَفْيِلًا﴾.
- ٩ - الجهاد ضد أهل الفتنة سنة إلهية ثابتة في الأديان كافة، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾.
- ١٠ - لا بد من التعرّض بالذكر في العمل التبليغي للأحكام الشديدة التي كانت في السابق وعلى مر التاريخ، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَاتُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١)، ﴿وَكَلَّا مِنْ نَجْيٍ قَتَلْ مَعَهُ...﴾^(٢)، ﴿وَقَتِّلُوا تَفْيِلًا... سُنَّةَ اللَّهِ... قَبْلُ﴾.
- ١١ - بسبب عظم مقام الإنسانية والأمن، فإن أعظم العقوبات فرضت وفي كافة الأديان على من يقوم بفعل ما يؤدي إلى توجيه ضربة للمجتمع الإسلامي من هذا القبيل، ﴿يُتْلُوا... سُنَّةَ اللَّهِ... مِنْ قَبْلُ﴾.
- ١٢ - قانون إعدام أهل الفتنة والمخلين بالأمن لا يقبل التغيير، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

إشارات

□ دوافع السؤال متعددة منها:

- تارة يكون السؤال من باب الاختبار كالأسئلة الامتحانية.
- وتارة يكون السؤال من باب الاستهزاء، كسؤال المتكبر للضعيف.
- وتارة يكون من باب التعجب، كسؤال الجبان الشجاع.
- وتارة يكون من باب الإيقاع، كسؤال المحقق المتهم عن الجريمة.
- وتارة يكون من باب فتح باب الانحراف كسؤال الأستاذ المنحرف لتلميذه.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

وتارة يكون من باب إثارة الشك في نفوس الآخرين، كأسئلة المنحرفين.

وتارة يكون من باب رفع القلق، كسؤال الأم للولد.

وتارة يكون من باب تحصيل العلم كسؤال الجاهل للعالم.

وتارة يكون من باب التوبيخ كسؤال المعلم لتلميذه الكسول.

□ كلمة «قريب» تستخدم للمذكر والمؤنث: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، ولم يقل قريبة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

□ ختام الآية فيه نوع من التسلية للنبي ﷺ بأن لا يقلق من إزعاج الكفار، فإن حسابهم سيصلهم قريباً، ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

التعاليم

١ - على الرغم من أن الله ﷻ يطلع أنبياءه على علم الغيب، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢)، إلا أن علم الأنبياء يبقى محدوداً، ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٢ - لا يجب أن نعلم كل شيء كما لا يلزم أن نجيب عن كل سؤال، ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٣ - الجهل بزمان وقوع القيامة لا تأثير سلبي له على الإيمان بأصل قيام القيامة، ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.

٤ - بعض العلوم يختص علمها بالله ﷻ، ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٥ - ليس كل جهل بعب، ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ (نعم لو علمنا بزمان يوم القيامة لاختل نظام حياتنا).

٦ - لا بد في التربية من جعل الناس يعيشون بين الخوف والرجاء، ﴿لَعَلَّ﴾.

٧ - لا بد من أن نتهياً لوقوع القيامة في أي لحظة، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٢) سورة الجن: الآيتان ٢٦ و ٢٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

التعاليم

- ١ - العذاب الإلهي حتمي بالنسبة إلى الكفار، ﴿أَعَدَّ﴾ وجهنم مخلوقة الآن.
- ٢ - الكافرون لا مولى يمنع عنهم الدخول في النار، لا ناصر يكون سبباً لنجاتهم، ﴿لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.
- ٣ - الأصنام والطواغيت لا تأثير لهم في يوم القيامة، ﴿لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.
- ٤ - ينظر الكافرون في يوم القيامة في كل اتجاه؛ ولكن ذلك لا ينفعهم شيئاً، ﴿لَا يَجْدُونَ...﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾

إشارات

□ قد يكون المراد من الآية أن وجوه الكافرين، وبسبب حرارة النار، سوف تتلون بألوان مختلفة.

التعاليم

- ١ - الكفار لا ولي لهم ولا نصير في يوم القيامة؛ بل لا يملكون اختيار صورة وجوههم، ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾.
- ٢ - المعاد جسماني، ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾.
- ٣ - يستيقظ الغافلون في يوم القيامة، ﴿يَلَيْتَنَّا﴾.
- ٤ - لا فائدة من الندم في يوم القيامة، ﴿يَلَيْتَنَّا﴾.
- ٥ - طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ أمنية يتمناها أهل جهنم، ﴿يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.

- ٦ - إنما تنفع طاعة الله إذا اقترنت بطاعة رسول الله ﷺ، ﴿أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.
- ٧ - النبي ﷺ مكلف بحمل رسالة الله إلى البشر، وهو إلى جانب ذلك مطالب بإصدار بعض الأوامر وتشريع بعض التكاليف، ﴿أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.
- ٨ - يكمن طريق النجاة في طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ فقط، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ (٧)

إشارات

□ «سادة» جمع «سيد»، وهم الرؤساء والكبار من ذوي الشأن في المجتمع، والكبراء جمع كبير وهو من كان كبير السن أو ذوي الشبهة. وبحسب العادة فإن لهاتين الطائفتين من الناس تأثيرها على سلوك الناس وعاداتهم.

التعاليم

- ١ - من لم ينطق في هذه الدنيا حتى مرة واحدة بكلمة ربنا، سوف يصرخ في يوم القيامة وهو في حالة ندم بقول: ﴿رَبَّنَا﴾.
- ٢ - يسعى العصاة لتبرير خطيئهم، وإلقاء مسؤولية ذلك على غيرهم، ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾.
- ٣ - التقليد الأعمى للأباء والكبراء سبب للندامة، ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا﴾.
- ٤ - يعترف الكفار في يوم القيامة بانحرافهم ولكن ما نفع ذلك، ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾.
- ﴿رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٨) يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ﴿٦٩﴾

إشارات

□ تعرضت الآية ٥٧ لمسألة إيذاء النبي ﷺ، وفي هذه الآية حثٌ للناس على أن لا يكونوا كبنی إسرائيل الذين آذوا موسى ﷺ.

□ المراد من التهمة التي رمي بها النبي موسى ﷺ، إما نسبة النقص الجسمي إليه، أو نسبة القتل، أو السحر أو الجنون إليه، ولا أثر لذلك في فهم المراد من هذه الآية.

□ اللعن الكبير المشار إليه في هذه الآية لعله اللعن الوارد في الآية ١٦١ من سورة البقرة؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

التعاليم

- ١ - الدعاء المستجاب لأهل جهنم هو الدعاء بالعذاب فقط، ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١)، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾^(٢).
- ٢ - القادة الربانيون قد يكونون في مرمى الاتهام والأذية من قبل المؤمنين، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا﴾.
- ٣ - لا يلزم من الإيمان الابتعاد عن الاتهام، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا...﴾.
- ٤ - خذوا العبرة من عدم تأثير اتهام أولياء الله عليهم، فلا تنهموهم، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ﴾.
- ٥ - الله ﷻ هو الذي يبرئ ساحة أنبيائه من الاتهام، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ...﴾.
- ٦ - لا يكفي تبرئة رجال الله من الاتهام بل لا بد من تبجيلهم واحترامهم، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.
- ٧ - التبرئة من التهمة والوجاهة عن الله ﷻ شرطان للنجاح في القيادة، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.
- ٨ - من يكلف بمهمة وتلقى على عاتقه مسؤولية لا بد من تأمين الحماية له والدفاع عنه، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

إشارات

□ القول السديد هو الكلام الذي لا لغو فيه، ولا نقاش، ولا كذب. فهو الكلام الذي يقف كالسد المحكم أمام الشبهات والشكوك.

التعاليم

- ١ - لا بد مع الإيمان من الاتصاف بالتقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ ولازم التقوى هو القول السديد، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.
- ٢ - الإنسان المؤمن يليق به أن يكون من أهل التقوى والقول السديد، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا... اتَّقُوا... قُولُوا﴾.
- ٣ - علامات الإيمان منها ما يكون ظاهرياً، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ومنها ما يكون باطنياً، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾.
- ٤ - القول السديد ليس باللفظ فقط، بل بالمضمون أيضاً؛ أي إن التفكير لا بد من أن يكون محكماً وسداً منيعاً، ﴿وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.
- ٥ - ليس كل قول قابل للمساءلة، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾.
- ٦ - إذا التزم الإنسان بالتقوى في كل قول وفعل، فإن الله ﷻ يكفل له حل كل ما يعترضه، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (كآية ٣١ من سورة النساء، إذ ورد فيها: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾).
- ٧ - مفتاح الفوز في اتباع الله ﷻ ورسوله، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢)

إشارات

□ ورد في الحديث أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ، ويتزلزل، ويتلون، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها»^(١).

□ بين الحمل والتحميل فرق، فالإنسان حمل الأمانة الإلهية ولم يُحْمَلْهَا.

□ لعل هذه الآية في مقام بيان واقع يتعلق بهذا الإنسان لم يصل إليه العقل البشري إلى الآن. ولكن ما هو الظاهر من الآية أن الله تعالى قد أعطى البشر مؤهلات ومواهب خاصة لم تعط لأي من الموجودات في السماء والأرض، وهذه العطايا هي الأمانة الإلهية التي تلقي على الإنسان المسؤولية، ولكن الكثير من الناس خانوا الأمانة وساروا بما يخالف الإرادة الإلهية.

فالعقل والإرادة لا بدّ من أن يسيرا في طريق معرفة الحق واختياره ليكونا سبباً في تكامل البشر، ولكنهما صُرفا في طريق الباطل، الأمر الذي أدى إلى وقوع الظلم، حتى عُدَّ الإنسان ظلوماً جهولاً.

التعاليم

١ - الإنسان أفضل من السموات والأرض، فالإنسان حامل أمانة الله تعالى في عالم الوجود، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... فَأَبَيْنَ... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾.

٢ - للوجود بكل مراتبه ومستوياته شعور بشكلٍ من الأشكال، ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

٣ - النعم الإلهية المفاضة على هذا الإنسان (العقل، والإرادة، والفطرة، وهداية

الأنبياء، وغير ذلك) أمانة إلهية. ولا ينبغي خيانة هذه الأمانة بل هذا من أعظم الظلم، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ... ظَلُمًا﴾.

٤ - ما قبله الإنسان ورفضته السموات والأرض شيء آخر غير القنوت، والتسبيح، والسجود؛ لأن التسبيح والقنوت صدرا من السموات والأرض، ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١)، ﴿كُلُّ لَّهُ فَخْتُونَ﴾^(٢).

﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٧٣)

إشارات

□ توبة الله على عبادة تعني أن يعاملهم بعنايته الخاصة. عند إرادة هذا المعنى تتعدى التوبة بـ«على»، وعند إرادة التوبة من العباد تتعدى التوبة بـ«إلى».

التعاليم

١ - الأمانة الإلهية سبب للمسؤولية. فمن يحفظ الأمانة تشمله الرحمة ومن يخون الأمانة بالكفر وعدم الشكر يشمله العذاب، ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ... وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ - المنافق في صف المشركين، ﴿الْمُنَافِقِينَ... الْمُشْرِكِينَ﴾.

٣ - الرجل والمرأة سواء في الرقي في سلم الكمالات أو السقوط، ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ، الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

٤ - وإن عاقب الله ^{تعالى} المشركين والمنافقين ولكن الأساس في معاملته العباد هو المغفرة والرحمة، ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ... وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٦.



سُورَةُ سَبَاٍ

السورة: ٣٤ الجزء: ٢٢

عدد الآيات: ٥٤



ملاحح سورة سبأ

هذه السورة مكية وعدد آياتها أربع وخمسون. أُطلق عليها اسم سبأ؛ لأنها تعرضت لقصة قوم سبأ. وهي كسائر السور المكية تتعرض في الغالب للمسائل العقدية ولا سيما المبدأ والمعاد.

نعم تتعرض هذه السورة وعند سردها لقصص سليمان عليه السلام مع قوم سبأ لبعض النعم الإلهية ومصير الشاكرين والكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١)

إشارات

□ في القرآن الكريم خمس سور تبدأ بجملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

□ تبين هذه الآية الملكية المطلقة لله ﷻ دون قيد أو شرط، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، وأما الآية التالية فتبين العلم الإلهي المطلق: ﴿يَقْلَمُ مَا يُلَاحِظُ فِي الْأَرْضِ﴾، لترد الآية الثالثة على منكري المعاد بأن الله ﷻ قادر على بعض الناس وحسابهم في يوم القيامة.

□ ذكر الفخر الرازي أنّ العلم المرتبط بالعمل يطلق عليه الحكمة، ويطلق على من يعرف عواقب الأمور وأسرارها تسمية الخبير.

التعاليم

- ١ - نتعلم كيفية حمد الله من الله ﷻ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي...﴾.
- ٢ - الحمد لا بدّ من أن يكون أمام الكمال، والقدرة، والملكية، والعلم، والحكمة، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾.
- ٣ - الحمد لغیر الله يكون في هذه الدنيا، وأما في الآخرة فالحمد يختص به سبحانه، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾.
- ٤ - الحمد له لا يختص بزمان أو بحالات خاصة، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ ويقول أهل الجنة: ﴿وَبَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).
- ٥ - الملكية الإلهية واسعة وهي مقرونة بالعلم والحكمة، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

٦ - حركة الوجود في الدنيا والآخرة تقوم على أساس الحكمة الإلهية، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ... وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾

إشارات

□ بعد ذكر الكلليات لا بد من ذكر نماذج وأمثلة لها. فبعد كلمة خبير تأتي الآيات على ذكر نماذج من العلم الإلهي، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾، ومصدق ما يلج في الأرض البذر في التراب، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وهو خروج النبات من التراب، ومصدق ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ هو نزول المطر من السماء، ومصدق ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ هو الطيور التي تسبح في السماء.

□ تكررت كلمة «غفور» وتليها كلمة «رحيم» تسعاً وأربعين مرة في القرآن الكريم، وفي هذه الموارد كافة وردت كلمة رحيم بعد كلمة غفور، إلا في هذه الآية؛ وذلك لأن المنظور في تلك الموارد كان عمل الإنسان؛ لذا كانت المغفرة سابقة على الرحمة الإلهية، ولكن في هذه الآية لما كانت الحديث عن العلم الإلهي واللفظ والرحمة وكانت المغفرة متضمنة في قوله: ﴿يَعْرُجُ﴾ جاءت بصيغة ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ مالكٌ لعالم الوجود وعالمٌ بكل جزئياته، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ...﴾.
- ٢ - في نظام الخلقة، الأشياء في حالة ذهاب، وإياب، وحركة، ﴿يَلِجُ، يَخْرُجُ، يَنْزِلُ، يَعْرُجُ﴾.
- ٣ - علامة رحمته نزول المطر من السماء، ﴿يَنْزِلُ﴾ وعلامة مغفرته ستره على قبيح ما يصدر من الإنسان، ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾

التعاليم

- ١ - لا مانع من نقل كلام الكفر إذا كان للرد عليه وإبطاله، ﴿وَقَالَ... قُلْ﴾.
- ٢ - حصنوا المؤمنين بنقل آراء المخالفين وردّها، ﴿وَقَالَ... قُلْ﴾.
- ٣ - ليس لمنكري المعاد سوى الدعوى، ولا دليل لهم على إنكارهم، ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.
- ٤ - الرد على شبهات الكفر لا بدّ من أن يكون محكماً، ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ... بَلَىٰ وَرَبِّي...﴾.
- ٥ - إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء دليل على قيام القيامة، ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾.
- ٦ - زمان وقوع القيامة من علم الغيب، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾.
- ٧ - محكمة يوم القيامة تقوم على أساس العلم الإلهي اللامتناهي، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾.
- ٨ - لا فرق في علم الله ﷻ بين صغار الأمور وكبارها، ﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾، (فكما إنّ رؤية المسمار الصغير والبرج الكبير لا فرق بينهما بالنسبة إلى العين، فلا حاجة لرؤية أحدهما إلى الضغط على العين، فكذلك الحال في علم الله ﷻ بالأشياء، صغيرها وكبيرها).

﴿لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

إشارات

□ «الرزق الكريم» هو الرزق الذي يكون واسعاً مع العزة والكرامة لا عن منه واسترحام.

التعاليم

- ١ - القيامة لأجل الجزاء، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
 - ٢ - إنما يمكن لمن يكون عالماً بكل شيء أن يجزي الثواب والعقاب المستحق، ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبُ... لِيَجْزِيَ﴾.
 - ٣ - رحمة الله تسبق غضبه، (تقدم ذكر الثواب في هذه الآية على ذكر العقاب)، ﴿لِيَجْزِيَ... لَهُمْ عَذَابٌ﴾.
 - ٤ - لا طريق لنيل الثواب سوى الإيمان والعمل الصالح، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾.
 - ٥ - المغفرة مقدمة لتلقي النعم، ﴿مَغْفِرَةٌ﴾.
 - ٦ - الزرق الأخروي واسع، كبير، وكريم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
 - ٧ - الثواب الإلهي معنوي، ﴿مَغْفِرَةٌ﴾، ومادي أيضاً، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾﴾

إشارات

□ من يستهدف من الأعداء المقدسات ﴿ءَايَاتِنَا﴾ ويكون غرضه بذلك الحيلولة دون تحقق الأهداف الإلهية، سوف يناله العذاب من الله ﷻ وعذابه رجز أليم.

التعاليم

- ١ - الأعداء في حالة سعي دائم، فلا ينبغي لنا الغفلة، ﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾.
- ٢ - يصل سعي الإنسان حداً يريد إبطال الآيات الإلهية ومنع تأثيرها، ﴿مُعْجِزِينَ﴾.
- ٣ - ثواب المؤمنين المحسنين عند الله ﷻ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ولكن عقاب المسيئين نتاج عملهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾.
- ٤ - لا بد من اقتران التهديد والترغيب، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ... لَهُمْ عَذَابٌ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

التعاليم

- ١ - العلم يهب الإنسان الرؤية والفكر، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٢ - عند نقل تاريخ الماضين لا بد من بيان عمل كل طائفة منهم، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين، ﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا... وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٣ - يرى العلماء أن ما أوتوه من العلم هو من عند الله، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٤ - علامة العلم الحقيقي الإيمان بأن القرآن الكريم حق والتصديق به. ولا يمكن معرفة الحق دون علم ومعرفة، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ... هُوَ الْحَقُّ﴾.
- ٥ - العالم الحقيقي يصدق بما أنزل الله ﷻ، ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.
- ٦ - إنزال الوحي من شؤون الربوبية، ﴿أُنْزِلَ... مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ٧ - معيار الحق، الوحي والقرآن، ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ... هُوَ الْحَقُّ﴾.
- ٨ - طريق الأنبياء طريق عزة وشرف، ﴿صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.
- ٩ - طريق الله لا يهزم، وسعي المنكرين هباء، ﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ... صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾.
- ١٠ - أصحاب القوة في هذه الدنيا لا يمتلكون المحبة، وأما الله ﷻ فهو القوي الذي يحمده الناس، ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرِئْتُمْ
كُلَّ مُعْزٍ إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

التعاليم

- ١ - يجهد الكفار لمحاربة الدين والمقدسات الدينية، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ ولكن لا دليل لديهم سوى الاستهزاء والاستهانة، ﴿هَلْ نَدُلُّكَ﴾.
- ٢ - يوجه الكفار الإهانات للشخصيات والمقدسات الدينية لإبعاد الناس عنها، ﴿عَلَى رَجُلٍ﴾.

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾

التعاليم

- ١ - بعض الكفار يؤمن بالله؛ ولكنه يفترى ولا يؤمن بالمعاد، مع أنه يدرك قبح الافتراء على الله ﷻ، ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾.
 - ٢ - يتبع الكفار كل طريق فيه انحراف؛ ولكنهم لا يؤمنون أبداً، ﴿أَفَتَرَى... أَمْ بِهِ جِنَّةٌ... لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
 - ٣ - إنكار الآخرة نوع من العذاب في الدنيا وفي الآخرة، (الخوف من الفناء، والخوف من الموت، وضياح جهودهم، أشد عذاب ينالهم في هذه الدنيا)، ﴿فِي الْعَذَابِ﴾.
 - ٤ - من لا يؤمن بالمعاد لا طريق له للنجاة، ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾.
- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِنَّ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾

التعاليم

- ١ - ينبغي الاستفادة من المحسوسات للإيمان بالمعاد وسائر الأمور الغيبية، فالتفكير بعظمة عالم الوجود باب للإيمان بالمعاد. ففي الآية السابقة قال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِنَّ مَا بَيْنَ...﴾.
- ٢ - يد الله ﷻ مطلقة فتستطيع تغيير أي شيء في نظام الوجود، ﴿إِنْ نَشَأْ﴾.
- ٣ - إلى جانب المنطق، لا بد من استخدام لغة التهديد، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا... نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾.
- ٤ - التفكير في عالم الوجود، باب للعبودية والإنابة إلى ساحة القدس الإلهي، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا... عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِبَالُ أَوْرَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾

إشارات

□ لعل إنابة الجبال وتوبتها مع داود هو تسبيحها نفسه، ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١).

□ وهب الله ﷻ داود اثنتي عشرة فضيلة:

- ١ - العلم الإلهي، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَشُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾^(٢).
- ٢ - النبوة والرسالة، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣).
- ٣ - الكتاب السماوي، ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾^(٤).
- ٤ - الخلافة، ﴿يَنذُرُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٥).
- ٥ - الملك المستقر، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾^(٦).
- ٦ - الإمكانات الواسعة، ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧).
- ٧ - الحكمة، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُلَاطِ﴾^(٨).
- ٨ - القضاء، ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٩).
- ٩ - تليين الحديد له، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
- ١٠ - علمه بمنطق الطير، ﴿عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾^(١٠).
- ١١ - تسبيح الجبال والطير معه، ﴿يَنجِبَالُ أَوْرَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾.
- ١٢ - من الله عليه بولد كسليمان عليه السلام، ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ﴾^(١١).

(٧) سورة النمل: الآية ١٦.

(٨) سورة ص: الآية ٢٠.

(٩) سورة ص: الآية ٢٦.

(١٠) سورة النمل: الآية ١٦.

(١١) سورة ص: الآية ٣٠.

(١) سورة ص: الآية ١٨.

(٢) سورة النمل: الآية ١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٥) سورة ص: الآية ٢٦.

(٦) السورة نفسها: الآية ٢٠.

□ ورد في الرواية: أوحى الله ﷻ إلى داود ﷺ إِنَّكَ نَعِمَ الْعَبْدَ لَوْلَا أَنَّكَ تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئًا، قَالَ: فَبَكَى دَاوُدُ ﷺ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى الْحَدِيدِ: أَنْ لِيْ عَبْدِي دَاوُدَ، فَالَانَ اللَّهُ ﷻ لَهُ الْحَدِيدَ، فَكَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْعًا فَيَبِيعُهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَعَمِلَ ثَلَاثُمِئَةً وَسِتِينَ دِرْعًا فَبَاعَهَا بِثَلَاثُمِئَةٍ وَسِتِينَ أَلْفًا وَاسْتَغْنَى عَنْ بَيْتِ الْمَالِ^(١).

التعاليم

- ١ - يهب الله ﷻ لمن يصطفي من عباده عطايا خاصة، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾.
 - ٢ - لعالم الوجود شعور؛ ولذا كان مورداً للخطاب الإلهي، ﴿يَجِبَالُ أَوِي﴾.
 - ٣ - مناجاة الموجودات بنحو الحقيقة لا المجاز، ﴿أَوِي مَعُدَّ﴾.
 - ٤ - الدنيا والآخرة تجتمعان، (النبوة والتصرف في عالم الوجود جُمعاً لداود ﷺ) ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
 - ٥ - لأولياء الله ولاية تكوينية وقدرة على التصرف في عالم الوجود، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
 - ٦ - الاستفادة من الطبيعة وتسخيرها لمصلحة الإنسان من الأمور ذات القيمة، ﴿فَضْلًا... وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
 - ٧ - من يُلِنُ قلبه لله ﷻ، يُلِنِ اللهُ ﷻ له الحديد، ﴿أَوِي... وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
 - ٨ - تلين الحديد أمر له سابقة تاريخية، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
 - ٩ - كان لأولياء الله عمل وصناعة، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
- ﴿إِنْ أَعْمَلَ سَيَفْنِي وَفَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات

□ «سابعات» جمع «سابع»، وهو الدرع الواسع والصفافي.

(١) الكافي، ج ٥، ص ٧٤؛ وتفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٤٦.

□ كلمة «سرد» بمعنى الخياطة والنسج. والمراد من قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، أي دقق في نسج الدروع بالنحو المناسب.

التعاليم

- ١ - لا بد في الصناعة من أن تكون تحت يد الصالحين وبما فيه نفع الناس، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ﴾.
- ٢ - صناعة أولياء الله ﷺ لا بد من أن تكون تامة، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ﴾.
- ٣ - الصناعة لا بد من أن تكون عن دقة وياتقان، ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.
- ٤ - الصناعة العسكرية لا بد من أن تكون للعمل الصالح، (لا للدول الظالمة والمستبدة)، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ... وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾.
- ٥ - صناعة الحديد وإنتاج الأدوات الحديدية أمرٌ موغلٌ القدم في التاريخ، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ...﴾.
- ٦ - الإيمان بعلم الله ﷻ دافع للإتيان بالعمل الصالح، ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلِسَلْمُنَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٢﴾

إشارات

- «الغدو» بمعنى الحركة أول الصباح، «والرواح» بمعنى الحركة عند الظهر وما بعده. والمراد من كلمة «عين» الظرف الذي يوضع فيه الحديد المذاب.
- وهب الله ﷻ سليمان، كما وهب أباه داود ﷺ، ألقافاً من عنده.
- طبقاً لنص القرآن الكريم فالجن موجود، ومكلف، وعاقل، ومختار، وقادر، وساع.
- ورد في سورة ص الآية ٣٧ قوله تعالى: ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.

- المراد من تسخير الريح لسليمان ﷺ استخدامهما في حركة الغيم، حركة السفن، تلقح النبات، تعديل المناخ وغير ذلك، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾.
- تُصَوِّرُ التوراة الموجودة بين أيدينا الآن سليمان ﷺ بصورة ملك جبار، يصنع الأصنام، ومتبع لهوى النساء، وهذا خلاف ما وصفه به القرآن الكريم^(١).

التعاليم

- ١ - للأنبياء ﷺ ولاية على عالم الوجود والتكوين، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي الاكتفاء لتسخير الطبيعة بالتحليل الطبيعي، (حركة الريح خاضعة للإرادة الإلهية ولكنها تخضع لاختيار ولي الله ﷺ)، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾.
- ٣ - القدرة الإلهية بالنسبة إلى جميع الأشياء على حد سواء، (فلداود أَلْنَا الحديد ولسليمان سخرنا الريح)، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾.
- ٤ - ألآن الله ﷻ لداود الحديد وللسليمان النحاس المذاب، ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَيْنَ الْقَاطِرِ﴾ (صنعة النحاس كانت في زمان سليمان ﷺ).
- ٥ - يمكن للإنسان أن يسخر الجن، ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.
- ٦ - الجن وبإرادة الله ﷻ وأمره يؤمر بالقيام بالأعمال لخدمة الإنسان، ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾.
- ٧ - لا بد في الإدارة من امتلاك القوة والصلابة، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا... نُذِقْهُ﴾.
- ٨ - الجن مخلوق مختار وقد يتخلف عن إطاعة أمر الله ﷻ، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾، وفي هذا الفرض يعاقب، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

(١) تفسير نمونه، نقلاً عن التوراة الكتاب الأول.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ
دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣)

إشارات

□ «المحارب» جمع «محراب» وهو إما بمعنى مكان العبادة، أو بمعنى مكان الحرب والقتال، إذ يبنى في أعلى القصر مكاناً للدفاع عنه^(١).

□ «التمثيل» جمع «تمثال» وهي المجسمات. ولعل المراد منه صنع أشياء كالأشياء الطبيعية لتستخدم للزينة. كما ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن المراد من التماثيل مجسمات الشجر والنبات لا الإنسان والحيوان^(٢). «الجفان» جمع «جفنة» وهي الأواني الكبيرة جداً كالأحواض. «الجواب» جمع «جابية» وهي الحوض. و«القدور» جمع «قدر» وهي الإناء الذي يطبخ فيه الطعام. و«الراسيات» جمع «راسية» أي الثابتة.

□ كثير من الناس يشكرون وهم شاكرون؛ ولكن الشكور قليل، أي من يشكر على الدوام قليل من الناس، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

سليمان والنعم

١ - في مقابل النعم نسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى شكرها، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ﴾^(٣).

٢ - النعم وسيلة اختبار، ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٤).

٣ - لا يسعى لكسب الهدايا من الآخرين، ﴿أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾^(٥).

٤ - كان يتمتع بعلم خاص، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(٦).

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢) سورة النمل: الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٤) تفسير راهنما.

(٥) الميزان في تفسير القرآن.

(٦) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

- ٥ - كان يعرف لغة الطير، ﴿عَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾^(١).
- ٦ - الجند محشورة له، ﴿وَحُسْرَ لِسْتَيْنَ جُنُودِهِ﴾^(٢).
- ٧ - الطير في خدمته، ﴿وَنَقَّذَ الطَّيْرَ﴾^(٣).
- ٨ - استفاد من كافة ما أعطي من إمكانات لأجل نشر الدين، (إرسال الكتاب بواسطة الطير)، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَبِي هَذَا﴾^(٤).
- ٩ - كانت تُطوى الأرض للعاملين بين يديه، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٥).
- ١٠ - وهبه الله ملكاً لا نظير له، ﴿وَهَبَ لِي مَلَكًا لَا يُتَّبِعِي لِأَحَدٍ﴾^(٦).
- ١١ - وصل إلى حسن العاقبة والمقام العظيم عند الله ﷻ، ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾^(٧).
- ١٢ - سُحِّرَتِ الجن لخدمته، ﴿وَالْقَبِيلَيْنِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ﴾^(٨).

التعاليم

- ١ - الجن مخلوق فنان عنده القدرة على العمل في الصناعة، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ... تَحْرِيبَ وَتَمَثِيلَ﴾.
- ٢ - لا بد للعامل من أن يكون تحت إشراف المدير، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾.
- ٣ - انظروا إلى المعنويات قبل نظركم إلى الماديات، ﴿تَحْرِيبَ﴾ وردت قبل ﴿وَتَمَثِيلَ﴾.
- ٤ - صنعة النحاس والمسبوكات موهبة القدم في التاريخ، (إعداد أواني النحاس كان في زمان سليمان ﷺ)، ﴿وَحِفَانٍ﴾.

(٥) السورة نفسها: الآية ٤٠.

(٦) سورة ص: الآية ٣٥.

(٧) السورة نفسها: الآية ٢٥.

(٨) السورة نفسها: الآية ٣٧.

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) السورة نفسها: الآية ١٧.

(٣) السورة نفسها: الآية ٢٠.

(٤) السورة نفسها: الآية ٢٨.

٥ - توافر الإمكانات لا بد من أن يكون دافعاً إلى شكر الله ﷻ، ﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

٦ - الشكر لا يكون باللسان فقط بل بالعمل، ﴿اعْمَلُوا... شُكْرًا﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ أَلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

□ ورد عن علي عليه السلام: «فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سلباً أو إلى دفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفى»^(١).

□ «المنساء» هي العصا. وورد في عدد من الروايات أن المراد من العذاب المهين الأعمال الشاقة التي كان يقوم بها الجن^(٢).

التعاليم

١ - وقت الموت بيد الله ﷻ، ﴿قَضَيْنَا﴾.

٢ - الموت مكتوب حتى على من كانت له النبوة والسلطنة، ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾.

٣ - الحيوانات تؤذي مهامها بأمر من الله ﷻ، ﴿دَلَّمْ... دَابَّةٌ﴾.

٤ - الجن لا يعلم الغيب، (لم يعلم الجن بموت سليمان إلا بعد أن سقط على الأرض، وهنا علم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وعلم الناس أن دعوى الجن بأنهم يعلمون الغيب غير صحيحة)، ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ...﴾.

٥ - يملك الجن الشعور بالعزة والذلة ويسعون للفرار من الأعمال الشاقة، ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

الحيوانات تحت أمر الله ﷻ

- ١ - جزء من جسم البقرة سبب لإحياء المقتول وإنبائه عن قاتله، (في قصة بقرة بني إسرائيل)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(١).
- ٢ - كلف الله العنكبوت بحفظ النبي ﷺ في الغار، ﴿إِلَّا نَضْرِبُ فَعْدَ نَصْرِهِ﴾^(٢).
- ٣ - أمر الله الغراب بتعليم الإنسان ما لم يكن يعلم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾^(٣).
- ٤ - الهدهد في عهد النبي سليمان ﷺ نقل أخبار بلقيس إليه، ونقل رسالته إليها، ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي مَعَهَا﴾^(٤).
- ٥ - رمت الطير الأبابيل الحجارة على أصحاب الفيل، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(٥).
- ٦ - الثعبان كان معجزة موسى ﷺ، ﴿هِيَ ثُعْبَانٌ مُنِيٌّ﴾^(٦).
- ٧ - الحوت كان وسيلة لتنبيه النبي يونس ﷺ، ﴿فَالْفَنَمُ الْحَوْتُ﴾^(٧).
- ٨ - الحشرة هي التي كشفت عن موت سليمان، ﴿تَأْكُلُ مِنْ سَائِغِهِ﴾^(٨).
- ٩ - سخر الله الكلب المرافق لأصحاب الكهف وكلفه بحراستهم، ﴿وَكَلَبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٩).
- ١٠ - أربعة من الطيور كانت وسيلة لبعث الاطمئنان في قلب النبي إبراهيم ﷺ، ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾^(١٠).
- ١١ - وصل غزير إلى اليقين بالمعاد بعد أن شاهد حمارة كيف عاد إلى الحياة بعد موته، ﴿وَأَنْظَرْنَا إِلَى حِمَارِكَ﴾^(١١).

(٧) سورة الصافات: الآية ١٤٢.

(٨) سورة سبأ: الآية ١٤.

(٩) سورة الكهف: الآية ١٨.

(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(١١) السورة نفسها: الآية ٢٥٩.

(١) سورة البقرة: الآية ٦٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣١.

(٤) سورة النمل: الآية ٢٨.

(٥) سورة الفيل: الآية ٣.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٠٧.

١٢ - ذبح بعض الحيوانات وتقديمها لأصاحي جزء من مناسك الحج وشعائره، ﴿وَالْبَذَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(١).

١٣ - الحيوان وسيلة من وسائل معرفة الله ﷻ، ﴿أَنَّا لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٢).

١٤ - الحيوان وسيلة لاختبار الإنسان، ﴿تَنَالُهُ آيَاتُكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾^(٣).

١٥ - الحيوان معجزة إلهية، ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾^(٤).

١٦ - الحيوان وسيلة لعذاب الله ﷻ، ﴿وَالْجُرَادَ وَالْفَلَّاءَ وَالضَّفَادِعَ﴾^(٥).

□ في القرآن سور عدة سُميت بأسماء الحيوانات على غرار: البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾^(١٥)

إشارات

□ «سبأ» اسم أرض خصبة في اليمن. و«سبأ» اسم شخصية كبرى كانت في تلك المنطقة.

□ الناس على صنفين في وصولهم إلى الرقي، والتمدن، واستثمار النعم الإلهية:

قسم كسليمان عليه السلام يتجه إلى سؤال الله ﷻ أن يوفقه على شكر تلك النعم، ﴿أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾.

وقسم كقوم سبأ يكفرون بنعمة الله على الرغم مما يتمتعون به من جنات ونعيم.

□ كلما ورد الأمر في القرآن الكريم بالأكل ورد إلى جانبه المسؤولية:

﴿كُلُوا... وَاشْكُرُوا﴾^(٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية ٧٣.

(٥) السورة نفسها: الآية ١٣٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(١) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٢) سورة الغاشية: الآية ١٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٤.

- ﴿كُلُوا... وَأَطِيعُوا﴾^(١).
 ﴿كُلُوا... وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٢).
 ﴿كُلُوا... وَلَا تُشْرِكُوا﴾^(٣).

التعاليم

- ١ - ما جرى على قوم سبأ أمرٌ يشتمل على الدرس والعبرة، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ... آيَةٌ﴾.
- ٢ - خصوبة أرض سبأ كانت أكثر من المعتاد في الأراضي الخصبة، ﴿آيَةٌ﴾.
- ٣ - الجمال الطبيعي آية من آيات الله ﷻ، ﴿آيَةٌ جَنَّتَانِ...﴾.
- ٤ - كانت أرض سبأ بعيدة عن كل نقص، وآفة، وفوضى، وفحشاء وقحط، ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.
- ٥ - لا بد من أن يكون الإنسان من الشاكرين في مقابل النعم الإلهية، والإنسان لا يؤدي حق الشكر دائماً؛ ولكن الله يغفر له، ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ... رَبُّ غَفُورٌ﴾.
- ٦ - في اختيار مكان الإقامة لا بد من الاهتمام بعنصر العمران، وطيب البلد ونقاها، ﴿مَسْكِنَهُمْ... بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.
- ٧ - الرزق والمغفرة من شؤون الربوبية، ﴿رَزَقَ رِزْقَكُمْ... رَبُّ غَفُورٌ﴾.

﴿فَاعْرِضْهُمَا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خُمْرٍ وَأَنَافٍ وَشِقَاقٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾^(١٦)

إشارات

- كلمة «عرم» إما بمعنى العنف، «وسيل العرم» هو السيل المدمر، أو بمعنى السد، فسيل العرم هو السيل الذي حصل نتيجة تحطم السد.
- «الأكل» بمعنى المأكول والطعام. و«الخمط» هو النبات المرّ. و«الأثل» شجر المن والذي فيه شوك.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(١) سورة الحج: الآية ٢٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

□ تحدث القرآن الكريم مرات عدة عن إعراض الناس:

فتارة يكون الإعراض عن ذكر الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾^(١).

وتارة يكون عن آيات الله ﷻ: ﴿وَلَنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾^(٢).

وتارة يكون عن نعم الله ﷻ، كآلآية أعلاه، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾^(٣).

وتارة يكون عن النبي ﷺ، ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾^(٤).

التعاليم

١ - يترتب العذاب الإلهي على الإعراض وعدم الشكر، ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا﴾.

٢ - السيل، الزلزلة، الطوفان، الرعد، والبرق أمور لا تحدث صدفة، ﴿أَرْسَلْنَا... سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

٣ - تخضع الطبيعة للأمر الإلهي، ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

٤ - النعم قد تزيد أحياناً، ﴿فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ جَبَّةٌ﴾^(٥)؛ وقد تنقص: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(٦)؛ وقد تبدل أحياناً: ﴿بَدَلْنَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾^(٧)

التعاليم

١ - سبب المصائب التي تقع علينا هو عملنا السيء، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾.

٢ - العقوبات الإلهية سنة وقانون يجري على المذنبين ولا تختص بقوم سبأ، ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾.

٣ - ما يترتب عليه العذاب الإلهي هو الإصرار على الكفر والمداومة عليه، ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾.

(٤) سورة ص: الآيتان ٦٧ و٦٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) سورة القمر: الآية ٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٣.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

□ «الأحاديث» جمع «أحدوثة» بمعنى الخبر الذي يشغل الناس أو الذي يُنقل كمَثَلٍ وعبرة.

□ وهب الله ﷻ قوم سبأ نعم خاصة عدة:

أ - أراضٍ مباركة وخصبة، ﴿بَرَكْنَا فِيهَا﴾.

ب - البيوت والمناطق السكنية القريبة والتي تُرى، ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾.

ج - سهولة السفر بنحو كان السفر ممكناً لهم في الليل والنهار، ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾.

د - نعمة الأمن، ﴿ءَامِنِينَ﴾.

قصة قوم سبأ

□ يستفاد مما ورد في القرآن الكريم والروايات، وكذلك كتب التاريخ، أن قوم سبأ كانوا يقطنون جنوب الجزيرة، وكانت لهم حكومة راقية، وحضارة خلافة. ولم يكن في أرض سبأ نهر عظيم يمكن استخدام مائه في الزراعة، وكان ماء المطر يذهب هدرًا لا يُستفاد منه، ففكر أهل تلك البلاد بإنشاء سدّ يجمعون فيه الماء ويدخرونه لوقت الحاجة في أشهر الجفاف، فبنوا سدًّا في أحد الأودية وعُرف هذا السدّ بسدّ «مأرب». وقد تحوّل الماء الذي كان يخرج من هذا السدّ إلى نهر صناعي كبير، ساهم في عمران القرى والمناطق التي يمرّ فيها وحولها إلى جنّات خضراء. وكانت تلك القرى والمزارع متقاربة تعيش آمنة مطمئنة، ولكن أهلها نسوا ذكر الله وانشغلوا بالتفاخر والنزاعات الطبقيّة. وقد ورد في بعض كتب التاريخ أن فتران الحقل تسلّطت على السدّ وشرعت في نقبه واتخذت منه مساكن لها، ولما أمطرت السماء وارتفع منسوب الماء وازداد

الضغط على السد انفجر وتحولت مياهه الجارية إلى سيل عظيم أدى إلى هدم جدران السد، وتدمير المزارع والمحاصيل، وقضى على الحيوانات، وهدم القصور التي كانت تقع في طريقه. فعادت تلك البلاد إلى سابق عهدها لا ينبت فيها إلا شجر الأراك المر، وشجر المن، وقليل من شجر السدر، وهاجرت الطيور المغردة ليحل محلها البوم والغربان^(١). ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خُمْرٍ وَأَلْوٍ وَشَقِوْا مِنْ سَيْدَرٍ قَلِيلٍ﴾.

التعاليم

- ١ - كان قوم سبأ قومًا يؤمنون بالله؛ لذا استخدموا في دعائهم كلمة «ربنا»، ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾.
- ٢ - عدم الشكر ظلم للنفس، ﴿بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.
- ٣ - ذهاب قوم سبأ وزوالهم كان حديثاً في المجالس وصار مضرب مثل، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾.
- ٤ - عدم الشكر سبب لضياح حياة الإنسان، ﴿كُلُّ مُعْزِيٍّ﴾.
- ٥ - للأفراد والأمم أن تتلقى العبر مما جرى في التاريخ، لكي تثبت على الحق وتؤدي شكر النعم، ﴿لَا كَيْفَ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

التعاليم

- ١ - كفران النعم طريق ينفذ منه إبليس بنجاح، ﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا... وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.
- ٢ - لا يقين لإبليس بالنجاح في جرّه الناس إلى جادة الانحراف، ﴿ظَنَّهُ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ
مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾

إشارات

□ بملاحظة أن الله ﷻ بكل شيء عليم، وحفيظ، وشهيد، فالمراد من قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، التمييز والتحديد، أي لكي يصبح معلوماً لدى الإنسان ولدى الآخرين من هو المؤمن ومن هو الكافر، أو للفصل بين أتباع إبليس وبين المؤمنين.

التعاليم

- ١ - لا يقدر الشيطان على إجبار الإنسان على طاعته، وعندما يتبع بعض الناس الشيطان فإنهم يفعلون ذلك بملء إرادتهم واختيارهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.
- ٢ - الإيمان بيوم القيامة سد يمنع من نفوذ الشيطان، ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ﴾.
- ٣ - فلسفة وجود الشيطان ووساوسه إيجاد طرق متعددة أمام الإنسان لكي يتمكن من الاختيار ولاختباره، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾.
- ٤ - يفتح الإنسان الباب أمام نفوذ الشيطان من خلال حالة الشك والتردد التي يعيشها، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ... مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾.
- ٥ - للإنسان حرية اختيار السبيل والعمل، ﴿مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾.
- ٦ - لا مجال للسهو والنسيان في العلم الإلهي، ﴿حَفِيظٌ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم

- ١ - غير الله ﷻ خيال محض، ﴿زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.
- ٢ - ليس للمشرك من منطق، ﴿زَعَمْتُمْ﴾.
- ٣ - غير الله لا يملك السموات والأرض ولا شريك له ولا نصير، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... مِنْ شَرِكٍ... مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- كلمة «فُزِعَ» متى تعدت بـ«عن» فالمراد زوال الفزع والجزع عنه^(١)؛ ومتى كانت بدون «عن» كان المراد منها الإصابة بالخوف والجزع.
- جملة «إلا لمن أذن له» يمكن تفسيرها بأحد معنيين:
- أ - لا تنفع الشفاعة عند الله ﷻ إلا شفاعاة الأنبياء، والأولياء، والشفاء، المأذون لهم من الله ﷻ.
- ب - لا تنفع الشفاعة عند الله ﷻ إلا لمن يأذن الله بشمول شفاعاة الأولياء لهم من المذنبين.
- ورد في تفسير أطيب البيان تفسير الآية بالآتي: لا تنفع الشفاعة في يوم القيامة إلا لمن أذن الله ﷻ له بالشفاعة. والمذنبون في ذلك اليوم يعيشون حالة فزع، وجزع، وصياح إلى أن يسكتوا ويسكن الفزع في قلوبهم، فتسألهم الملائكة أو المؤمنون: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ فيقولون: قال الحق ولم نسمع.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «فزع».

التعاليم

- ١ - ليس للمعبود الخيالي حق الشفاعة لأتباعه، ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾.
- ٢ - الشفاعة لا تعني أَنَّ الشفعاء أرحم من الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ يعطي الشفعاء الإذن في الشفاعة، ﴿لِمَنْ أَذْنٌ لَّهُ﴾.
- ٣ - الشفاعة ليست فعلاً مستقلاً في مقابل الإرادة الإلهية الحتمية؛ بل في ظل الإرادة الإلهية، ﴿أَذْنٌ لَهُ﴾.
- ٤ - الشفاعة ممكنة في يوم القيامة ولكن بإذن من الله ﷻ، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنٌ لَهُ﴾.
- ٥ - الإذن الذي يعطيه الله ﷻ للشفاعة أو للشفيع على أساس الحق، أي إن الشفعاء يصلون إلى هذا المقام لما لديهم من قرب من الله ﷻ، والمشفوع لهم لحفظهم الارتباط بالله ﷻ كانوا أهلاً لأن تنالهم الشفاعة، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَآيَاتُ آوِيَاتِكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

التعاليم

- ١ - في العمل التربوي والتبليغي ينبغي استخدام أسلوب السؤال لأجل إيقاظ وجدان المخاطبين وحثهم على التفكير، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ...﴾.
- ٢ - من أسباب العبادة ملاحظة من الذي يرزق. ففكر من الذي يرزقك؟ ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾.
- ٣ - رزق السماء: النور، والحرارة، والمطر، والرياح، والغيم؛ ورزق الأرض: كل ما فيها من ثمر وبركات، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٤ - لكافة السموات تأثيرها في الرزق الذي ينزل علينا، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾.

٥ - عند الدخول في حوار مع الآخر المختلف، لا بد من اعتماد منهج الجدل والتي هي أحسن، وذلك بمراعاة العدل والإنصاف معه، ﴿وَأِنَّا إِلَيَّاكُمْ﴾.

٦ - المهديون هم بمثابة من يقف أعلى المركب أو الجبل، فأفقههم يكون واسعاً ورؤيتهم تكون شاملة، ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾؛ وأما الضالون فإنهم كمن يقف في أسفل الوادي أو في عمق البحر فلا يرى شيئاً وتحيط به أسباب الضلال، ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشِئُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢٥)
 ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾^(٢٦)

إشارات

□ كلمة «فتح» تعني إزالة العقدة والإشكال، سواء أكان ذلك في أمر ظاهر كفتح القفل، أم في أمر باطن كإنهاء حالة النزاع^(١). و«الفتاح» اسم من أسماء الله الحسنى^(٢).

التعاليم

- ١ - إصرار الأنبياء على هداية الناس ينطلق من محبتهم، لا لأجل أن ذنوب العباد تقع على عاتق الأنبياء أو العكس، ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾.
- ٢ - التواضع والأدب وسيلة للنجاح، (فقد وصف فعل نفسه بأنه جرم؛ ووصف فعل المخاطب بأنه عمل) ﴿أَجْرَمْنَا... تَعْمَلُونَ﴾.
- ٣ - إذا لم تؤثر دعوتكم في هذه الدنيا فلا تقلقوا فإن القيامة حساب جميع الخلق، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾.

٤ - يوم القيامة هو يوم الجمع، ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾؛ وهو يوم الفصل أيضاً (فصل المحسن عن المسيء)، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾.

٥ - الحكم في يوم القيامة يكون على أساس الحق، ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

٦ - ذكر المعاد يحضن الإنسان في مواقفه وأعماله، ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ (تفتح كافة الملفات المرتبطة بالاحتياال، والنفاق، والمشاكل السياسية والاجتماعية، وتبدأ عملية الحساب).

٧ - لا أحد غير الله ﷻ يمكنه أن يفتح الأقفال ويحلّ العقد، ولا أحد غيره عالم بها جميعاً، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْغَلِيظُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إشارات

□ في هذه الآية والآيات السابقة أسلوب تدريجي يتدرج في خطوات، وبمداواة، في الحوار مع المنكرين لأجل بيان الحق:

أولاً: في الآية ٢٤ دعوة إلى التفكر: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ثانياً: التعامل بإنصاف في قوله: ﴿وَلَوَّا لِيَأْكُمُ﴾، فلا ينبغي في الحوار أن تصدر حكماً قاطعاً لصالحك.

ثالثاً: في الآية ٢٥ يتحدث عن أن كل إنسان مسؤول عن عمله فلا يسأل أحد عن فعل غيره.

رابعاً: في الآية ٢٦ يشير إلى يوم القيامة وأنه يوم ظهور الحق: ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

خامساً: مطالبة الطرف الآخر بالدليل والبرهان أثناء الحوار، ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

التعاليم

- ١ - توجيه السؤال المقترن بشيء من التأنيب، وسيلة لإيقاظ الوجدان من سباته، ﴿قُلْ أَرُونِي﴾.
- ٢ - لا يرى أي من المعبودات (سواء أكان هو عيسى عليه السلام، أم الملائكة، أم الأصنام) نفسه شريكاً لله ﷻ؛ بل أنتم الذين تدعون أنهم شركاء، ﴿الْحَقُّ يَدُهُ شُرَكَاءُ﴾.
- ٣ - تمنع العزة الإلهية إلحاق أي معبود خيالي موهوم بساحتها، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨)

إشارات

□ «كافة» إما بمعنى جميع، أي إن النبي الأكرم ﷺ مرسل إلى الناس كافة، وهذا المعنى تؤيده الآيات والروايات الأخرى، أو بمعنى الكف والمنع، أي إن النبي ﷺ هو الذي يردع الناس عن الكفر، الشرك والمعصية، وحرف التاء في هذه الكلمة يكون للتأكيد، والمعنى الأول أفضل^(١).

التعاليم

- ١ - رسالة نبي الإسلام عالمية، ﴿أَرْسَلْنَاكَ... كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾.
- ٢ - أهم صفة للأنبياء في دعوتهم الناس إلى الهدى أنهم مبشرون ومنذرون، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا... بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢٩)
 قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ^(٣٠) ﴿٣١﴾

إشارات

□ ورد في آيات عدة، أن زمان يوم القيامة لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، وذلك لحكمة إلهية كي يبقى الإنسان في حالة جهوزية تامة، مضافاً إلى أن عدم العلم بالتفاصيل والجزئيات لا يمنع من الإيمان بالكلييات. فمثلاً نعلم من صوت جرس المنزل عندما يدق أن شخصاً يقف خلف الباب، ولكن لا نعرف من يكون ولا ندرك خصائصه؛ فهل هو رجل أو امرأة، وما هو عمره، ولكن هذا كله لا يחדش العلم بوجود شخص خلف الباب. نعم، فتحن نعلم بقيام الساعة ولكننا لا ندري متى يكون ذلك. وقد ورد في الآية ١٥ من سورة طه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَآيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي حتماً ستأتي ولكن زمانها مخفي عنكم.

التعاليم

- ١ - لا يلزم أن نعلم بجواب كل سؤال. فقد سأل السائل في الآية عن وقت القيامة، ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وقد دعا الله نبيه إلى أن يقول في الجواب: لا نعلم زمان ذلك: ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾.
 - ٢ - القيامة يوم مهم جداً، (كلمة «يوم» وردت نكرة مع التنوين، وفي هذا دلالة على الأهمية والعظمة).
 - ٣ - زمان قيام الساعة لا يقبل التغيير، ﴿لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ﴾.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ الْأُولَىٰ اسْتَعْصِمُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣١)

التعاليم

- ١ - لا يقدم الكفار على الإيمان أبداً بسبب حالة العناد التي يعيشونها، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾.

٢ - لا يؤمن الكفار بأي من الكتب السماوية، ﴿لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٣ - يدعو نبي الإسلام ﷺ إلى الإيمان بالكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم، والكفار يتجاهلون دعوته هذه، ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٤ - محكمة القيامة غاية في الصعوبة، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾.

٥ - يظلم المشركون أنفسهم، ﴿إِذْ الظَّالِمُونَ﴾.

٦ - حساب المشركين عند ربهم، ﴿مَوْفُوتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

٧ - أفضل أسلوب للتربية رسم مشاهد يوم القيامة، ﴿مَوْفُوتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

٨ - المستضعفون الذين يتبعون المستكبرين مؤاخذون أيضاً، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾.

٩ - ساحة القيامة ساحة حوار وجدال، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ...﴾.

١٠ - يُخاطب المجرمون في يوم القيامة كبراءهم بقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

١١ - الإيمان سبب النجاة في يوم القيامة، ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْتُمْ مَكْدَنُكُمْ﴾

عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرْبَلَى كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

التعاليم

١ - لا يجبر المجتمع الفاسد ولا المستكبرون الناس على الانحراف، ﴿أَنْتُمْ مَكْدَنُكُمْ... بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ﴾.

٢ - يدرك المستكبرون يوم القيامة أن طريق الأنبياء هو الحق، ﴿مَكْدَنُكُمْ عَنِ الْهَدْيِ﴾.

٣ - يصل صوت الحق إلى الناس جميعاً، ومن واجب من يصله ذلك الصوت الإيمان به وتصديقه، ﴿جَاءَكُمْ﴾.

٤ - لا يمكن في يوم القيامة للإنسان أن يلقي ذنبه على عاتق غيره، ﴿بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمِينَ﴾.

٥ - أعظم مهانة أن يخاطب المجرمون الكبار الناس من أتباعهم بصفة المجرم، ﴿بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٣)

إشارات

□ تدل هذه الآية على أن المجرمين يخفون ندمهم، مع أنه ورد في آيات أخرى أنهم يظهرون ندمهم. وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف مواقف يوم القيامة.

□ على الرغم من قول الراغب إن المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ هو بمعنى إظهار الندامة وبمعنى إخفائها أيضاً، ولكن بملاحظة الرواية المروية عن الإمام الصادق فإن المراد هو إخفاء الندامة. سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾، ف قيل له: وما ينفعهم إسرار الندامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»^(١).

التعاليم

- ١ - يسعى المستكبرون في الليل والنهار، ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.
- ٢ - أئمة الكفر يصدرون أوامره على أساس المكر والتدبير، ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ... إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾.

- ٣ - الانحراف الفكري والثقافي للمجتمع هو بسبب الجهد المستمر الذي يبذله المستكبرون، ﴿مَكَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾.
- ٤ - يتعامل المستكبرون مع أتباعهم بلغة الأمر والنهي، لا الدعوة والإرشاد، ﴿تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ﴾.
- ٥ - لا ينفع الندم في يوم القيامة، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ... وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ﴾.
- ٦ - العذاب الإلهي للكفار يتناسب مع عملهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣٤)
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾^(٣٥)

التعاليم

- ١ - رفض الكافرين دعوة النبي الأكرم ﷺ ليس أمراً جديداً، فقد رفضوا دعوة من سبقه من الأنبياء، (في هذا ترويح عن نفس النبي)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾.
- ٢ - المترفون يقفون في الصف الأول في جبهة المواجهة مع الأنبياء، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾.
- ٣ - الترف يجعل الإنسان شخصاً غير مبالٍ وقاسي القلب، ويجره إلى الاستكبار، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا... كَافِرُونَ﴾.
- ٤ - رفض دعوة الأنبياء برفض رسالتهم لا أشخاصهم، ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.
- ٥ - حركة الأنبياء تشكل خطراً على مصالح أصحاب الأموال، ﴿مُتْرَفُوهَا... كَافِرُونَ﴾.
- ٦ - يظن الكفار أن الغنى وامتلاك الأموال في الدنيا سبب للغنى في الآخرة، ﴿أَكْثَرُ أَمْوَالًا... وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.
- ٧ - يفتخر المترفون بأموالهم وأولادهم، ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾.
- ٨ - يرى المترفون أنهم نوعية خاصة ومميزة من الناس، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)

التعاليم

- ١ - على النبي أن يصحح العقائد المنحرفة التي يؤمن بها الناس حتى لا يظن هؤلاء أن النعم الإلهية تدل دائماً على اللطف والمحبة، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي...﴾.
- ٢ - بسط الرزق أو إمساكه لا يدل على الرحمة الإلهية أو العذاب، (قد يقتر الرزق على المؤمن ويبسط في المقابل على الكافر)، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ...﴾.
- ٣ - بسط الرزق وإمساكه من شؤون الربوبية، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ...﴾.
- ٤ - يرى الناس أن سبب الرزق هو الوسائط والأسباب المادية، كحسن التدبير والجهد الشخصي، وينسون الله ﷻ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ...﴾.
- ٥ - في المجتمع الديني لا بد من أن يُنظر إلى الاقتصاد من زاوية معنوية وإلهية أيضاً، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا... قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ...﴾.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ

وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْفَضْلِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٣٧)

إشارات

- جعل الله ﷻ الإيمان، والعمل الصالح، والإنفاق، والإخلاص وسائل للقرب إليه، ولكن جماعة يرون في المال والولد وسائل للقرب ونيل السعادة.
- ورد في الآية ١٥ من سورة التغابن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، نعم ذكر المال والولد من باب المثال، فلا شيء من غير الإيمان والعمل الصالح بموجب للقرب إلى الله ﷻ.
- على من يفتخر كثيراً بالمال والولد أن يعلم أن كثرة المال والولد لا تدل دائماً على سعة الرزق، بل لعل الله ﷻ يريد أن يعذبهم بها، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ (١).

التعاليم

١ - يجب الرد على شبهات الأعداء وأفكارهم الخاطئة، (قال تعالى على لسان الكفار (في الآية ٣٥): ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، وهذه الآية ترد مقولتهم وتثبت لهم أن المال والولد لا يوجبان الأمن من العذاب، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ...﴾.

٢ - القرب من الله ﷻ هدف دائم للإنسان ولكن الإنسان قد يختار بعض الطرق والوسائل غير الصحيحة للوصول إلى هذا الهدف وإلى هذه الغاية، كما في عبادة الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١)، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... عِنْدَنَا زُلْفَى﴾.

٣ - امتلاك المال والولد وسائر الإمكانيات لا يدل على الكمال، بل الكمال في حسن الاستفادة من هذه الأمور، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... إِلَّا مِّنْ أَمَنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، (نعم إذا سُخِّرَ المال والولد في سبيل الإيمان والعمل الصالح كانا وسيلة للقرب)، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... إِلَّا مِّنْ أَمَنٍ وَعَمِلَ﴾.

٤ - قد يتضاعف الجزاء، ولكن في جميع الأحوال يبقى المعيار هو العمل، ﴿جَزَاءُ الْيَقِينِ بِمَا عَمِلُوا﴾.

٥ - في اختيار مكان الإقامة لا بدّ، مضافاً إلى صفة الأمن، من توفر خصائص أخرى: كوجود غرفات، طبقات عليا، إشراف أفضل، نور أقوى، هواء الطيف، ﴿فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾.

٦ - لا وجود للمرض، أو الخوف، أو الحزن، أو الاضطراب والقلق في الجنة، ﴿ءَامِنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم

١ - أصحاب الثروات والأموال، الذين يصرفونها في سبيل إسقاط الحق ومنعه من الانتشار في الأرض، سوف يجازون على فعلهم ذاك، (بالنظر إلى هذه الآية والآية السابقة)، ﴿يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾.

٢ - أعداء الدين في سعيٍ دائمٍ لأجل إسقاط الحق، ﴿يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في رواية أنّ أحدهم سأل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وقال له: إني أنفق ولا أرى خلفاً، قال: «أفترى الله تعالى أخلف وعده؟» قال: لا، قال: «فمم ذلك؟» قال السائل: لا أدري، قال: «لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حله لم ينفق درهماً إلا أخلف عليه»^(١). على أنّ الخلف قد يكون في الآخرة أو بدفع بلاء ومنعه من النزول بالمنفق أو بذريته الآتية.

□ كلمة «يقدر» من «القدر» بمعنى «المقدار» وكذلك بمعنى الشدة والضيّق، والمراد هنا المعنى الثاني بقرينة مجيء كلمة «يسط» في الآية.

□ تعرضت الآية ٣٦ أيضاً لمسألة التضييق والتوسعة في الرزق، ولكن المخاطب في تلك الآية كان الكفار، وأما المخاطب هنا فهم المؤمنون.

□ إذا رأى التاجر أن بضاعته في معرض التلف، فإنه يرضى ببيعها بثمن أقل أو يبيعها نسيئة ودينياً، ولو جاءه من يشتري ولم يبعه فهذا دليل خفة عقل. وعمر

(١) تفسير نور الثقلين، والكافي، ج ٢، ص ٤٨٦.

الإنسان كذلك هو بضاعة في معرض التلف، والله ﷻ هو المشتري وبشمن عظيم، فعدم بيعه دليل قلة عقل.

□ ورد عن رسول الله ﷺ: «ينادي مناد كل ليلة: «لِدُوا لِمَوْتِ، وينادي مناد: ابنوا للخراب، وينادي مناد: اللهم هب للمنفق خلفاً، وينادي مناد: اللهم هب للممسك تلفاً»^(١).

□ الله ﷻ خير الرازقين لأنه:

- أ - بيده كل شيء ويمكنه العطاء.
- ب - لا يبخل.
- ج - يعطي الجميع.
- د - عطاؤه بلا منة ولا طلب جزاء.
- هـ - دائم.
- و - أعلم بالحوائج.
- ز - يعطي ما لا يقدر غيره على إعطائه.

التعاليم

- ١ - التفاوت بين الناس في الرزق بيد الله سبحانه، وهو وسيلة من وسائل تربية الإنسان وتهذيبه، (مقتضى الربوبية الإلهية قبض الرزق وبسطه)، ﴿رَبِّي يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٢ - المهم هو الإنفاق لا مقداره، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.
- ٣ - الإنفاق ليس بالمال وحده بل يكون بكل نعمة وهبها الله ﷻ لهذا الإنسان، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.
- ٤ - اليقين بوجود العوض سبب للسخاء، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ... فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.
- ٥ - من الأسباب الموجبة لاختلاف الرزق امتحان الناس، ﴿يَبْسُطُ، وَيَقْدِرُ، مَا أَنْفَقْتُمْ﴾.

٦ - الإنفاق يعوّض، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، والله ﷻ هو الضامن لذلك، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

٧ - التعويض عن الإنفاق سوف يكون بأفضل صورة، ﴿خَيْرُ الرِّزْقِ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾

التعاليم

١ - في يوم القيامة يحضر العابد مع معبوداته الموهومة في مكان واحد، ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

٢ - في بعض مراحل التاريخ البشري كانت الناس تعبد الملائكة، بل إن بعض الأصنام كانت تماثيل للملائكة، ﴿لِلْمَلَائِكَةِ... إِيَّاكُمْ... يَعْبُدُونَ﴾.

٣ - مع الزجر الذي يناله المشركين، يُوجّه السؤال إلى المعبودين: هل أنتم دعوتهم إلى الشرك؟ وذلك لإثبات أن هذه المعبودات تنكر ذلك وتدينه ولا ترضى به، ﴿يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، كما يقال لعيسى بن مريم ﷺ: ﴿هَؤُلَاءِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ﴾^(١).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾

إشارات

□ يتوجه بعض المشركين بالعبادة إلى الملائكة على أمل نيل الخير منهم، ولكن أكثرهم يعبد الجن خوفا من ضرره أو من أن يناله شره^(٢).

□ لعل المراد من الجن في هذه الآية الشيطان، أي إنهم بدل عبادة الملائكة يتبعون الشيطان.

التعاليم

- ١ - لتعلم أدب الحديث مع الله ﷻ من الملائكة، ﴿سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا﴾.
- ٢ - تولي الله ﷻ والتبري من غيره لا بد من اقترانهما معاً، ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٤٢)

التعاليم

- ١ - الحكم والملك في يوم القيامة لله ﷻ وحده، (فليس لأحد من المعبودات - من جن أو ملائكة أو غيره - أي سلطة، فلا المعبود يمكنه أن يفعل للعابد شيئاً ولا العابد للمعبود)، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾.
- ٢ - تولي غير الله ﷻ ظلم للنفس، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.
- ٣ - ما يترتب عليه عذاب الله ﷻ هو التكذيب المستمر وعن سوء نية، ﴿كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَ مَا هَذَا إِذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصَدِّكُمْ
عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مَفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٣)

إشارات

- «بينات» جمع «بينة» وهي الدليل الذي يبين الحق. وكلمة «إفك» تطلق على الشيء الذي يكون محرفاً وقد صرف عن وجهه.

التعاليم

- ١ - الآيات الإلهية بيّنة، وسبب إنكار الكافرين عنادهم لا غموضها وعدم وضوحها، ﴿يَنْتَنِي﴾.

٢ - إنكار الكافرين قد يكون:

أ - بالاستهزاء بالنبي، ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ﴾.

ب - بتوجيه التهم، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾.

ج - باستحضار تقاليد الآباء، ﴿يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾.

٣ - يسعى الكفار، ومن خلال التذكير بأبائهم الضالين، للتأثير على الناس بالنحو الذي يقفون فيه في مواجهة الأنبياء، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنَّا كَمَا كَانَ يَصُدُّ آبَاءَكُمْ﴾.

٤ - التقليد الأعمى يمنع من تطوّر الإنسان، ﴿يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾.

٥ - الكفار يواجهون بالرفض الرسول والرسالة، ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ... مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ﴾.

٦ - يسعى الكفار، لضمان نجاح سعيهم، إلى الاستفادة من كل إعلام أو شائعة، ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ... مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ... إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾.

٧ - الكفر أحد موانع المعرفة، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ... إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾

إشارات

□ المفهوم من هذه الآية أننا لم نرسل إلى مشركي مكة رسولا قبلك ولا كتاب حتى يتمكن هؤلاء المشركون من الاستناد إليه لمعرفة أنك على حق أو على باطل؛ بل إن تكذيب هؤلاء وإنكارهم يقوم على أساس جهلهم، وعنادهم، واتباعهم للهوى ولتقاليد الآباء.

التعاليم

١ - إثبات أي أمر أو نفيه لا بدّ من أن يكون مستنداً إلى العلم أو الوحي، وأي موقف لا يستند إلى ذلك يكون اتباعاً للهوى، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ...﴾.

٢ - الكتب السماوية للدرس والتعليم، ﴿كُتُبٌ يَدْرُسُونَهَا﴾.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ
فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٥)

إشارات

□ نظير هذه الآية ما ورد في الآية ٢١ من سورة غافر وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا﴾. وفي الآية ٩ من سور الروم يقول تعالى: ﴿...كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

نعم التمدن، والثروات، والقوة متغيرات وليست أموراً خالدة فقد تكون إمكانات الماضي وقدراتهم أكثر.

التعاليم

- ١ - الاطلاع على التاريخ يجعلك ترى المشاكل الكبيرة صغيرة، ويسهل عليك تحملها، ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... فَكَذَّبُوا رَسُولِي﴾.
- ٢ - لا بد من الاستخفاف بالعدو أحياناً، ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ...﴾.
- ٣ - يعتمد الكفار على ما يملكونه من ثروة وقوة لإنكار الحق، والله ﷻ يخاطبهم بأن ثروتكم لا تصل عشر ثروة غيركم، ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ...﴾.
- ٤ - المجتمعات والحضارات الكبرى أصيبت بالفناء بسبب تكذيبها الأنبياء، (مشركو مكة ليسوا شيئاً، فلا تقلق)، ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.
- ٥ - السنة الإلهية واحدة في الناس كافة، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.
- ٦ - قد يلزم أحياناً في العمل التربوي والإرشادي استخدام لغة التهديد (التهديد الغامض والمبهم)، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًّى وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَى أُمَّةٍ حَقٍّ عَلَى أَنْ يُعْذَرَ لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَفْكُهُمْ وَمَا هُمْ بِبَارِكِينَ﴾

التعاليم

- ١ - موعظة الناس إحدى وظائف الأنبياء، ﴿أَعْظَمُكُمْ﴾.
 - ٢ - لا ينبغي الاختصار على الكلام، بل لا بد من القيام والحركة، ﴿تَقُومُوا﴾.
 - ٣ - المهم هو القيام لله ﷻ عن إخلاص، وليس للعدد دور أساس في ذلك، ﴿تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًّى﴾.
 - ٤ - يلزم للقيام توافر عناصر ثلاث:
- الخلوص: ﴿لِلَّهِ﴾، القائد: ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾، التفكير والتخطيط: ﴿تَفَكَّرُوا﴾.
- فالتحركات والثورات التي لا تكون لله ﷻ بل تنطلق من العُقد، والهوى، ولأجل كسب الأموال لا تصل إلى نتيجة. وأي ثورة لا تقوم على أساس التخطيط والتفكير أو لا يقودها قائد رباني لا تصل إلى نتيجة، ولا بقاء لها ولا بركة فيها.
- ٥ - ليس في النبي الكريم أدنى نقطة ضعف معنوي وروحي. فقد بقي لسنوات معكم والكل يعرف مدى رجاحة عقله وعلمه. ونسبة الجنون إليه دليل على الجهل وعدم التفكير، ﴿تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾.
 - ٦ - القائد الرباني يعيش مع الناس، وبصاحبهم، ويتحدث معهم، ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾.
 - ٧ - الله ﷻ هو الذي يحمي أنبياءه ويدفع عنهم التهم، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾.
 - ٨ - على الرغم من كون الأنبياء مبشرين ومنذرين، ولكن القرآن الكريم يهتم بالإنذار أكثر؛ لأن حاجة الغافلين للإنذار أشد، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.
 - ٩ - إنذار الأنبياء فيه مصلحة الناس، ﴿نَذِيرٌ لَّكُمْ﴾.
 - ١٠ - العذاب أمامكم، فإن لم تقوموا لله ﷻ، فإن العذاب سوف يصيبكم في الدنيا وهو ليس ببعيد عنكم في الآخرة، ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧)

إشارات

□ ورد في القرآن الكريم، وفي موارد عدة، على لسان النبيين أنهم لا يطلبون من الناس أجراً على الرسالة، وفي ذلك لاحظ سورة الشعراء من الآية المائة حتى الآية مائة وثمانين، ولكن في ما يتعلق بنبي الإسلام ﷺ ذكر القرآن الكريم على لسانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١)، ومرة أخرى في الآية ٥٧ من سورة الفرقان: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا رِجِيًّا سَبِيلًا﴾.

والآية المذكورة هنا هي الآية التي تجمع بين الآيات الثلاثة، فالنبي ﷺ يريد القول إنني لو طلبت منكم أجراً فهو مودة أهل بيتي؛ لأن فائدة هذا الأجر تعود إليكم، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾؛ لأن من يود أهل البيت ﷺ ويتبعهم وهم المعصومون فقد اتبع سبيل الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا رِجِيًّا سَبِيلًا﴾؛ ففائدة هذا الأجر هو لكم، كالمعلم الذي يقول لتلميذه أنا لا أريد منك أجراً سوى أن تهتم بدروسك، فإن فائدة هذا الأجر تعود إلى التلميذ نفسه.

التعاليم

١ - يجب على أهل الدعوة إلى الله ﷻ أن يبينوا للناس ما يتوقعونه منهم، (ففي الآيات الثلاثة المتعرضة لموضوع الأجر على الرسالة وردت كلمة «قل»، وهي بهذا تأمر النبي بالإظهار، ﴿قُلْ... إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾).

٢ - القبيح هو طلب الأجر وسؤال الأجر، ولكن لو أنّ الناس، ومن دون سؤال ولمودتهم ومن دون إكراه، قدموا للمبلغ هدية فإن حساب ذلك يختلف عن الأجر. ولذا ورد التعبير القرآني: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾؛ ولم يقل: «لا آخذ».

٣ - شرط تأثير الكلام في نفوس الناس، أن يكون المتحدث به مخلصاً ومحباً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، فلو أن إمام الناس كان يتوقع منهم الجزاء المادي فإن المجتمع لن يتحمل ذلك وسيرفضه: ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (١).

٤ - اختيار سبيل الله ﷻ ومودة أهل البيت ﷺ، الذي هو أجرة الرسالة، يعود نفعه إلى الناس أنفسهم، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾.

٥ - من يرى الله ﷻ شهيداً على أعماله فلن يأمل غيره أبداً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٦ - لأجل رفع سوء الظن اجعل الله ﷻ شهيداً على صدقك، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨)

التعاليم

- ١ - إحقاق الحق وإبطال الباطل من شؤون الربوبية، ﴿إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾.
- ٢ - على الحق أن يهاجم الباطل ويفنيه، («يقذف» بمعنى يرمي ويهجم).
- ٣ - انتصار الحق على الباطل سنة من السنن الإلهية، ﴿إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾.
- ٤ - إحقاق الحق وإبطال الباطل يتوقف على سعة الاطلاع، ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ

اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُرْسِلُ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

إشارات

□ ورد عن ابن مسعود - أحد أصحاب رسول الله ﷺ - أنه كان في مكة ٣٦٠

صنماً، وأن النبي ﷺ كان يحطمها يوم فتح مكة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ (١).

□ سؤال: بعد مجيء القرآن والرسول الحق لماذا يبقى الباطل؟

الجواب: الحكم المنطقي والعلمي يختلف عن الحكم العملي والتنفيذي، وما يرتبط بالله ﷻ هو أن يرسل الحق، وما يرتبط بالعباد أن يعملوا بالحق، نعم فصحة المريض تتحقق بأن يأخذ وصفة الطبيب بالدواء الذي يرفع المرض وأن يتناول الدواء وهي وظيفة كل من الطبيب والمريض معاً.

التعاليم

- ١ - الحق سوف ينتصر على الباطل، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.
- ٢ - ينبيء القرآن الكريم عن الغيب، ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.
- ٣ - مع انعدام الوحي فإن النبي أيضاً معرض للانحراف، ﴿إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.
- ٤ - الآثار السيئة للانحراف ترجع إلى الإنسان نفسه، ﴿أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾.
- ٥ - الله ﷻ أرسل الوحي وأشرف على إبلاغ الوحي، ﴿فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَفِئْتُ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

- تتعرض هذه الآيات إلى آخر السورة للصور المفزعة للمشركين عند موتهم.
- كلمة «تناوش» من «النوش» بمعنى أخذ الشيء بسهولة.

□ ورد في تفاسير الشيعة والسنة روايات مفادها أن رسول الله ﷺ فسر هذه الآيات بخروج السفيناني عند ظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وأن الله ﷻ سوف يفنيه في أقرب مكان.

□ المراد من ﴿مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الدنيا، ومن ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ الآخرة.

التعاليم

١ - جزعٌ، وفزعٌ، واستمداؤُ المشركين العون لن ينفعهم شيئاً في حل ما يعانونه، ﴿فَرِيعُوا فَلَآ قُوَّةَ﴾ فلا نصير لهم.

٢ - كل كافر يلجأ إلى الإيمان لحظة الإحساس بالخطر، ولكن لا نفع له بذلك، (الإيمان الاختياري هو المطلوب لا الاضطراري)، ﴿وَأَعِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ... قَالُوا ءَامَنَّا﴾.

٣ - الموت متى جاء أخذ الإنسان فوراً، ﴿مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

٤ - تبدأ معاقبة المشركين في هذه الدنيا، ﴿مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

٥ - الرجوع إلى الدنيا لجبران ما فات أمر بعيد وغير ممكن، ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَجِئَ لِيَنَّهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

١ - الذين كفروا بالأمس بالنبي ﷺ وبالقرآن واتهموهم، هم اليوم في ضيق ويعلمون إيمانهم ولكنه لا ينفعهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا... وَيَقْذِفُونَ﴾.

٢ - لا يمتلك الكفار معرفة واضحة بالنبي ﷺ وبالقرآن؛ ولذا كانوا يرمون التهم بحقهما عشوائياً ومن مكان بعيد، ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

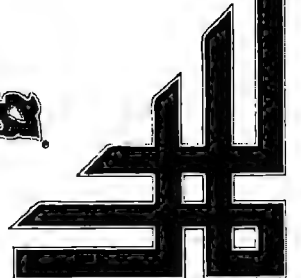
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ فَطْرِ

السورة: ٢٥ الجزء: ٢٢

عدد الآيات: ٤٥



ملاحح سورة فاطر

سورة فاطر مكية وعدد آياتها خمس وأربعون. «الفاطر» صفة من صفات الله ﷻ وتعني الخالق. واسم هذه السورة مأخوذ من الآية الأولى منها حيث ورد فيها ذكر صفات الله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. كسائر السور المكية تتعرض هذه السورة للحديث عن المبدأ والمعاد، ومواجهة الشرك، وهي المحاور الأساس في هذه السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبُّهُ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾

إشارات

□ «الفاطر» هو الخالق لا عن سبق، و«الأجنحة» من «جناح» وهو كناية عن القدرة.

التعاليم

- ١ - الحمد لا بد من أن يكون على أساس ما ينبغي ويليق، (فالقرآن متى قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فذلك لأن الله ﷻ خالق قدير).
- ٢ - على الرغم من سعة القدرة الإلهية، إلا أن الله ﷻ جعل عالم الكائنات خاضعاً لنظام الأسباب والمسببات، ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾.
- ٣ - دور الملائكة وقدراتهم مختلفة، ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبُّهُ﴾.
- ٤ - يد الله ﷻ مطلقة في خلقه، والعالم في حالة ازدياد وسعة، ﴿يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.
- ٥ - خلق الكون أمر بديع ولا سابق له، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

خصائص الملائكة في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن الملائكة بأمر منها:

- ١ - الملائكة عباد الله المكرمون، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(١).
- ٢ - عباد مطيعون، ﴿لَا يَسْقُوتُ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْعَلُونَ﴾^(٢)، ﴿لَا يَعْصُونَ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٧.

اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾.

٣ - تدبير الأمور وتقسيمها بأيديهم، ﴿قَالَتِذَرَاتِ أَمْرًا﴾^(٢)، ﴿قَالَتَمَيَّنْتَ أَمْرًا﴾^(٣).

٤ - مراقبة الإنسان في أقواله، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَؤُوبٍ عِندٌ﴾^(٤).

٥ - يكتبون أعمال العباد، ﴿وَرُؤُسُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٥).

٦ - بشارة الجنود بالمدد الغيبي في الحرب، ﴿يَجُودُونَ لِمَنْ تَرَوُكَا﴾.

٧ - ييسرون الناس بالولد، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾^(٦).

٨ - تطمين المؤمنين ورفع الخوف والحزن عنهم، ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾^(٧).

٩ - ينزلون العذاب على المجرمين، ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لَوْثًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾^(٨).

١٠ - يحفظون الإنسان، ﴿وَرُسُلٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ﴾^(٩).

١١ - يدعون للمؤمنين، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١٠)، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١١).

١٢ - يشفعون، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَىٰ﴾^(١٢).

١٣ - لعن الكفار، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١٣).

١٤ - إمداد المقاتلة أثناء الحرب، ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾^(١٤)، ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا... يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالْفٍ﴾^(١٥).

- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة التحريم: الآية ٦. | (٩) سورة الأنعام: الآية ٦١. |
| (٢) سورة النازعات: الآية ٥. | (١٠) سورة غافر: الآية ٧٠. |
| (٣) سورة الذاريات: الآية ٤. | (١١) سورة الشورى: الآية ٥. |
| (٤) سورة ق: الآية ١٨. | (١٢) سورة النجم: الآية ٢٦. |
| (٥) سورة الزخرف: الآية ٨٠. | (١٣) سورة البقرة: الآية ٦١. |
| (٦) سورة مريم: الآية ٧. | (١٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٦. |
| (٧) سورة فصلت: الآية ٣٠. | (١٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٥. |
| (٨) سورة هود: الآية ٧٧. | |

١٥ - معاقبة المجرمين لحظة الموت، ﴿تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ﴾^(١).

١٦ - الترحيب بأهل الجنة، ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٢).

١٧ - مسؤولية العذاب في جهنم، ﴿عَلَيْنَا نَسَمَةُ عَشْرٍ﴾^(٣).

١٨ - مسؤولية قبض الارواح، ﴿تَوَفَّنَتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٤).

١٩ - لهم درجات، ﴿وَمَا يَنَّا إِلَّا اللَّهُ مَقَامَ مَقْلُومٍ﴾^(٥).

٢٠ - مسؤولون عن نزول الوحي، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ﴾^(٦).

٢١ - يتمثلون بصورة بشر، ﴿تَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٧).

٢٢ - لا يسأمون من العبادة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ﴾^(٨).

٢٣ - يحدثون غير الأنبياء، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا﴾^(٩).

٢٤ - بعض الملائكة من المصطفين، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١٠).

٢٥ - يجب الإيمان بهم، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(١١).

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١٢).

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ

فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

التعاليم

١ - الناس جميعاً في هذه الدنيا في ظل الرحمة الإلهية، ﴿يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾.

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة محمد: الآية ٢٧. | (٧) سورة مريم: الآية ١٧. |
| (٢) سورة الزمر: الآية ٧٣. | (٨) سورة فصلت: الآية ٣٨. |
| (٣) سورة المدثر: الآية ٣١. | (٩) سورة مريم: الآية ١٩. |
| (٤) سورة الأنعام: الآية ٦١. | (١٠) سورة الحج: الآية ٧٥. |
| (٥) سورة الصافات: الآية ١٦٤. | (١١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥. |
| (٦) سورة النحل: الآية ٢. | (١٢) سورة النساء: الآية ١٣٦. |

- ٢ - الرحمة الإلهية تسبق الغضب، (كلمة يفتح جاءت قبل يمسك).
 - ٣ - عطاء الله ﷻ وإمساكه عن حكمة على الدوام، ﴿يَفْتَحُ... يُمْسِكُ... الْحَكِيمُ﴾.
 - ٤ - للنعم الإلهية خزائن بعضها مفتوح لهذا الإنسان، ﴿يَفْتَحُ... مُرْسِلٌ﴾.
 - ٥ - أي تعلق بغير الله ﷻ هباء، فلا أحد يقدر على شيء إذا لم يرد الله ﷻ ذلك، ﴿فَلَا مُمْسِكُ... فَلَا مُرْسِلٌ﴾.
 - ٦ - لا خلل في الإرادة الإلهية، ﴿مَا يَفْتَحُ... فَلَا مُمْسِكُ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ﴾.
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾

التعاليم

- ١ - الناس جميعاً مدعوون إلى التفكير في النعم الإلهية، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.
- ٢ - أفضل طريق لمعرفة الله ﷻ تذكر النعم الإلهية، ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾.
- ٣ - السؤال مفتاح اليقظة والحذر، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ...﴾.
- ٤ - بداية عالم الوجود، وتحققه، وبقائه، ودوامه بيد الله ﷻ، ﴿خَلْقٍ... يَرْزُقُكُمْ﴾.
- ٥ - هو الرازق ولكن رزقه يأتي عبر أسباب طبيعية، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٦ - لا معنى للتوبيخ قبل التحذير، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ... فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾.
- ٧ - كل طريق غير طريق التوحيد هو ضلال، ﴿فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾.
- ٨ - كيف نأكل رزق الله ﷻ ونعبد غيره، ﴿يَرْزُقُكُمْ... فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾.
- ٩ - فطرة الإنسان تنزع نحو الله ﷻ، ولكن العوامل الخارجية هي أسباب الانحراف، ﴿تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

التعاليم

- ١ - واجه كافة الأنبياء من يكذبهم، فتكذيب الحق صفة دائمة للكفار، ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

- ٢ - التاريخ يتكرر، ﴿يُكَذِّبُوكَ... كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.
- ٣ - لا يتوقف الكفار عند الأشخاص، بل ينكرون طريق الحق؛ لذا يكذبون كل من ينادي بالحق، ﴿يُكَذِّبُوكَ... مِنْ قَبْلِكَ﴾.
- ٤ - التاريخ أفضل وسيلة للطمأنينة في مواجهة المخاطر، ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.
- ٥ - تكذيب الناس لا يضر بحقانية الوحي شيئاً، فقد كذبت الرسل من قبل، ﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ﴾.
- ٦ - الإيمان بالمعاد يعطي الإنسان القدرة على مواجهة الحوادث المريعة والصعوبات، ﴿يُكَذِّبُوكَ... وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.
- ٧ - على منكري الحق أن يعلموا بأنهم سوف يحاسبون على عنادهم، ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

إشارات

- «الغرور» تطلق على من يغر الآخرين بكثرة، والمراد منه هنا الشيطان بملاحظة الآية التالية.
- لعل المراد من الاغترار بالله ﷻ في قوله: ﴿وَلَا يَفْرَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ أن الشيطان يغر الإنسان بالعفو الإلهي، أو عن طريق التحريف والبدع والحديث عن سهولة الأحكام والتكاليف الإلهية، مما يدفعهم إلى تكرار الذنب.
- بداية هذه السورة تعرضت لموضوع التوحيد، والآية السابقة كانت في موضوع النبوة وهذه الآية ترتبط بالمعاد.
- ورد ما يشبه هذه الآية في سورة لقمان وهي الآية ٣٣.

التعاليم

- ١ - بعض الناس تغره الحياة المادية والدنيوية، وبعض الناس لا تجعله محاسن

- الدنيا طامعاً؛ لذا يأتيه الشيطان ليغره فيحرفه، ﴿وَلَا يَفْرَنَكُم بِاللهِ الْفَرُودُ﴾.
- ٢ - لا بد من تكرار التحذير في العمل التربوي، ﴿فَلَا تَفْرَنَكُم... وَلَا يَفْرَنَكُم﴾.
- ٣ - الإيمان بالمعاد من أهم المعتقدات التي تحول دون الانخداع بالدنيا.
- ٤ - الوعد الإلهي حق، وأما وعود الشيطان فهي كذب وهباء، ﴿وَعَدَ اللهُ حَقًّا﴾.
- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦)

إشارات

- كلمة «سعير» بمعنى «النار المستعرة»، وهو اسم من أسماء جهنم.
- عداوة الشيطان للإنسان قديمة جداً:
- فهو الذي أخرج أبويه من الجنة، ﴿كَأَنَّ أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ﴾ (١).
- وهو العدو الذي لا نراه، ﴿إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُ﴾ (٢).
- وهو العدو الذي يحلف على العداوة، ﴿فَبِعَرَّتِكَ...﴾ (٣).
- وهو الذي يوسوس للإنسان من كل جانب، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ...﴾ (٤).
- وهو الذي يستخدم كل وسيلة ممكنة لإبعاد الناس عن اتباع الحق، فيعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء، ﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٥).
- ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمي عطني موعظة، فقال عليه السلام: «إن كان الشيطان عدوًّا فالغفلة لماذا» (٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٦) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٣) سورة ص: الآية ٨٢.

التعاليم

- ١ - إذا لم نحمل عداوة الشيطان على محمل الجد، فسوف نقع في شركه، ﴿عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.
- ٢ - علينا أن نحيط بخطط العدو وعدده، ﴿الشَّيْطَانُ... يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾.
- ٣ - يطلب الشيطان العون والمساعدة لكي يحرف الناس عن الحق، فنحن ماذا نفعل من أجل الهداية إلى الحق؟ ﴿الشَّيْطَانُ... يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾.
- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧)

التعاليم

- ١ - في طاعة أوامر الله ﷻ أو معصيتها حساب وكتاب، ﴿كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ... ءَامَنُوا... لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾.
- ٢ - لأجل حفظ حالتنا من الخوف والرجاء، لا بد من ضم الوعد إلى الوعيد، ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ... أَتَى كَبِيرٌ﴾.
- ٣ - التفكير في العاقبة وملاحظة ما يؤول إليه العمل له تأثيره على التربية، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ... لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾.
- ٤ - الكفر كاف لاستحقاق العذاب، ﴿كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ﴾؛ ولكن استحقاق الثواب يتوقف على الإيمان والعمل الصالح معه، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾.
- ٥ - لا يمكن دخول الجنة، قبل تحقق العفو والمغفرة، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.
- ٦ - إتمام الحجة أولاً، ثم التهديد بالعقاب، (جاءت آيات إتمام الحجة أولاً ثم آيات التهديد بالعقاب).

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨)

إشارات

- الشيطان يزين للإنسان سوء عمله، وبدل أن ينتقده على هذا العمل يتملق إليه به، وقد ورد في آية أخرى: ﴿زُيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١).
- عدم الإجابة عن الأسئلة الصادرة بلسان التوبيخ يدل على تهديد المسيئين. والله ﷻ يوجه الأسئلة بلسان التوبيخ لهم ولا يجيب عنها. فيقول: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ...﴾ ولكنه لا يجيب عن السؤال.
- ورد عن أبي الحسن عليه السلام عندما سُئل عن العجب الذي يفسد العمل، أنه قال: «العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعا» (٢).

التعاليم

- ١ - عشق الجمال فطرة إنسانية؛ لذا فإن الشيطان يزين للإنسان سوء عمله حسناً لكي يدفعه إلى القيام به، ﴿سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا﴾.
- ٢ - استحسان الأعمال القبيحة بابٌ للضلال، ﴿زُيِّنَ لَهُ... يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.
- ٣ - يبرر الإنسان المعصية أولاً، ثم يأتي بها، (تزيين السيئات هو نفسه تبرير المعاصي)، ﴿زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾.
- ٤ - المؤمن يدرك الواقع ويعرف نفسه، ويمتلك البصيرة، وأما الكافر هو شخص ظنين، يقع في المكر والحيلة ومغتر بذاته، (تحدثت الآية السابقة عن الكفار والمؤمنين وهذه الآية عن العلم بالواقع والظن به)، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا... زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾.

٥ - معيار كون العمل حسناً أو سيئاً من عند الله ﷻ، لا بالظن ونحوه، ﴿سَوْءُ عَمَلِهِمْ قَرَأَهُ حَسَنًا﴾.

٦ - سوء الفهم وظن السيء من العمل حسناً يمنع الإنسان من العبودية والتوبة والكمال، ﴿زَيْنٌ لَّهُمْ... يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

٧ - الهدى والضلال وإن كان من عند الله ﷻ؛ ولكنه يقوم على أساس فعل الإنسان. فالكفار يختارون الكفر عناداً منهم، والله ﷻ يزيد في ضلالهم، ﴿يَهْدِي... يُضِلُّ... بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

٨ - النبي حريص على هداية الناس ويتحرق لأجلهم، ﴿فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ﴾.

٩ - للأسف والحسرة حد ينتهيان عنده، ﴿فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾.

١٠ - استذكار أن عمل العصاة تحت مرأى الله ﷻ، يحد من الحسرة عليهم، ﴿فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ

فَآخِيزًا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١﴾﴾

إشارات

□ كما إن حركة السحاب والرياح، ونزول المطر، وإحياء الأرض الموات، وخروج النبات خاضع للإرادة الإلهية، فكذاك بإرادة منه تعالى تقع زلزلة عظيمة وينشر الأموات من قبورهم وتعود إليهم الحياة.

التعاليم

١ - حركة الرياح، وانتقال السحاب، ونزول المطر أمور لا تحدث في الكون صدفة؛ بل في ظل الإرادة الإلهية، ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ... فَسَقَنَهُ﴾.

٢ - ثمة نظام وتدبير حاكم في عالم الوجود، ﴿أَرْسَلَ... فَثِيرُ... فَسَقَنَهُ... فَآخِيزًا﴾.

٣ - علينا الاستفادة من عالم الشهود لفهم عالم الغيب، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوْنَ﴾ ﴿١٥﴾

إشارات

- الكلم الطيب هو الشهادة بالتوحيد والرسالة والولاية، كما ورد في الروايات ذكر مصاديق له من الأذكار، نحو: «لا إله إلا الله وسبحان الله...».
- «يبور» من «البوار»، و«البائر» وهو الكساد الزائد والتلف والهلاك.
- ذكروا لهذه الآية معان عدة منها:

- ١ - إن الكلم الطيب يصعد إلى الله ﷻ، وأما العمل الصالح ففيه الرفعة والدرجة.
- ٢ - الكلم الطيب يرتفع إلى الله ﷻ والعمل الصالح يرفع هذا الكلم.
- يرى الكفار أن العزة إما بالتعلق بالأشياء المادية: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾^(١)، وأما يطلبون العزة من هذا وذاك، ﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ؟﴾^(٢)، وواقع الحال أن العزة كلها عند الله ويده وحده، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

التعاليم

- ١ - العزة الحقيقية عند الله ﷻ وليست عند الناس، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.
- ٢ - العزة الحقيقية تتحقق في ظل الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا... الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾.
- ٣ - بين العقيدة والعلم رابطة وثيقة، ويؤثر أحدهما في الآخر، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.
- ٤ - يسعى المؤمنون للعزة عن طريق الإيمان والعمل الصالح، وهو طريق التكامل

(١) سورة مريم: الآية ٨١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٩.

والرقي، ﴿يَصْعَدُ... يَرْفَعُهُ﴾، وطريق الآخرين إلى العزة يفضي إلى الضلال والانحراف ونتيجته الهلاك والبوار، ﴿يَبُورُ﴾.

٥ - لا يصل أحد إلى العزة عن طريق الانحراف والضلال، ﴿يَبُورُ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١)

إشارات

□ تطلق كلمة «معمر» على صاحب العمر الطويل. و«العمر» من «العمران»، وذلك لأن الإنسان في أيام حياته يتمكن من القيام بالعمران، فيطلق على مدة حياته تسمية العمر.

□ ورد في الروايات أنّ الصدقة، وصلة الرحم، والإحسان إلى الوالدين سبب لطول العمر، كما إن قطع الرحم، وإيذاء الوالدين سبب لقصر العمر^(١).

التعاليم

١ - تذكر الإنسان لنشأته وأنها من تراب تجعله يدرك سعة القدرة الإلهية؛ وذلك يمنعه من الوقوع في الغفلة، والغرور، والتكبر، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.

٢ - آدم ﷺ خلق من تراب وكذلك الإنسان المخلوق من نطفة فإن أصله من التراب، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.

٣ - العنصرين الأساسيين في وجود الإنسان هما الماء والتراب، ﴿تُرَابٍ... نُطْفَةٍ﴾.

٤ - خالق الإنسان أزواجاً من الألفاف الإلهية، ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

٥ - علم الله ﷻ محيط بكافة حالات هذا الموجود، قبل وجوده وبعده، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

٦ - للإنسان عمر محدد وقد ينقص من عمره لبعض الأسباب، ﴿وَلَا يُفَقِّصُ مِنْ عُمرِهِ﴾.

٧ - في كل لحظات عمر الإنسان حساب وكتاب، ﴿فِي كِتَابٍ﴾.

٨ - خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة، والعلم بكل لحظة من عمره أمر يسير على الله ﷻ، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَنَرَى الْفُلْكَ
فِيهِ مَوَازِرَ لِنَبْنِئُوا مِنْ فُضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾

إشارات

□ «العذب» بمعنى «الحلو». و«الفرات» بمعنى «اللطيف»، «السائغ» بمعنى «سهل الهضم»، و«المواخر جمع ماخرة» بمعنى التي تمخر أي تشق.

□ حياة الناس:

- تارة حلوة وأخرى مرّة.

- تارة مع الشهرة وأخرى مع الجهالة.

- تارة مع الغنى، وتارة مع الفقر.

- تارة مع الصحة وأخرى مع المرض.

ولكن الإنسان إذا كان صياداً ماهراً وغواصاً قديراً، يمكنه أن يكون في جميع الأحوال ناجحاً موفقاً، ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ... وَنَسْتَخْرِجُونَ﴾.

□ صيد السمك، واستخراج مواد الزينة والملاحة بركات تحصل بجهد من الإنسان، وفي البحر بركات أخرى كثيرة منها الغيوم التي تتشكل نتيجة تبخر مياهه، وتخفيف جفاف الهواء ببخاره، واحتضانه لأنواع الكائنات الحية.

التعاليم

- ١ - العذب يذكر أولاً في الكلام، (مع أن أكثر البحار فيها ملوحة ولكن القرآن ذكر الماء العذب أولاً)، ﴿هَذَا عَذْبٌ... وَهَذَا يَلْحٌ﴾.
 - ٢ - لا يقرّ الإسلام تشريع تحريم اللحوم، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا﴾.
 - ٣ - في البحار طعام الإنسان، ولباسه، ومركبه، ﴿تَأْكُلُونَ... تَلْبَسُونَهَا... وَتَرْكَبُ الْفُلَّ﴾.
 - ٤ - اللحم الطازج أفضل من غيره، ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾.
 - ٥ - الإنسان يعيش الجمال بفطرته، ولا تُحرم الاستفادة من الزينة، ﴿وَلَسْتَخْرِجُونَ حَيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾.
 - ٦ - النعم الإلهية فضل من الله ﷻ وليس لنا عليه من حق، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.
 - ٧ - يصل الإنسان إلى الرزق والفضل الإلهي من خلال السعي إليه، ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.
 - ٨ - تذكر النعم سبب لقيام روح الشكر في الإنسان، ﴿تَشْكُرُونَ﴾.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

- الليل والنهار يترك كل منهما مكانه للآخر بشكل تدريجي، لمنع الضرر الذي قد يحصل من الانتقال من الظلمة إلى النور وكذلك العكس.

التعاليم

- ١ - طول الليل والنهار وقصرهما والانتقال التدريجي بينهما لا يتحقق عن طريق الصدفة، ﴿يُولِجُ﴾.

- ٢ - الطبيعة مسخرة لأمر الله ﷻ، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾.
- ٣ - لحركة القمر والشمس حد ونهاية، ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
- ٤ - على الإنسان أن يزيد من يقينه بتوحيد الله ﷻ من خلال التأمل في الخلق وكيف نظم لهدف وضمن جدول زمني، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.
- ٥ - لا بد في أسلوب التبليغ من بيان وجه الحق ثم التعرض بعد ذلك لوجوه الباطل والمقارنة بينهما، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾.
- ٦ - الدعاء والطلب لا بد من أن يكونا من ذوي المقام ومن الأفضل، والأصنام ليست أفضل من الإنسان ولا تملك ضرراً ولا نفعاً، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾.
- ٧ - إلى أين يذهب الإنسان؟ إذ يدع القدرة الإلهية المطلقة، ﴿الْفِتْنَى أَلْحِيْدُ﴾، ويلجأ إلى بعض الموجودات التي لا تقدر على شيء، ﴿مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ قَطْمِيرٍ﴾.
- ٨ - على المبلِّغ أن يستخدم في أسلوبه التبليغي الأمثلة التي يفهمها الناس في أي زمان ومكان، ﴿قَطْمِيرٍ﴾.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

□ تتمسك فرقة من المسلمين (الوهابية) بهذه الآية لإثبات ما تراه من عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالأئمة ؑ؛ ولكنها تغفل عن أن هذه الآية وردت في شأن التوسل بالأصنام لا بأولياء الله ﷻ الذين تحدث الله ﷻ معهم حتى بعد وفاتهم. ففي آيات عدة من القرآن الكريم يسلم الله ﷻ عليهم من ذلك: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٢). ولو أن هؤلاء لا يسمعون

سلام الله عليهم فأني معنى لهذا السلام؟! وكان الحياة البرزخية للشهداء لا يؤمن بها هؤلاء.

وقد ورد في العديد من الروايات أن النبي الأكرم ﷺ تحدث مع الأموات، من ذلك لما وقف على البئر الذي وضع فيه قتلى الكفار في بدر وخاطبهم بالكلام، ولما سئل أنه كيف يتحدث معهم، أجابهم بأنهم أسمع منكم^(١).

التعاليم

١ - ليس للشرك من دليل، لأن المشركين:

- ﴿مَا يَلِكُوتَ مِنْ قَطْمِيرٍ﴾.

- ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكَ﴾.

- ﴿مَا أَسْتَجَابُوا لَكَ﴾.

- ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكَ﴾، نعم في يوم القيامة يتبرأ المعبودون من عابديهم.

٢ - يصل الإنسان إلى الحد الذي يترك دعاء الله ﷻ الذي يستجيب الدعاء، ﴿أَدْعُوكَ أَسْتَجِبْ لَكَ﴾، ويلجأ إلى الجمادات الصم العمي التي لا تقدر على شيء، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا... مَا أَسْتَجَابُوا﴾.

٣ - المعبودات الموهومة تبرأ من المشركين في يوم القيامة، ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكَ﴾، ويقولون لهم: إنكم كنتم تعبدون هواكم وليس إيانا كنتم تعبدون، ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

٤ - لا نفع من الشرك لا في الدنيا (ما استجابوا) ولا في الآخرة، ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكَ﴾.

٥ - خذ الأخبار المهمة من أهل الخبرة، ﴿وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

٦ - لا يمكن للإنسان أن يصل إلى أخبار القيامة إلا عن طريق الوحي، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ... وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥)

إشارات

- دعوة الله ﷻ للناس لا تدل على حاجته إليهم. كما لو قلت للناس اجعلوا بيوتكم مقابل الشمس، فإن هذا لا يعني حاجة الشمس إليهم، بل حاجتهم إلى نور الشمس، ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾.
- من طرق محاربة الغرور والتكبر دعوة الإنسان إلى محضر الساحة الإلهية لكي يعترف بضعفه، وجهله، وفقره، وحاجته إليه، ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾.

التعاليم

- ١ - تحتاج المخلوقات قاطبة إلى الله الغني، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾.
- ٢ - الموجودات كلها فقيرة، ولكن لأن الإنسان مدّعٍ ومغرور فلا بدّ من أن يوجّه الخطاب إليه، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.
- ٣ - وجود الأسباب، والوسائل، والعلل صحيح، ولكن تأثير الأسباب والعلل كافة بحاجة إليه تعالى، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾.
- ٤ - الغني حقيقة، وعلى الإطلاق، وينحو تام هو الله ﷻ فقط، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.
- ٥ - الأغنياء عادة غير محبوبين ويعيشون خوف الاعتداء عليهم، والحسد، والتنافس، والسرقة، ولكن الله ﷻ غني حميد، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
- ٦ - جعل الله ﷻ غناه في سبيل رفع حاجة المخلوقات وبما فيه نفعهم؛ لذا كان هو الحميد، ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

إشارات

- مضمون الآية ١٣٣ من سورة الأنعام مشابه لمضمون هذه الآية، وفي تلك الآية

يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾.

التعاليم

- ١ - إذا علم الإنسان أن موطن قدمه متزلزل وغير ثابت، فإنه يسير فيه على مهل، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾.
 - ٢ - من علامات فقر الإنسان إمكان فثائه وانعدامه، ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ... يُذْهِبْكُمْ﴾.
 - ٣ - بيان القدرة الإلهية طريق لدعوة الناس وتهديد لأهل الضلال، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾.
 - ٤ - القدرة الإلهية واحدة في الذهاب بالناس أو الإتيان بهم، ﴿يُذْهِبْكُمْ... يَأْتِ﴾.
 - ٥ - يد الله ﷻ مطلقة في خلقه ولا حد لقدرته، ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.
 - ٦ - على المدير أن يحد من غرور من يعمل تحت يده، ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.
 - ٧ - علينا أن نأخذ القدرة الإلهية على محمل الجد، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

إشارات

□ «الوزر» هو «الثقل والحمل». «المثقلة» تعني كون الحمل ثقيلاً. و«الحمل» هو الشيء المحمول على الظهر، وأما «الحمل» فهو ما يحمل في الرحم^(١).

(١) تفسير نمونه، نقلاً عن مفردات الراغب.

□ ورد في آيات القرآن الكريم الحديث عن جماعة يحتالون على الناس بقولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾^(١). وهذه الآية رد عليهم.

□ سؤال: هل يمكن من خلال هذه الآية أن نتبنى القول بأن أحداً لا يحمل وزر أحد في يوم القيامة، فإذاً، لا ربط لنا بما يفعله العصاة والمذنبون؛ لأن ذنوبهم تقع على عاتقهم، ولا ربط لنا بها؟

الجواب: هذه الآية لا تبرر السكوت في مقابل المنكر؛ لأن السكوت نفسه ذنب على الساکت. فواجبنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن إذا لم يستمع أهل المنكر إلينا فذنوبهم على عاتقهم.

□ الإنسان وإن كان مسؤولاً عن عمله فقط، ولكن لو سن سنة سيئة في المجتمع فلا بد من أن يحاسب على ذلك مضافاً إلى الحساب الذي يناله فاعل ذلك؛ وذلك لأنه شريك في انحراف ذاك ووقوعه في المعصية.

التعاليم

١ - تقتضي العدالة أن يتحمل كل امرئ مسؤولية أعماله ولا يحملها غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾.

٢ - لا ينبغي أن نلقي مسؤولية المعصية التي نرتكبها على الآباء أو الأصدقاء أو المحيط الذي نعيش فيه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾.

٣ - حساب كل إنسان وكتابه في القيامة على حدة، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾.

٤ - الذنب ثقل، ﴿وَزَرَ... مُثْقَلَةٌ...﴾.

٥ - ليس للعلاقات الرحمية أي تأثير في يوم القيامة على مصير الإنسان، ولا يتحمل الرحم والأقارب شيئاً من وزر الإنسان، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾.

٦ - الخشية والصلاة باب لقبول الإنسان الهدى، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ...﴾.

٧ - التزكية تتحقق عن طريق التقوى والصلاة، ﴿يَخْشَوْنَ... وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ... تَزَكَّى﴾.

٨ - فائدة التزكية ونفعها لنفسه، ﴿لِنَفْسِهِ﴾.

٩ - قد لا يتلقى الإنسان نفعاً من التزكية في هذه الدنيا، ولكنه سيتلقى ذلك في الآخرة حتماً، ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

١٠ - الوجود هادفٌ ويسيرٌ في حركة تكاملية، ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم

١ - من أفضل طرق التعليم والتربية أسلوب المقارنة بين السيء والقيح، الكمال والنقص، ﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى...﴾.

٢ - طريق الحق واحد، ﴿النُّورُ﴾ ورد بصيغة المفرد، ولكن طرق الباطل كثيرة، ﴿الظُّلُمَاتُ﴾.

﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِ الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

□ «الحرور» هو الريح الحارة والمحركة.

□ ورد في هذه الآيات تشبيه المؤمن والكافر والمقارنة بينهما بأربعة أشياء؛ ونتيجة ذلك أن المؤمن يختلف عن الكافر في الشخصية وفي المصير.

فالمؤمن يبصر والكافر أعمى.

والمؤمن نور والكافر ظلمة.

والمؤمن ظل والكافر حرور.

والمؤمن حي والكافر ميت.

□ المؤمن في حالة سير وحركة؛ لأنه يبصر بعينه الحقيقة، وله نور، وله نفس مطهرة، وقلب حي. وأما الكافر فلا يريد أن يرى الحقيقة وبسبب قسوة قلبه لا يؤمن بها، وبسبب ظلمات جهله وتعصبه لا يسير في طريق الحق.

التعاليم

١ - المؤمنون أحياء القلوب ولهم الحياة الحقيقية. فالإيمان سبب لحياة الفرد والمجتمع، والكفر سبب لموت الفرد والمجتمع، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾.

٢ - رسالة النبي ﷺ رسالة تحذير لا إيجاب، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

٣ - شرط تأثير الدعوة أن يكون الناس مهيبين لذلك، وإلا فدعوة النبي لن تؤثر في غير المستعد، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم

١ - الله ﷻ حق، وشريعته التي أنزلها على أنبيائه تقوم على أساس الحق، ﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٢ - الخوف والرجاء معاً يشمران، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

٣ - على الرغم من أن وظيفة الأنبياء التبشير والإنذار، ولكن لغفلة الناس كان الإنذار أسبق، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

٤ - لا تخلق الأرض من حجة الله ﷻ، ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ

الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ «الزبر» جمع «زبور» وهي الكتب التي لها أهميتها.

التعاليم

- ١ - الاطلاع على ما عانى منه الآخرون يحفز على التحمل والصبر، ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ﴾.
 - ٢ - كان الأنبياء ﷺ مزودين بوسائل الهداية، ﴿يَالْبَيِّنَاتِ وَيَالزُّبُرِ وَيَالْكِتَابِ﴾.
 - ٣ - تكذيب الأنبياء كان عن عمد، وعناداً، ومع العلم بمضمون الدعوة، ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ... جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَيَالزُّبُرِ وَيَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.
 - ٤ - عذاب الله بعد إتمام الحجة، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ... ثُمَّ أَخَذْتُ﴾.
 - ٥ - بيان عذاب الله ﷻ للكفار، عقاباً لهم، فيه تسليّة لأتباع الحق، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾.
 - ٦ - العذاب الإلهي، قد ينزل بالإنسان في الدنيا، فلا يظنّ الكفار أنهم في مأمن من العذاب، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
 - ٧ - الكفر سبب للهلاك، ﴿أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
 - ٨ - إظهار القدرة لازم. عذاب الكفار، كان مخوفاً وعجيباً، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.
 - ٩ - خذوا العبرة من مصير مجتمعات الكفر، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- «الجدد» جمع «جدة»، و«جادة» بمعنى «الطريق»، «بيض» جمع «أبيض»، «حمر» جمع «أحمر»، و«سود» جمع «أسود».
- «الغرابيب» بمعنى الأسود المعتم، ولعل إطلاق العرب تسمية الغراب على الطائر المعروف لأن لونه أسود.
- وإن تعرضت الآية لألوان ثلاثة فقط هي: الأبيض، الأحمر والأسود؛ إلا أنها شملت الألوان كافة بجملة: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

التعاليم

- ١ - أيقظوا وجدان الناس بتوجيه السؤال إليهم، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٢ - الخطاب للنبي ﷺ خطاب للناس كافة، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾.
- ٣ - جعل الله ﷻ نظام الوجود على أساس العلة والمعلول. فسبب نبات الأرض هو الماء، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِمَاءٍ﴾.
- ٤ - يخرج الله ﷻ من الماء، الذي لا لون له، والأرض، ذات اللون الواحد، ثمراً مختلفاً ألوانه، ﴿ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ مَخْلِفًا أَلْوَانُهُ﴾.
- ٥ - الخطوط مختلفة الألوان في الجبال ليست صدفة، ﴿جُدُدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ... وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

إشارات

- «الأنعام» جمع «نعم» وهي الإبل؛ ولكنها تطلق أيضاً على البقر والغنم. وكلمة «دواب» تشمل هذه الحيوانات وغيرها مما يدب على الأرض، إلا أنها ذُكرت بشكل مستقل بالنظر إلى أهميتها للإنسان.
- الخشية هي الخوف عن تعظيم وعلم ومعرفة.
- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال: يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم^(١).
- مفاد هذه الآية إن العلم هو سبب الخشية من الله ﷻ، وفي الآية ٢٨ من هذه السورة ورد أن الخشية من الله ﷻ هي سبب الإيمان بالأنبياء. إذاً العلم سبب

للإيمان بالأنبياء. وعليه فلو وجدنا عالماً لا يؤمن ووجدنا عواماً يؤمنون، فهذا دليل على أن العلم الذي يتحدث عنه القرآن الكريم يختلف عن العلم الاصطلاحي، أي مجرد معرفة بعض المعلومات، بل المراد من العلم معرفة الحقيقة وامتلاك النور والبصيرة والحكمة، والعلماء الذين لا يمتلكون التقوى هم جهلة بنظر القرآن الكريم؛ لأنهم يجهلون عظمة الخالق، يجهلون الرسالة والتكليف في الدنيا، ويجهلون الهدف من خلقهم ويجهلون مصيرهم ويوم القيامة.

□ كنتُ مع العلامة الطباطبائي في حرم الإمام الرضا عليه السلام وقلت له: عندما كنت في بدايات تحصيلي العلمي كنت متى دخلت إلى الصلاة اعتراني البكاء والخشوع؛ ولكني الآن وبعد أن تعلمت أصلي في غفلة، فما مفاد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؟ فقال: العلم الذي لديك بعض المعلومات والمحفوظات، ولو كان لديك العلم الحقيقي لزداد ذلك من عبوديتك.

التعاليم

١ - اختلاف الألوان في البشر وفي الحيوانات دليل سعة القدرة الإلهية وعظمتها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ... تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُمْ﴾.

٢ - الإنسان، من الناحية الجسدية والمادية، في رتبة سائر الكائنات الحية، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ﴾.

٣ - العلم بأسرار الوجود سبب للوصول إلى خشية الله تعالى، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ... الْعُلَمَاءُ﴾.

٤ - العلماء غير المتقين لم يصلوا إلى العلم الحقيقي، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

٥ - أهل العبادة كثر، وأما الذين يصلون إلى مقام الخشية فهم العلماء فقط، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أن العباد الذين يخشون الله هم العلماء، وكأن هذه الآية في مقام بيان سيماء العلماء الحقيقيين وهي: الأنس بالقرآن، إقامة الصلاة، الإنفاق عن إخلاص؛ لأنهم ينفقون سراً وعلانية ولو كانوا يُراوون لأنفقوا علانية فقط.

□ «تبور» من «البوار»، أي الكساد الشديد في التجارة. ولأن ذلك موجب لتلف البضاعة وفسادها أطلق عليها البوار.

□ في الآية السابقة ورد ﴿يَخْشَى اللَّهَ﴾ وفي هذه الآية ورد ﴿يَرْجُونَ﴾، نعم أولياء الله ﷻ يعيشون بين الخوف والرجاء^(١).

□ وردت الصلاة إلى جانب الزكاة في العديد من المواطن:

- ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢).

- ﴿يُمْسِكُونَ إِلَٰكِيٍّ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣).

- ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(٤).

خصائص التجارة مع الله ﷻ

١ - إن ما لدينا من رأسمال (الصحة، والعلم، والعمر، والمقام، والمال، وغير ذلك) هو من الله ونحن نبيعه له. نعم، لو أن ولداً أخذ من أبيه أرضاً ومواد بناء وبنى بيتاً، وبعد ذلك أراد بيعه، فجاءه المشترون وكان الأب واحداً منهم، فإن العقل والوجدان يحكما بأن يباع البيت للوالد لأن بيعه لغيره ليس لائقاً.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٠

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٩.

٢ - الله ﷻ يعطي الجنة الأبدية ثمناً، ولكن الآخرين مهما بذلوا من ثمن فهو ضرر وخسارة لأنه ثمن بخس وزائل.

٣ - إن الله ﷻ يقبل القليل، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾؛ ولكن الآخرين لا يرضون بالقليل.

٤ - الله ﷻ يستر العيوب لأنه غفور، ويشتري الشيء ناقصاً. ولذا نقرأ في الدعاء: «إِلَهِي إِنْ كَانَ فِيهَا خَلَلٌ أَوْ نَقْصٌ مِنْ رُكُوعِهَا أَوْ سُجُودِهَا فَلَا تُؤَاخِذْنِي وَتَفْضَلْ عَلَيَّ بِالْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

وفي دعاء رجب: «خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلا لك»^(٢).

التعاليم

١ - تلاوة القرآن الكريم وإن كانت مستحبة إلا أنها وردت قبل الواجبات، ﴿يَتْلُونَ... أَقَامُوا... وَأَنفَقُوا﴾.

٢ - العلم والثقافة مقدمة للعمل، ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ... أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

٣ - من يؤمن عن يقين وعشق، فصلاته وإنفاقه حتمي، (فقد استخدم الفعل «يتلون» بصيغة المضارع وهذا يدل على الاستمرار، واستخدم فعلاً الإنفاق والصلاة، بصيغة الماضي وهذا يدل على التحقق وعدم الشك فيه).

٤ - لا بد من أن تترن الصلاة بالإنفاق على أهل الحاجة، ﴿أَقَامُوا... وَأَنفَقُوا﴾.

٥ - رزق الإنسان عطاء من عند الله ﷻ، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

٦ - إذا علمنا أن كل ما يملكه الإنسان هو من عند الله ﷻ فلن نبخل بالإنفاق، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

٧ - الإنفاق هو إنفاق جزء من المال، وأما الباقي فلأنفسكم، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (حرف الجر «من» للتبعية).

٨ - الإنفاق لا يكون بالمال فقط، بل بمعونة الناس بالعلم والجاه والقدرة، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

٩ - الإنفاق يكون سراً وعلانية، (في الإنفاق سراً يخلص الإنسان، في الإنفاق علناً ترغيب للناس)، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، نعم الإنفاق سراً أفضل، ولذا ذُكر قبل الإنفاق علانية، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

١٠ - رجاء النجاة يتوقف على الفكر، والعمل، والإنفاق، وإلا فالرجاء دون عمل وهم لا أكثر، ﴿يَتْلُونَ، أَقَامُوا، وَأَنْفَقُوا، يَرْجُونَ﴾.

١١ - العلم، والخشية من الله (تعرضت لهما الآية السابقة)، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق، كلها تبعث على الرجاء ولا تعني الاستحقاق، ﴿يَرْجُونَ﴾.

١٢ - ما من خسارة محتملة على الإطلاق في التجارة مع الله ﷻ، ﴿يَحْزَنُوا لَنْ تَبُورَ﴾.

١٣ - لا تظن أن مالك سوف ينفذ بالإنفاق، ﴿يَحْزَنُوا لَنْ تَبُورَ﴾.

١٤ - الدنيا سوق في الرؤية الإسلامية، الإنسان هو البائع، والنعم الإلهية هي البضاعة، واختيار المشتري بيد الإنسان، فقد يتاجر مع الله ﷻ، وقد يختار غير الله للتجارة.

﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

إشارات

□ يظهر التفضل الإلهي على الإنسان في جميع كلمات هذه الآية:

الثواب التام، ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ﴾.

على الرغم من أن البضاعة منه، والتوفيق للعمل منه، فالأجر أيضاً من عنده، ﴿أَجُورَهُمْ﴾.

زيادة الفضل والثواب من عنده، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾.

التعاليم

- ١ - العمل لأجل نيل الثواب الإلهي لا يتنافى مع الإخلاص، ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾.
- ٢ - يعطي الله ﷻ الأجر وزيادة، ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ﴾.
- ٣ - كمال الأجر وزيادته مرتبط بصفة من صفاته سبحانه وهي الشكور، ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ... شُكْرُ﴾.
- ٤ - يقدر الله ﷻ سعي الإنسان ويستر عيوبه؛ لذا علينا نحن أيضاً أن نقدر للناس خدماتهم ونعفو عن هفواتهم، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

التعاليم

- ١ - ليس في القرآن الكريم كلام باطل، أو خرافة، أو جزاف، أو بلا دليل، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾.
 - ٢ - معيارُ حقانية أيِّ كلام وكتاب هو القرآن الكريم، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾.
 - ٣ - الكتب السماوية بعضها يصدق بعضها الآخر، ﴿مُصَدِّقًا﴾.
 - ٤ - الله ﷻ خبير بحاجة البشر إلى الوحي وخبير بكون النبي ﷺ جديراً بتلقي الوحي، (خبير أي بالباطن، بصير أي بالظاهر)، ﴿بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.
- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

إشارات

□ ما نختاره في المراد من هذه الآية الشريفة من بين الأقوال المتعددة، وهو

القول الذي يتوافق مع الروايات، هو التالي: إن الله ﷻ يقول: إن هذا القرآن أورثناه من بعد النبي ﷺ للمصطفين من عبادنا وهم الأئمة المعصومون ﷺ من ذرية السيدة الزهراء ﷺ، فلدى هؤلاء علم القرآن، فبعض العباد ظالم، وبعضهم مقتصد، وبعضهم، وهم أهل بيت النبي ﷺ، هم السابقون إلى الخيرات، والمصطفون هم هذه الطائفة الثالثة فحسب، لا الطوائف كافة.

□ ورد في روايات عدّة عن الأئمة المعصومين ﷺ: «نحن الذين اصطفانا الله ﷻ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء»^(١).

التعاليم

- ١ - القرآن وحده لا يكفي بل لا بد له من حافظ ومنفذ لتعاليمه، ﴿أَوْثَرْنَا أَلِكْتَبَ﴾.
- ٢ - من له حق تحميل المسؤولية الدينية للعباد هو الخبير بحال عباده، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْبَادُوهُ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ... ثُمَّ أَوْثَرْنَا أَلِكْتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾.
- ٣ - نحن سبب الحرمان من الاستفادة من نور القرآن الكريم، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ... وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾.
- ٤ - شرط تلقي الميراث القرآني، السبق إلى فعل الخيرات جمعياً لا إلى الإتيان ببعضها فقط، ﴿بِالْخَيْرَاتِ﴾.
- ٥ - الاختيار الإلهي يصدر عن حكمة. وإنما يرث القرآن الكريم وعلومه من كان سابقاً بالخيرات، ﴿سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ﴾.
- ٦ - الظلم من الإنسان نفسه، ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، ولكن التوفيق والسبق للخيرات بإذن الله ﷻ، ﴿سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- ٧ - ميراث القرآن الكريم فضل كبير من الله ﷻ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّقُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾

إشارات

□ كلمة «أساور» جمع «سوار» وهو معرب (دستواره) وهي من الكلمات الفارسية الدخيلة على اللغة العربية^(١).

التعاليم

- ١ - لتعدد النعم وتنوعها أهميته، ﴿جَنَّتٌ﴾.
- ٢ - لا ينبغي لنا أن نغفل عن عنصر الترغيب، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ... يُحَلَّقُونَ﴾.
- ٣ - ثواب الحرمان المؤقت، النعيم الدائم، (إذا كان الذهب والحرير محرمان على الرجال في أيام هذه الدنيا المعدودة، فإن لهم التمتع بهما في الجنة)، ﴿يُحَلَّقُونَ... مِنْ ذَهَبٍ﴾.
- ٤ - المعاد جسماني، (الذهب واللؤلؤ من زينة البدن المادي)، ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾

التعاليم

- ١ - شعار أهل الجنة الحمد لله، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٢ - ليس في الجنة هم ولا حزن، ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.
- ٣ - في الجنة، مضافاً إلى النعيم المادي الذي ذكرته الآية السابقة، نعيم معنوي، وهو سرور النفس، ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.
- ٤ - الجنة يرثها العباد بعفو الله ﷻ ومغفرته، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٥ - العفو عن الهفوات والذنوب وتقدير عباد الله شأن من شؤون الربوبية، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٦ - لأهل الجنة مكانة يقدرها الله ﷻ لهم ويشكرهم عليها، ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (٢٥)

إشارات

□ «النصب» بمعنى «التعب»، و«لغوب» بمعنى «العجز» و«الضعف» وقد يطلق أحياناً بمعنى الضجر.

□ في الدول المتقدمة وفي العوائل المترفة قد تجد الرفاهية؛ ولكنك لا تجد الهدوء، ولكن أهل الجنة في نعيم دائم وفي سرور وهم عن الحزن والضجر بعيدون.

التعاليم

١ - الجنة أبدية، ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾.

٢ - يرى أهل الجنة أن النعم هي من فضل الله ﷻ لا استحقاق بسبب العمل، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.

٣ - الحزن والغم لا ينال أهل الجنة حتى مماسة، ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾.

٤ - طول العمر في ما يزيد عن الحد في هذه الدنيا موجب للتعب والنصب، أما في الجنة فلا وجود للتعب ولا للحزن، ﴿لَا يَمَسُّنَا... نَصَبٌ... لُغُوبٌ﴾.

٥ - السرور في الجنة وسكينة النفس أمر حتمي، (يستفاد هذا المعنى من تكرار ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا

كَذَٰلِكَ يُجْزَىٰ كُلُّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

□ إلى جانب وعد أهل الجنة ثمة وعيد لأهل النار لكي يعيش الإنسان المتعادل بين الخوف والرجاء.

□ لأهل جهنم طلبان، فتارة يقولون: ﴿لَيْقُضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(١)، ويأتي الجواب بقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، ومرة أخرى يقولون: ﴿يُخَفَّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٢)، ويأتي الجواب في هذه الآية: ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾.

التعاليم

- ١ - من وصل من درجة الكفر إلى درجة الكفور، وسد أبواب السعادة بتمامها أمامه، فإن أبواب النجاة كلها سوف تسد في وجهه؛ وحينئذ سوف يتمنى الموت لا تخفيف العذاب، ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ﴾.
- ٢ - الكفر نوع من كفران النعمة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا... كُلَّ كَفُورٍ﴾.
- ٣ - ليس الشخص هو المهم بل الصفة، ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٧)

إشارات

- «الصراخ» هو رفع الصوت والعيول، أو لطلب العون والمساعدة.
- ورد في الآيتين السابقتين الحديث عن أن أهل الجنة يعيشون الهدوء والسكينة؛ وفي هذه الآية يجري الحديث عن حالة أهل النار من الصراخ والعيول وطلب العون.

التعاليم

- ١ - لا ينبغي الاهتمام بكل صراخ وعيول، فطلب المجرم غير مقبول، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.
- ٢ - العمل غير الصالح هو الذي يجعل الإنسان من أهل جهنم، ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾.

- ٣ - سوف يعترف المجرمون في يوم ما بعجزهم ونيبون، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا...﴾.
- ٤ - الآخرة ليست موضع تدارك ما ضاع، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ...﴾.
- ٥ - يظن كثير من الناس في هذه الدنيا أنهم يعملون صالحاً، ولكنهم في يوم القيامة يدركون أنه لم يكن صالحاً، ولذا يقول هؤلاء: أخرجنا نعمل صالحاً غير ما كنا نعمل، ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.
- ٦ - يعطي الله ﷻ الإنسان من العمر بالمقدار الذي يُتِمُّ فيه الحجة عليه، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ﴾.
- ٧ - تضييع الفرص سبب لإلحاق الظلم بالنفس، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ... فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.
- ٨ - الهدف من العمر التذكر، والإنسان الغافل كأنه لم يعمر، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ... فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.
- ٩ - التذكر الموسمي لا ينفع، لأن كل مجرم ومذنب يتذكر لحظة ولكن النافع هو التذكر المستمر، ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾.
- ١٠ - لا عذاب إلا بعد النذير، ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُرُوا﴾.
- ١١ - من لا يبالي بتحذير الأنبياء وإنذارهم ظالم، ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ... فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ١٢ - لا ينفع الكفار شفاعة، ودعاء، وصراخ، ولا غير ذلك، ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ ذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٨)

إشارات

□ في الآيات السابقة ورد: الحديث عن وراثة الكتاب، كما تعرضت الآيات لمن يدخل الجنة ولمن يدخل النار، وفي هذه الآية حديث عن سعة العلم الإلهي وأنه يشمل الغيب وما في الصدور.

التعاليم

١ - من أضاع الفرص في هذه الدنيا، ولم يأت بعمل صالح، وفي الآخرة لجأ إلى الصراخ والعيول لكي يخرج من جهنم ليعمل صالحاً، ليس صادقاً في قوله، ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٢ - الإيمان بأن الله ﷻ بكل شيء عليم أهم سبب رادع للإنسان عن المعصية، ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا حَسَارًا﴾ (٣٩)

إشارات

□ المراد من كون الإنسان خليفة في هذه الآية أحد أمور ثلاثة: خلافة الأمم والأقوام السابقة، خلافة أبناء آدم للإنسان الذي كان قبل خلقه آدم، خلافة الإنسان لله ﷻ.

□ «المقت» بمعنى الغضب الشديد وقد استعمل في القرآن الكريم في موارد أربعة:

١ - الكفر، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ... إِلَّا مَقْتًا﴾.

٢ - الزنا، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا﴾^(١).

٣ - القول بلا عمل، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

٤ - الكلام الذي لا دليل عليه، ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٣).

(٣) سورة غافر: الآية ٣٥.

(١) سورة النساء: الآية ٢٢.

(٢) سورة الصف: الآية ٣.

التعاليم

- ١ - خلافة الإنسان في الأرض لا بد من أن تكون سبباً للشكر لا للكفر، ﴿جَعَلَكُمْ خَلِيفَ... مَنْ كَفَرَ﴾، (أي إنكم أيضاً إلى زوال وسوف يستخلف الله ﷻ قوماً آخرين مكانكم فلا تكفروا في هذه الأيام المحدودة من هذه الدنيا).
- ٢ - كفر الإنسان يعود بالضرر عليه ولا يضر الله شيئاً، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.
- ٣ - لا ينبغي أن يحمل الكفار كفرهم لغيرهم من آباء أو مجتمع، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.
- ٤ - خطر الكفر وآثاره السلبية ليست محدودة، بل هي في ازدياد في كل لحظة، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا... إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ٥ - الكفر بنفسه سبب للخسران، وإن لم يصدر من الكافر أي عمل سيئ، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ٦ - بيان آثار الذنوب سبب للردع عن الذنوب، ﴿مَقْتًا... خَسَارًا﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ
الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٤٠﴾

التعاليم

- ١ - النبي الأكرم ﷺ مأمور بمحاورة الكفار، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - ايقظوا وجدان الناس بتوجيه السؤال إليهم، ﴿أَرَأَيْتُمْ... أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾.
- ٣ - الإسلام دين الدليل والمنطق، ﴿أَرَأَيْتُمْ... أُرُونِي... فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾.
- ٤ - التحدي والمواجهة ليست في كتاب التشريع فقط إذ يقول: ﴿قَاتِلُوا سُورَةَ﴾، بل في كتاب التكوين والخلق كافة، ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾.
- ٥ - ليس للمشركين من منطق ولا دليل، لا عقلي ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ ولا نقلي ﴿أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا﴾.

- ٦ - كل ما لا منطق فيه ولا دليل هو غرور، ﴿إِنْ يَعِدُ... إِلَّا غُرُورًا﴾.
- ٧ - المشركون ظالمون، ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾، وغد الظالمين غرور وشعارهم غرور، ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾.
- ٨ - يعتمد الشرك على الدعاية والوعد الغرور، ﴿إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.
- ٩ - الغرور قد يصدر من أي أحد، ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ فقد يقوم الأفراد العاديون والضعفاء، ومن خلال اعتماد أسلوب التملق والتزلف، بجر من هو أعلى منهم شأنًا إلى الانحراف، وقد يقوم بعض الأفراد من ذوي القوة باستخدام لغة التهديد، والوعد، والوعيد، والشعارات الكاذبة لأجل إجبار الناس على الالتزام بالطاعة العمياء لهم، ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾
 إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾

إشارات

- بين الحلم الإلهي وإمساك عالم الوجود وحفظه علاقة، كما إن بين معتقدات العباد وأعمالهم وزوال نظام الوجود علاقة. وتشير هذه الآية إلى القضية الأولى ولذا تنتهي هذه الآية بقوله: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾، لكن في سورة مريم الآيات ٨٨ إلى ٩٠ نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِزُّ لِبَالٍ هَذَا﴾.
- يمسك الله ﷻ السموات والأرض بعظمته: ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وكذلك الطير الصغير في الهواء، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾^(١).
- ورد في الروايات وبالسنة عدة أن الله ﷻ يمسك السموات والأرض بأوليائه والأئمة، وأنه لولا الإمام لساخت الأرض بأهلها^(٢).

(١) سورة الملك: الآية ١٩.

(٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

- ١ - مكان السموات والأرض وحركتهما في مدارهما خاضع للإرادة الإلهية وهو الذي يمسكهما في كل آن، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.
- ٢ - الظواهر الكونية في حدوثها وفي بقائها واستمرارها تتوقف على القدرة واللفظ الإلهيين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٣ - النظام الحاكم في عالم الوجود هو من عند الله ﷻ ولم يتحقق صدفة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٤ - الأبدية تختص به وعالم الوجود قابل للزوال، ﴿زَالَتَا﴾.
- ٥ - لولا الحلم الإلهي لَهَوَتِ الكواكب في السماء على المذنبين، ﴿يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ... كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، (عند قيام الساعة فإن نظام الشمس والقمر والأرض سوف يختل، وعليه فما يمنع من اختلاله في هذه الدنيا هو الحلم الإلهي).
- ٦ - الله ﷻ الذي يحفظ عالم الوجود؛ إنما يمهل الكفار من باب الحلم لا العجز، ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾.

﴿وَأَنسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْتِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى
مِّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٢٧)

إشارات

- ورد في التفسير أن المشركين عندما سمعوا أن اليهود كلما جاءهم نبي جادلوه ولم يؤمنوا به، أقسموا بأنهم ليسوا كذلك وأنهم إذا جاءهم رسول فإِنَّهم يسلمون له ويؤمنون به دون جدال، وأنهم سوف يكونون أهدى من سائر الأمم ولكن لما جاءهم الرسول لم يجد منهم إيماناً ولا تسليماً، بل جدالاً وعناداً.
- نسأل الله أن لا يكون بعض منتظري الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) اليوم، من مصاديق الآية، فهم يدعون الانتظار ثم عندما سيأتي سيتجاهلون مجيئه.

التعاليم

- ١ - يؤمن المشركون بالله ﷻ ويقدسونه ويقسمون به، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾.
- ٢ - لا يمكن الاعتماد على كل حلف، ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ... فَلَمَّا جَاءَهُمْ...﴾.
- ٣ - عليك بالعمل لا بالقول، والدعاوى كثيرة والعمل قليل، ﴿أَقْسَمُوا... إِلَّا نُفُورًا﴾.
- ٤ - لهداية الناس لا بد من استخدام أسلوب الترغيب والترهيب، ولكن الإنذار أنفع للمجتمعات الضالة، (كلمة نذير تكررت مرتين).

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣)

إشارات

□ «التبديل» يعني وضع شيء مكان آخر، كالتييم بدل الغسل، ولكن «التحويل» يعني التصرف في الزمان، أو المكان، أو الشكل، الذي كان عليه الشيء دون المجيء ببديل له.

□ لو أن الطبيب وصف للمريض دواءً ولكنه بدل أن يشربه رمى به جانباً، وأخبر الطبيب بأنه قد شربه فقد يظن أنه بذلك خَدَعَ الطبيب، مع أنه لم يخدع إلا نفسه، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

التعاليم

- ١ - ما يدفع الناس إلى رفض دعوة الأنبياء إما الاستكبار وإما المكر، (لعل الاستكبار من قبل الكفار والمكر من قبل المنافقين، ولعل الاستكبار يكون مكرًا من المستكبر)، ﴿أَسْتَكْبَارًا... وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾.
- ٢ - نتيجة المكر ترجع إلى الإنسان نفسه، (عقوبة التكبر والمكر لا تصل إلى غيره)، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.
- ٣ - جعل الله ﷻ سنناً وقوانين ثابتة في المجتمع وهي تجري في كافة الأمم

والمجتمعات، كسنة الاختبار، سنة إمداد المؤمنين، وسنة رد مكر الماكرين. نعم حسن العاقبة، وسوء العاقبة، والعزة، والسقوط في المجتمع إنما يتحقق في ظلّ اتباع السنن الإلهية أو تركها، ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْثًا لِّمَن تَرَكَهَا، وَفَلَنَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْثًا لِّمَن تَرَكَهَا... تَحْوِيلًا﴾.

٤ - للتاريخ قانون ونظام ثابت، (فالنظر إلى مرحلة من التاريخ يمكنه أن يضيء لنا ما يجري في المراحل الأخرى)، ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْثًا لِّمَن تَرَكَهَا، وَفَلَنَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْثًا لِّمَن تَرَكَهَا... تَحْوِيلًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (١٤)

إشارات

□ تنمة للآية السابقة تحدث هذه الآية عن ان على الناس أن يسيروا في الأرض لينظروا ويتعرفوا بذلك على السنن الإلهية في التاريخ، وعاقبة المستكبرين.

التعاليم

١ - يدعو الإسلام إلى السياحة في الأرض لأجل اكتساب التجارب، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.

٢ - السياحة في الأرض لا بدّ من أن تكون لغاية ولهدف، ﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾.

٣ - تاريخ الماضين من مصادر معرفة السنن الحاكمة على المجتمعات، (الماضي ينير لنا المستقبل)، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٤ - يوصي الإسلام بزيارة الأماكن الأثرية، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا...﴾.

٥ - لا تلاحظوا المظاهر التي كان المستكبرون يعيشونها، بل لاحظوا العاقبة التي وصلوا إليها، ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

٦ - لا ينبغي للإنسان أن يغتر بقوته، فإن من كان أشد قوة منه كانت عاقبته الزوال، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

٧ - لا شيء يغلب إرادة الله ﷻ وقدرته، ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُعْجِزَهُ﴾.

٨ - الله ﷻ عليم بالمستكبرين وقادر عليهم، ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبَتْ أَلَهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ يَبْكَادُهُ بِصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

إشارات

□ ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في المناجاة: «كان جزائي في أول ما عصيتك النار»^(١).

التعاليم

١ - إذا صدر الحكم فإن أحداً لن يبقى، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ... مَا تَرَكُوا... مِنْ دَابَّةٍ﴾.

٢ - الذنب الذي يترتب عليه العقوبة هو ما كان عن علم وعمد، ﴿يُؤَاخِذُ... بِمَا كَسَبُوا﴾.

٣ - فلسفة تأخير عقاب الناس من الدنيا إلى الآخرة، بقاء النسل البشري واستمرار الحياة على الأرض، ولو أن الله ﷻ كان يعذب الناس على ذنوبهم لأهلكهم ولما بقي بشر على هذه الأرض، ولانقرض النسل البشري، ﴿مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

٤ - الله ﷻ صبور، أهل العفو والمغفرة والإمهال، ولا يجازي الناس على جرمهم فوراً بل يؤخرهم، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٥ - الموت والفرص والإمهال كلها تجري بإرادة الله ﷻ وفقاً لحساب وكتاب، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٦ - مدة عمر الإنسان محددة مسبقاً، ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٧ - ليس إهمال الله ﷻ لعباده إهمالاً؛ بل تأخير مجازاتهم إلى القيام سنة من السنن الإلهية، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٨ - إهمال الله ﷻ عباده فعل يصدر عن علم وبصيرة، ﴿يَعْبَادِهِ بِصِيرًا﴾ (فِعْشَرَاتِ الْمَلَائِكِينَ مِنَ النَّاسِ وَفَقُّوْا لِلتَّوْبَةِ بَعْدَ سِنَوَاتٍ مِّنْ ارْتِكَابِ الذَّنُوبِ، وَأَصْلَحُوا مَا فَعَلُوهُ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَهْلَكَهُمْ فَوَرَّ ارْتِكَابَهُمْ لِلذَّنُوبِ لَكَانُوا جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ).

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْيَاسِيْنَ

السورة: ٣٦ الجزء: ٢٢ - ٢٣

عدد الآيات: ٨٣



ملاحح سورة يس

سورة يس مكية، وعدد آياتها ثلاث وثمانون آية، وسميت باسم أول آية منها، والتي تتكون من الحروف المقطعة.

تتضمن محاور هذه السور المعتقدات، وقد ورد توصية بتعليمها الأبناء وإهداء ثواب تلاوتها للأموات.

تبدأ هذه السورة بالشهادة بالرسالة للنبي محمد ﷺ وتعرض لرسالة ثلاثة من أنبياء الله ﷺ.

في قسم من هذه السورة إشارة إلى آيات عظمة الله ﷻ في عالم الوجود والتي هي دلائل على التوحيد، وفي قسم آخر منها تتعرض لمسألة المعاد وما يتعلق بها، والحساب في يوم القيامة، وخصائص الجنة وجهنم.

ورد في الروايات أن سورة (يس) هي قلب القرآن^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾

إشارات

- ورد في بعض الروايات أن «يس» هو اسم من أسماء النبي ﷺ.
- كلمة «حكيم» قد تكون بمعنى ذي «الحكمة»، وقد تكون بمعنى «المحكم»، كآية الأولى من سورة هود، التي تقول: ﴿أُتِيكَتْ بَيْنَهُمْ﴾، أي إن آيات القرآن محكمة.
- الطريق المستقيم ليس هو الطريق الذي يصل الإنسان إلى المقصود منه بعد طيه، بل هو الطريق الذي يصل في كل جزء منه إلى مقصد؛ كتحصيل العلم فكلما تقدم الإنسان فيه وصل إلى مقدار ونصيب منه.
- مقابل أنواع التهم التي كان يطلقها الكفار على النبي ﷺ نحو: شاعر، وكاهن، وساحر، ومجنون، فإن الله ﷻ يؤكد نبوته من خلال القَسَم بالقرآن الكريم.

التعاليم

- ١ - لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم، وهو محكم وثابت، ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٢ - قَسَمَ الله ﷻ بالقرآن يكشف عن عظمة القرآن وقديسيته، ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٣ - لا بد في مواجهة التهم بالباطل من الدفاع التام، ومن كافة الجوانب، وبالشكل السليم، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٤ - رجال الله ﷻ على مر التاريخ لم يكونوا وحدهم، بل كان ملائكة الله ﷻ إلى جانبهم، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٥ - سبيل الأنبياء هو سبيل الله ﷻ، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، ﴿إِنَّكَ... عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (الطريق المستقيم هو طريق الله ورسوله).

٦ - للوصول إلى النجاح وللتوفيق لا بد من توافر أمور ثلاثة:

أ - البرنامج المدون، ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾،

ب - القائد، ﴿لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾،

ج - الصراط المستقيم، ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٧ - يجب أن يكون أساس العقيدة متيناً ومحكماً. (الله حكيم، والقرآن حكيم، والنبي معلم الحكمة)، ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾، ﴿وَيَعْلَمُهَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٥﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾

التعاليم

١ - الله ﷻ عزيز بالنسبة إلى الكافرين به، ورحيم بالنسبة إلى أوليائه، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ - مصدر نزول القرآن قدرة الله ﷻ ورحمته، ومن يتمسك به يصل إلى عزة الله ﷻ ورحمته، ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

٣ - الإنذار هو الهدف من بعثة الأنبياء، ﴿لِنُنْذِرَ﴾.

٤ - الإنذار سنة إلهية، ﴿مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ (وهذه السنة باقية حتى لو لم يتأثر بها بعض الناس وبقوا في حالة الغفلة).

٥ - أساس التبليغ والإنذار وعماده هو تعاليم القرآن الكريم، ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِنُنْذِرَ﴾.

٦ - إنذار القرآن الكريم أيضاً يقوم على أساس رحمة الله ﷻ، ﴿الرَّحِيمِ لِنُنْذِرَ﴾.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧﴾

إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾

إشارات

□ «الأذقان» جمع «ذقن»، ومقمحون من «قمح البعير»، بمعنى رفع البعير رأسه،

أي كما أن البعير متى عرض الماء عليه رفع رأسه عنه، كذلك حال أهل الباطل فإنهم متى عرض عليهم الحق رفعوا رؤوسهم ولم يخضعوا للحق.

□ المراد من الأغلال في أعناقهم إما عقابهم في الآخرة كقوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِيَ أَعْنَاقِهِمْ﴾^(١)، وإما تلك العقائد الخرافية التي هي كالأغلال الثقيلة الموضوعة على أعناقهم، كآية ١٥٧ من سورة الأعراف وقد ورد فيها: ﴿وَيَصْنَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ نعم فوظيفة الأنبياء رفع الأغلال التي تكبل الناس وتقيدهم.

□ المراد من «القول» هو أمر الله بتعذيب أتباع الشيطان وإدخالهم إلى جهنم، وذلك بقربنة، قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

التعاليم

١ - أكثر الناس في غفلة، فهم لا يميلون إلى الحق، ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾.

٢ - مخالفة الأكرية لا ينبغي أن تشني المبلغ والداعية إلى دين الله عن أداء مهمته، ﴿أَكْثَرُهُمْ... لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣ - الغفلة سبب للكفر، ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ - إن الله ﷻ وإن جعل في أعناق الكفار أغلالاً، ولكنهم هم سبب ذلك، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِيَ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَهُمُ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٣)

إشارات

□ على الرغم من أن القرآن الكريم ثابت ويعلم الناس الحكمة، وأن رسالة

النبي ﷺ يقينية، وأن طريق الدين مستقيم، وأن الله ﷻ قوي رحيم، إلا أنه لما كان أكثر الناس في غفلة، ولا يؤمنون، ومكبّلون بالخرافات؛ لذا فإنهم من أي مكان ذهبوا سوف يصلون إلى سد محكم وطريق مسدود.

□ بينت الآية الكريمة خصائص المعاندين وعلاماتهم المميّزة لهم، بشكل دقيق وملفت:

أولاً: الغفلة، ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، ولأجل غفلتهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ثانياً: الخرافات أغلال في أعناقهم، ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالٌ﴾، وكالبعير الجموح يتمنعون من قبول الحق ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾، وهم في حصار من كل جانب ﴿سَكَّاءُ﴾ وتحول الحجب المسدلة بينهم وبين الحقيقة من صحة الرؤية عندهم.

□ لعل المراد من: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءُ﴾ طول الأمل عند الناس فيما يتعلّق بالمستقبل، والمراد من ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَكَّاءُ﴾، الغفلة عن الذنوب التي صدرت منهم في الماضي، فالآمال والغفلة هما سببا منع الإنسان من رؤية الحق.

□ تعرضت هذه الآيات لعقاب جماعتين من أهل الانحراف، ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا... وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً﴾.

التعاليم

١ - مع وجود مئات الأنوار التي تضيء له الطريق إلا أنه يضل الطريق، دعه كي يقع ويرى سوء عمله، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً﴾.

٢ - أهل الغفلة الذين لا إيمان لهم لا يعتبرون بما جرى على الكفار من قبلهم، ﴿خَلْفَهُمْ﴾ ولا بالمعجزة والدليل والبرهان الذي بين أيديهم، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣ - الكافر في طريق مسدود، ﴿سَكَّاءُ﴾.

٤ - من أساليب التبليغ تشبيه المعقولات بالمحسوسات، ﴿سَكَّاءُ﴾.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ
الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾

إشارات

- المراد من الذكر بملاحظة الآيات الأخرى هو القرآن الكريم، وكما ورد في الآية التاسعة من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.
- بعض الكفار والمشركين لا قابلية لهم للهدى إطلاقاً، ولا أثر للإنذار النبي في نفوسهم، أما الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وأما المشركين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^(٢).
- المراد من قوله تعالى: ﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾، إما الخوف من الله في داخله، وإما الخوف من الله ﷻ في الأماكن الخفية بعيداً عن أعين الناس، وإما الخوف من الله ﷻ فيما يرجع إلى يوم القيامة والذي هو من الغيب.
- كلما وقف الإنسان أمام شخص عظيم فإن هيبة ذلك الشخص تجعل الإنسان يضطرب ويخشاه، وهذه الحالة تختلف تماماً عن حالة الخوف الناشئ من العقاب والعذاب.

التعاليم

- ١ - ذو القلب الأسود لا تنفعه المواعظ، كالسمار الحديدي في الصخر، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾.
- ٢ - حساب إتمام الحجة منفصل عن حساب تأثير الكلام في الناس، (على الرغم من أن احتمال التأثير منتف في حق بعض الناس ولكن على النبي إنذارهم لإتمام الحجة عليهم)، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾.
- ٣ - القرآن أساس الذكر، واتباعه وسيلة لكي يتذكر الإنسان ما نسيه ولا يبقا فطرته من غفلتها، ﴿اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٣.

- ٤ - سعة الرحمة الإلهية، لا تعني عدم الخشية، ﴿وَحِشْيَ الرَّحْمَنِ﴾.
- ٥ - الإيمان بالغيب علامة الإيمان والخشية الحقيقية، ﴿بِالْغَيْبِ﴾.
- ٦ - الخوف والرجاء لا بدّ من أن يكونا معاً. ففي عبارة: ﴿وَحِشْيَ الرَّحْمَنِ﴾ رجاء وخوف.
- ٧ - الخوف من الله مهم في الخلوات، لا في الظاهر وأمام الملاء، فحسب ﴿وَحِشْيَ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ﴾.
- ٨ - وظيفة الأنبياء الإنذار: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ...﴾؛ والتبشير: ﴿بَبَشِيرَةٍ﴾.
- ٩ - إنما يتلقى البشرى بالجنة مَنْ استجاب لإنذار الأنبياء فتذكر، ﴿تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ... فَبَشِيرَةٍ...﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

- كل ما يصدر من الإنسان يثبت في صحيفة عمله، ويحضر له في يوم القيامة بصورة كتاب. وهذه الكتب على ثلاثة أنواع:
- أ - الكتاب الشخصي: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾^(١).
- ب - كتاب الأمم: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ نُّدْعِي إِلَيْكِ كِتَابًا﴾^(٢).
- ج - الكتاب الجامع: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(٣).
- كلمة «إمام» تطلق على الكتاب أيضاً: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا﴾^(٤)، وعلى بعض الأشخاص: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٥)، وقد ورد في الروايات أن

(٤) سورة هود: الآية ١٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(١) سورة الإسراء: الآية ١٤

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٣) سورة البروج: الآية ٢٢.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو مصداق الإمام المبين؛ لأن كل العلوم جمعت لديه^(١).

□ ذكر أكثر المفسرين أن المراد من الإمام المبين هو اللوح المحفوظ وهو الذي أطلق عليه القرآن الكريم تسمية (أم الكتاب)، ولما كان هذا الكتاب يحوي العلوم كافة، وكل شيء وكل أحد تابع لما قُدِّر فيه فقد أطلق عليه تسمية ﴿إِمَارٍ﴾^(٢).

التعاليم

١ - يجب مواجهة العقائد المنحرفة للكفار بالحسم وبلغة واضحة وصريحة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ﴾.

٢ - الموتى كلهم يعودون إلى الحياة في يوم القيامة، ﴿نُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

٣ - كتاب أعمال الإنسان يبقى مفتوحاً بعد موت الإنسان إلى يوم القيامة، ﴿وَنُكْتُبُ... وَءَاتُرَهُمْ﴾.

٤ - ما يكتب ليس هو الأعمال فقط بل آثار العمل أيضاً، وفي يوم القيامة يحاسب على كل شيء، ﴿وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتُرَهُمْ﴾، (سواء أكانت آثار خير كالوقف، والصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به الناس، أو آثار شر كتأسيس مراكز الفحشاء).

٥ - حسابنا في يوم القيامة على الله تعالى، ﴿إِنَّا، نَحْنُ، نُحْيِي، وَنُكْتُبُ، أَحْصَيْنَاهُ﴾.

٦ - الإنسان لا يتحمل مسؤولية عمله فحسب بل هو مسؤول عن آثار عمله أيضاً، ﴿وَأَتُرَهُمْ﴾.

٧ - حساب الله تعالى في غاية الدقة، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾.

٨ - المحكمة الإلهية بينة أمام الناس كافة، ﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

إشارات

□ تتعرض هذه الآية وما بعدها إلى الآية السابعة عشر لقصص عدد من الأنبياء المرسلين من الله ﷻ لهداية الناس.

□ ذكر المفسرون أن المراد من القرية في هذه الآية هو مدينة أنطاكية، وهي من مدن الروم القديمة وهي الآن تقع في الأراضي التركية ومن المدن التجارية المعروفة. ومن مجموع هذه الآيات الثمانية عشرة يظهر أن الذين كانوا يقيمون في هذه القرية كانوا يعبدون الأصنام، وأن رسل الله جاؤوا لدعوتهم إلى توحيد الله ومواجهة الشرك.

التعاليم

- ١ - تاريخ الماضين أفضل درس عبرة للآتين، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾.
- ٢ - لا بد للمربي والمبلغ من أن يكون مطلعاً على التاريخ، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾.
- ٣ - ثمة أصول وقوانين ثابتة حاکمة على المجتمع ومصير الناس، ويمكن استشراف مصير المجتمعات على أساسها. نعم السنن الإلهية ثابتة ولا تختلف باختلاف الناس، الأمم، الزمان والمكان، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾.
- ٤ - أفضل الأمثلة التي تضرب هي الأمثلة الواقعية والخارجية لا الافتراضية التخيلية، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾.
- ٥ - المهم في سرد القصص العبرة، وأما اسم القرية، القوم، اللغة، العرق وعدد سكانها فهو ليس بهمهم، ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾.
- ٦ - كان الأنبياء يتجهون إلى الناس ولا ينتظرون مجيء الناس إليهم، ﴿جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾
 قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾
 قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا لَلْأَلْبَلُغِ الْمِيثُ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ بعض الناس يؤمنون بوجود الله ﷻ ولكنهم ينكرون النبوة، ويدعون أن الله ﷻ أعطانا العقل ولا حاجة بنا إلى الوحي. وهذا الاعتقاد الخاطئ يرجع إلى عدم امتلاك معرفة صحيحة بالله ﷻ، كما ورد في آية أخرى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)

التعاليم

- ١ - قد يلزم أن يتولّى الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف أكثر من شخص واحد، ﴿أَرْسَلْنَا... اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.
- ٢ - العناد داء لا دواء له، (أدى إلى تكذيب الأنبياء)، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾.
- ٣ - بمجرد تكذيب الأعداء لا ينبغي أن ترفع يدك عن السعي للوصول إلى هدفك، بل عليك أن تعزز قدراتك، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.
- ٤ - قد يرسل الله ﷻ أكثر من نبي لقوم في زمان واحد، ﴿اثْنَيْنِ... بِثَالِثٍ﴾.
- ٥ - عدد المبلغين مرتبط بمدى حاجة المجتمع، ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.
- ٦ - في علم الإدارة: إذا أوكلت إلى شخص مهمة ما فلا تتركه، بل عليك أن تقدم له العون والمدد، ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.
- ٧ - كثرة الأفراد من ذوي الأهلية سبب للعزة، ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.
- ٨ - العزة والذلة بيد الله ﷻ، وإن كان ثمة واسطة من أفراد أو أسباب، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾.

- ٩ - لا بد في الإدارة من تعزيز القوى بنحو مستمر، ﴿يَا لَيْتَ﴾.
- ١٠ - لم ير الكفار الكمالات كلها، وإنما كانوا ينظرون إلى الأشياء بحسب الظاهر فقط، ﴿بَشِّرْ مَثَلًا﴾.
- ١١ - يرى بعضهم أن التكليف والأمر والنهي مخالف للرحمة الإلهية، ويظن هؤلاء أن معنى الرحمة الحرية دون قيد أو شرط وترك الإنسان وشأنه، ﴿وَمَا أُنْزِلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾.
- ١٢ - مقابل الإنكار المتكرر من الأعداء لا بد من أن نجعل القلوب تسكن وتطمئن بذكر الله ﷻ، ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ...﴾.
- ١٣ - وظيفة الأنبياء الدعوة والبلاغ والبيان، ولا يضمن الأنبياء النتائج، ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨)
 ﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ﴾ (١٩)

إشارات

- التطيّر هو من الخرافات القديمة، ولا تزال هذه الخرافة موجودة إلى اليوم في الشرق والغرب، ولكل قوم وفي كل منطقة أشياء يتطيرون بها. والإسلام يرى ذلك من الشرك وقد حسم ذلك بعبارة: «الطيرة شرك»^(١)، وكفارة ذلك التوكل على الله ﷻ، «كفارة الطيرة التوكل»^(٢).
- للتطير آثار سيئة منها: سوء الظن بالناس، ترك العمل، تلقين الهزيمة والإحساس بالمهانة. وأسوأ أنواع الطيرة التطير بالمقدسات وبأولياء الله ﷻ.

التعاليم

- ١ - لا بد من الرد وبوضوح على كل كلام باطل، ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ ﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٣٢٢.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ١٩٨.

- ٢ - سلاح الكفار: التكذيب، ﴿فَكَذَّبُوهُمْ﴾؛ التحقير، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ والتهديد، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.
- ٣ - الطيرة من تقاليد الجاهلية وأعرافها، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.
- ٤ - من لا دليل لديه يتمسك بالخرافات، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.
- ٥ - الانحراف الفكري مقدمة للانحراف العملي، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ... لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.
- ٦ - الكفر سبب لقسوة القلب والجرأة على الأنبياء، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.
- ٧ - ليس للكفار من منطق أو دليل في مواجهة دليل الأنبياء ومنطقهم؛ لذا يلجأون إلى التكذيب والتهديد، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ...﴾.
- ٨ - وظيفة الأنبياء التنبيه من الغفلة وإيقاظ الفطرة في نفوس الناس، ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾.
- ٩ - من مظاهر الإسراف الظلم والطغيان، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.
- ١٠ - أساس السوء في الطغيان والإسراف، لا في الإيمان بالله ﷻ وبالأنبياء، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اثْنِئَا اْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
اَثْنِئُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ اَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

التعاليم

- ١ - البعد عن السكن في المدينة لا يعني البعد عن الثقافة والعلم، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾.
- ٢ - ليس لحماية الحق من حد أو مكان، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾.
- ٣ - لعل من الواجب أحياناً على الإنسان أن يتحرك وحده ويصدق بالحق، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله»^(١).

- ٤ - لا ينبغي لبعد المسافة أن يكون مانعاً من نصرة الحق، ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾.
- ٥ - الدفاع عن الحق لا بد له من دافع وفعل لا عنوان واسم، ﴿رَجُلٌ﴾.
- ٦ - حماية الحق لا بد من أن يكون بعزم، وسرعة، ومنطق، وعاطفة، ﴿يَسْتَعِي... يَلْقَوْر... وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.
- ٧ - كسر جدار الصمت والصدع بالحق في البيئة المنحرفة لأجل حماية إمام الحق مما يشي الله ﷻ عليه، ﴿قَالَ يَلْقَوْر﴾.
- ٨ - الإخلاص في الدعوة شرط لجذب الناس، ﴿أَتَتُوا مَن لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا﴾، فلا ينبغي لمن يدعو إلى الحق أن يطلب الأجر من الناس.
- ٩ - لا بد لمن يهدي الناس من أن يكون من المهتدين، ﴿أَتَتُوا... مُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢) ﴿أَتَأْخُذُ مِن دُونِهِ ۚ إِلَهًا إِن يُرِيدَنَّ الْرَحْمَنُ يُضَرَّ لَا تَفْنَىٰ شَفَعْنَاهُمْ لَكَ وَلَا يَفْذُونَ﴾ (٢٣) ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥) ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۚ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿يَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٧)

إشارات

□ ورد في تفسير مجمع البيان أن هذه الآية تتحدث عن واقعة جرت في زمان النبي عيسى عليه السلام، إذ ذهب اثنان من حواريه إلى أنطاكية لدعوة الناس إلى الحق، وفي الطريق صادفوا حبيب النجار فآمن بهما بعد أن رأى معجزتهما.

وقد دخل حواريو عيسى عليه السلام إلى المدينة ولكن الناس لم يؤمنوا بدعوتهما وكذبوهما، فأرسل النبي عيسى عليه السلام أحد كبار حواريه (شمعون) ليعينهما في دعوتهما الناس وقد تمكن من خلال اكتساب قلب ملك تلك المدينة من أن يجعله من المؤمنين وتبعه أكثر الناس فآمنوا بالله ﷻ.

وهذه الرواية وردت في كتب التفسير الأخرى أيضاً؛ ولكنها لا تنسجم مع النص القرآني من جهتين: أولاً، لأن ظاهر آيات القرآن الكريم أن الله ﷻ أرسل

نبياً إلى هؤلاء القوم، ولم يرسل حوارتي نبي. وثانياً، إذا كان أكثر الناس قد آمنوا فلماذا يعذبهم الله ﷻ؟^(١)

□ ورد في الروايات أن من جاء من أقصى المدينة ناصراً لرسل الله ﷻ في مدينة أنطاكية هو حبيب النجار، ويقال له: «صاحب يس» أيضاً، وهو كمؤمن آل فرعون الذي جاء لنصرة موسى ﷺ^(٢).

□ مدينة أنطاكية اليوم تقع في تركيا في لواء يعرف بلواء إسكندرون، وهي قريبة من مدينة حلب السورية. وهي المدينة الثانية المقدسة عند المسيحيين بعد بيت المقدس.

التعاليم

- ١ - من لا يعبد الله الذي خلقه يُدان في محكمة الوجدان، ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ﴾.
- ٢ - من أساليب دعوة الآخرين بيان المعتقدات بأسلوب منطقي مستدل، ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي...﴾.
- ٣ - أساس العبودية يكمن في الإيمان وتذكر المبدأ والمعاد، ﴿فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾.
- ٤ - أسلوب المقارنة من أفضل الأساليب والطرق التعليمية. والله ﷻ هو الذي خلقنا، وأما الأصنام فلا تنفعنا بشيء، ﴿فَطَرَنِي... لَا تُقْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾.
- ٥ - الضرر الذي يلقيه الإنسان هو في ظل إرادة الله ﷻ وفي مدار رحمته، ﴿إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضَرٍّ﴾.
- ٦ - تذكر الله ﷻ يكفي فيه أن يتصور الإنسان أن يتلى ببعض المصاعب الشديدة غير العادية، ﴿إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضَرٍّ﴾.
- ٧ - لكي لا تجرح عواطف الناس اضرب نفسك مثلاً، ﴿إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضَرٍّ﴾.
- ٨ - أفضل طريق للدعوة العملية، ﴿إِذْ ءَامَنْتُ﴾.

- ٩ - الاستشهاد في سبيل الدفاع عن رسل الله وفي سبيل الأمر بالمعروف موغل في القدم، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.
- ١٠ - لا يفصل بين الشهادة ودخول الجنة شيء، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.
- ١١ - رجال الله حتى بعد موتهم أو شهادتهم يفكرون في أمر الأحياء، ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.
- ١٢ - الحياة والجنة البرزخيان قبل الجنة الموعودة، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.
- ١٣ - الشهادة سبب للمغفرة، ﴿يَمَّا غَفَرَ لِي﴾.

الجزء ٢٣

﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾^(٢٨)
 إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾^(٢٩)

إشارات

- تحدثت الآيات السابقة عن رجل سعى بمفرده لنصرة أنبياء الله ﷺ ونادى بذلك إلى أن استشهد. وهذه الآية في مقام بيان هلاك المعاندين من الكفار الذين كذبوا الأنبياء وقتلوا هذا الرجل.
- الخامد من الخمود أي انطفاء شعلة النار، والمراد هنا الموت والهلاك.

التعاليم

- ١ - الملائكة تؤمر بالعذاب الإلهي أو بالرحمة الإلهية، ونزولهم وعروجهم بأمر الله ﷻ، ﴿وَمَا أُنزِلْنَا... جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.
- ٢ - العذاب الإلهي يأتي فجأة، فلا تغفل، ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.
- ٣ - قد يصاب بالفناء بلد وسكانه بسبب قتلهم مؤمناً بريئاً ومجاهداً ومبلغاً لدين الله ﷻ، ﴿هُمَّ خَامِدُونَ﴾.
- ٤ - القوى الكبرى التي كانت تنادي بالأمس: ﴿لَنَرْجُمَنَّكَ وَلَيَسْتَكُنَّ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٌ﴾، أصابها الفناء بصيحة واحدة، ﴿هُمَّ خَامِدُونَ﴾.

﴿يَحْزَنُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٠)

التعاليم

- ١ - الإنسان الذي يتمكن من اتخاذ موقف حق من أن يكون منادياً بالحق أو ينال السعادة باتباع الأنبياء، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُوفِينَ﴾ لماذا يجعل نفسه محلاً للعذاب بعناده وكفره، ﴿يَحْزَنُ...﴾
- ٢ - العناد سبب العمى عن الحق، وطريق الكمال، ومقدمة للحسرة، ﴿يَحْزَنُ...﴾.
- ٣ - الاطلاع على الحوادث المريرة في التاريخ ضماناً لهذا الإنسان، ﴿يَحْزَنُ... مَا يَأْتِيهِمْ﴾.
- ٤ - الاستهزاء بالأنبياء عادة جرى عليها الكفار على مر التاريخ، ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ٥ - تعرض الأنبياء كافة للاستهزاء، ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾، (فعلى المبلغ لدين الله أن يتوقع جراحات الألسن).

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١)
 وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

إشارات

□ كلمة «قرن» وطبقاً لتفسير نمونه (الأمثل) تطلق على المدة من الزمن، كما تطلق على القوم الذين يعيشون في زمان معين.

التعاليم

- ١ - من لا يقرأ التاريخ قراءة تفكر، ولا يعتبر بمصير الماضين ملام، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٢ - السنن الإلهية التاريخية ثابتة، والمصائر متشابهة، وتكفي مشاهدة واحدة من تلك الحوادث لمعرفة ما سيجري، ﴿أَلَمْ يَرَوْا...﴾.

- ٣ - نقل التاريخ فيه تهديد للمجرمين وبت للطمأنينة في نفوس سالكي طريق الحق، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.
- ٤ - الهلاك هو مصير من يستهزئ بالأنبياء، ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ... أَهْلَكْنَا﴾.
- ٥ - بعد نزول عذاب الله لا طريق للرجوع وجبر ما فات، فالفرص قد ضاعت من اليد، ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.
- ٦ - هلاك الكفار ليس هو نهايتهم، بل بداية عذابهم، ﴿لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ﴾.
- ٧ - تُجمع الناس كافة في مكان واحد في يوم القيامة، ﴿كُلُّ... جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَأَيُّهُمْ أَلْأَرْضُ أَلَيْتَهُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾

إشارات

□ تحدثت الآية السابقة عن أنّ الناس جميعاً سوف يحيون يوم القيامة، ليحضرُوا أمام رب العزة، وهذه الآية تبين الدليل على المعاد والحياة بعد الموت.

التعاليم

- ١ - كل بذرة تزرع في الأرض وتنبت هي كالميت الذي يُبعث من قبره يوم القيامة، ﴿وَأَيُّهُمْ أَلْأَرْضُ﴾.
- ٢ - لإثبات كون ما نقوله حقاً، علينا الاستدلال بنماذج على ذلك، ﴿وَأَيُّهُمْ أَلْأَرْضُ﴾.
- ٣ - أفضل دليل يساق لعامة الناس ما يكون دائماً، عاماً، لا يمكن إنكاره، بسيطاً، وفي كل مكان، ﴿وَأَيُّهُمْ أَلْأَرْضُ﴾.
- ٤ - أفضل طريق للإيمان بالمعاد التفكير في ظواهر الخلق، ﴿أَلْأَرْضُ أَلَيْتَهُ أَحْيَيْنَهَا﴾.
- ٥ - القسم الرئيس من طعام الإنسان يتكون من الحبوب والتأمل فيها باب لمعرفة الله ﷻ، ﴿وَأَيُّهُمْ... حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

□ أكثر الفاكهة ذكراً في القرآن الكريم اثنان: العنب والتمر، وهذا نظراً لما فيهما من مواد غذائية، أو لتوافرها لدى الإنسان، أو لاختلاف أنواعها، أو للاستفادة منها رطبة وجافة أو لجهات أخرى.

□ وردت مفردتا (نخيل) و(أعناب) بصيغة الجمع، لأن فيهما أنواعاً كثيرة.

التعاليم

- ١ - الدور الأول في الغذاء هو للحبوب وبعده تأتي الفاكهة، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا... وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾.
- ٢ - المعرفة والشكر هي وظيفة الإنسان أمام النعم، (الله ﷻ أحيا الأرض الميتة وأخرج منها حباً وثماراً وجعلها تحت يد الإنسان ليأكلها ويشكر ربه)، ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ... أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.
- ٣ - صناعة مختلف المشتقات من الثمر مما يرضى به القرآن، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾.
- ٤ - بيان النعم سبب لإيجاد روح الشكر في الإنسان، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

□ من المعجزات العلمية في القرآن الكريم بيان قانون الزوجية في كل شيء، النبات، الإنسان. والناس في ذلك الزمان وإن لم يحيطوا بذلك ولكنهم اليوم يعرفونه. ففي عصر نزول القرآن الكريم كان الناس يدركون قانون الزوجية في النخل، ولكن اليوم ثبت أن قانون الزوجية يعم النبات كافة.

التعاليم

- ١ - الشكر علامة الوعي، فالله ﷻ غني عن شكرنا، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ... سُبْحَنَ اللَّهِ﴾.
- ٢ - لا تجعل قانون الزوجية في المخلوقات يجري على الذات الإلهية، فهو واحد لا مثل له، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.
- ٣ - الخلق والمخلوقات آية القدرة الإلهية، الإرادة والحكمة، ولا يدل على الحاجة والنقص، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾.
- ٤ - ظهور الحب والشمير يتم عن طريق الزوجية، ﴿مِنْ تَمَرِهِ... خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.
- ٥ - الإنسان في المسائل الجسمانية والجنسية كسائر المخلوقات، ﴿وَمِمَّا تُثِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٦ - في عالم الوجود بعض الموجودات التي لا ندرك نحن البشر كيفية زوجيتها، ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا... وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ الْيَلُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠)

إشارات

□ «العرجون» هو قسم من سعف النخل المتصل بشجرها، ويتخذ شكل قوس بعد مدة من الزمن.

□ برهان النظم يستفاد من هذه الآية، وهو أحد أدلة إثبات وجود الله ﷻ.

□ إلفات نظر الناس إلى حركة الشمس والقمر، حدوث الليل والنهار، والتغيرات التي ترى في القمر، سباحة الكواكب والنجوم في السماء، مدارات الكواكب، عدم اصطدام الكواكب وسيرها بنظام دقيق، متصف بالعلم والحكمة، يدل على

اهتمام الإسلام بعلم الهيئة، وقد أدى إلى إيجاد فضاء مناسب لدراسات العلماء على مر التاريخ.

التعاليم

- ١ - الليل من آيات قدرة الله ﷻ وحكمته، ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾.
- ٢ - ثبوت برنامج واحد على مر التاريخ دون أي خلل يدل على وجود منظم حكيم وعليم، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
- ٣ - حدوث الليل والنهار ليس صدفة بل بتدبير الله ﷻ، ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.
- ٤ - مدار حركة الشمس والقمر نُظِمَ بنحو لا يصطدمان ببعضهما، ولا يؤدي إلى الإخلال بحركة الليل والنهار، ﴿لَا الشَّسُّ يَبْغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾.
- ٥ - خلافا للنظرية التي كانت ترى الشمس ثابتة، يتحدث القرآن الكريم عن حركة الشمس بنحو محدد، ﴿تَجْرِي لِمْسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.
- ٦ - لا يمكن لأحد أن يحدث خللاً في النظام الحاكم على الكون، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ...﴾.
- ٧ - تشبيهات القرآن الكريم لا تتقدم، فحركة القمر شَبَّهت بحركة سعف النخل، ﴿عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾.
- ٨ - تتحرك الكواكب كافة في مداراتها، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.
- ٩ - حركة الكواكب تجري في مداراتها بسرعة، ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ السباحة كناية عن الحركة السريعة.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ١١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ١٢ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ١٣ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ١٤﴾

إشارات

□ تعرض القرآن الكريم مراتٍ عدة لحركة الفلك في البحر والحيوانات التي خلقها

الله ﷻ بعنوان كونها نعماً إلهية؛ ولكنه في هذه الآية ذكرها بوصفها وسيلة لحمل ذرية الإنسان، لكي يدرك بعقله وعاطفته النعم الإلهية، ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. □ في عالمنا اليوم لو أن السفن المحملة بالنفط، والقمح، والمواد الغذائية، والموجودات في البحار، والمحيطات لم تتمكن من الحركة فإن حياة الإنسان تتعطل. مضافاً إلى أن نقل المتاع عن طريق البحر هو الأقل كلفة للبضائع الكبيرة والثقيلة.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ هو الذي خلق الماء بطريقة تسمح للإنسان بتسيير السفن فيه، وهذا من آيات قدرة الله ﷻ، ﴿وَأَبَءُ... أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.
- ٢ - المركب ووسائل النقل التي هي من ضروريات الحياة البشرية، هي نعمة خاصة تدل على اللطف والتدبير الإلهيين، ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.
- ٣ - يد الله ﷻ مطلقة في العذاب. فلا ينبغي أن نغتر بإهماله، ﴿وَلَن نَّشَأَ نَفَرِقَهُمْ﴾.
- ٤ - إذا نزل عذاب الله ﷻ فما لهم من نصير؛ لذا لا ينبغي بالإنسان أن يشعر بالأمن التام، ﴿وَلَن نَّشَأَ نَفَرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾.
- ٥ - لا نظن في أي آن أن نجاتنا تكون بمعونة الأسباب المادية، ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾.
- ٦ - لكل نفس أجلها، وحياتنا لها حد محدود، ﴿وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

□ أشارت الآيات السابقة إلى النعم الإلهية ولو دققنا النظر فيها لوجدنا أنها تدل على قدرة الله ﷻ وحكمته ولطفه. وتحدث هذه الآيات عن أن العناد من الإنسان يصل حداً لا يعتبر من الآيات ولا يستمع إلى الموعظة، ولهؤلاء

يقال: كفوا عن فعل ما يكون سبباً لاستحقاقكم العقاب في الدنيا والعذاب في الآخرة، لكي يعفو الله ﷻ عنكم ويشملكم لطفه.

التعاليم

- ١ - أتموا الحجة على الناس بالأمر بالمعروف، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَنْقُوا﴾.
- ٢ - التقوى هي سرّ تلقي الرحمة الإلهية، ﴿أَنْقُوا... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.
- ٣ - لإتمام الحجة عليكم تقديم أنواع من الاستدلال، ﴿ءَايَاتٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾.
- ٤ - آيات الله ﷻ كثيرة جداً، ولكن الناس قليلاً ما يؤمنون، ﴿ءَايَاتِ رَبِّهِمْ... عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
أَنْطَعِمُ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

- من لا يمتلك رؤية صحيحة أو لا يريد أن يتحمل المسؤولية، فإنه سوف يلقي كل انحراف عاشه أو عمل سيء قام به على غيره:
- ١ - تارة يتهم الله ﷻ بالتقصير، فلولا إرادته لم يكن من المشركين، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾^(١)، ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾^(٢).
 - ٢ - وتارة يتهم المجتمع بالتقصير، فلولا هؤلاء الكبراء ما أشركنا، ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).
 - ٣ - وتارة يتهم الآباء بالتقصير، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾^(٤).
- وفي هذه الآية أيضاً يقول: إن الله ﷻ لو أراد لأطعم الفقراء، وهو يغفل عن أن الله ﷻ جعل إطعام الفقراء من مسؤولية الأغنياء.

(٣) سورة سبا: الآية ٣١.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٢٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٢٠.

□ سؤال: لماذا لا يرزق الله ﷻ الفقراء ويأمر الناس بالإِنفاق؟

الجواب: كمال الإنسان في العفو، والإيثار، والسخاء، والمحبة، وعدم الإسراف، والألفة، والتعاون، والسؤال عن الناس. ولو أن الناس كافة كانوا على مستوى واحد في الإمكانيات، فلا طريق لبروز هذه الكمالات ولا طريق للقناعة والصبر والزهد لدى المحرومين.

التعاليم

- ١ - تذكُر أن ما لدينا هو من رزق الله، وليس ملكاً لنا، يُسهّل على الإنسان عملية الإنفاق، ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.
- ٢ - الكفر سببٌ للامتناع عن الإنفاق، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... أَنْطَعِمُ﴾.
- ٣ - الكافر يجعل من رزق الله وسيلة للاستهزاء، ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَطَعَمَهُ﴾.
- ٤ - الإنفاق علامة الإيمان، (لأن ترك الإنفاق عد من صفات الكفار)، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... أَنْطَعِمُ﴾.
- ٥ - يصل الإنسان حداً يرى فيه أن الكفر والبخل هو الحق وأن الإيمان والإنفاق هو الباطل، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

التعاليم

- ١ - ليس للكفار من دليل على إنكار المعاد، ويكتفون بتوجيه السؤال عن زمان وقوع الساعة، وبلغ الاستهزاء، ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.
- ٢ - عدم تعيين زمان وقوع أمر لا يدل على عدم وقوعه، ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾.
- ٣ - القيامة وعد إلهي، ﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾.
- ٤ - يظن الكفار أن الأنبياء والمؤمنين كاذبون، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

- ٥ - القيامة تقع فجأة، فلماذا الغفلة والاستهزاء؟! ﴿صَيْحَةً وَجِدَةً﴾.
- ٦ - متى قامت القيامة تخرس الألسن، وتنسد أبواب الفرار، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِبَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.
- ٧ - قيام القيامة بعد صيحة واحدة، ﴿صَيْحَةً وَجِدَةً﴾.
- ٨ - تقوم القيامة وتنتهي هذه الدنيا والناس في حالة جدال وخصام، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.
- ٩ - العلاقات الدنيوية وتعلق القلب بها لا ينفع. فإن هذا كله يصبح هباء لحظة قيام القيامة، ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (٥١) قَالُوا يَنُودُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣)

إشارات

□ تعرض القرآن الكريم لوجود نفختين في الصور؛ إحداهما صيحة الموت والفناء، والأخرى صيحة البعث والقيامة.

والمراد من النفخ في الصور في هذه الآية هو النفخة الثانية التي هي نفخة البعث وإحياء الأموات.

□ «الأجدات» جمع «جدث» وهو القبر. «ينسلون» من «النسلان»، وهو الخروج بسرعة، و«المرقد» اسم مكان من «الرقاد» بمعنى محل الاستراحة، والمراد منه هنا القبر.

□ ورد عن الإمام الباقر أن قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ هو خطاب الملائكة لأهل القيامة^(١).

التعاليم

- ١ - تبدأ القيامة بالصوت المسموع الذي يحصل من النفخ في الصور، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾.
 - ٢ - المعاد جسماني والأجساد تخرج من هذه القبور، ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ... يَنسِلُونَ... بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾.
 - ٣ - إحياء الناس في يوم القيامة يتم بسرعة فائقة وبيسر وسهولة، ﴿وَنُفِخَ... فَإِذَا هُمْ﴾.
 - ٤ - الحركة السريعة علامة على اضطراب الناس وهيجانهم في يوم القيامة، ﴿يَنسِلُونَ﴾.
 - ٥ - يوم القيامة يوم حسرة الكفار، ﴿يَوْلَنَّا﴾.
 - ٦ - القيامة ساحة يستيقظ فيها الناس فيقرون ويعترفون، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.
 - ٧ - قيام القيامة والحساب من لوازم صفة الرحمان في الله ﷻ، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.
 - ٨ - يجمع الناس كافة في مكان واحد في يوم القيامة، ﴿بِجَمْعٍ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.
 - ٩ - الحضور في يوم القيامة ليس اختيارياً، ﴿مُحْضَرُونَ﴾.
- ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

□ هذه الآية تبين تجسم الأعمال في يوم القيامة؛ لأن الآية تتحدث عن أن الجزاء هو العمل نفسه الذي ارتكبه الإنسان، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ ولكنه لو قال: بما كنتم تعملون، لكان معناه أن العقاب أو الثواب بسبب ما كنتم تعملون.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ عادل، والقيامة يوم ظهور العدل الإلهي وهي تجل من تجليات

العدل، ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾؛ (أصعب أنواع العذاب يكون عدلاً أيضاً).
 ٢ - الثواب والعقاب في يوم القيامة على أساس عمل الإنسان في الدنيا، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِبُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِيهَةٌ وَهُمْ تَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- «شُغْلٍ»، بمعنى الأمر الذي يشغل الإنسان بنفسه. «فاكهون» من «الفكاهة» بمعنى الكلام الموجب للسرور.
- «أرائك» جمع «أريكة» وهي التخت المزين في غرفة العروس.
- السلام في الجنة يكون من كل جانب؛
- فالله ﷻ يسلم: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾.
- والملائكة تسلم: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١).
- وأهل الجنة يسلمون: ﴿يَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٢).

التعاليم

- ١ - لا بطالة في الجنة، ﴿فِي شُغْلٍ﴾ («شغل» وردت بالتثنية ونكرة بمعنى المشغلة التي لا يمكن إدراك كنهها ولا يمكن وصفها).
- ٢ - لا حزن ولا غم في الجنة، ﴿فَنَكِهُونَ﴾.
- ٣ - في الجنة: حياة بلا موت، صحة بلا مرض، شباب دون هرم، عزة بلا ذلة، نعمة بلا بلاء، بقاء بلا فناء، سرور بلا غضب، وأنس بلا وحشة، ﴿فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾.

(١) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠.

- ٤ - لا وحدة في الجنة، ﴿مُمْ وَارْزُجُمْ﴾.
- ٥ - الجنة مسكن يتوفر على الهدوء، ﴿فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْيَاكِ﴾.
- ٦ - الجلوس على الكرسي والتخت أفضل من الجلوس على الأرض، ﴿عَلَى الْأَرْيَاكِ مُتَّكِئُونَ﴾.
- ٧ - في الجنة أفضل غذاء، ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا فَكْهَةٌ﴾؛ («فاكهة» وردت نكرة للدلالة على كثرة ما ينالون من الفاكهة).
- ٨ - لا شيء محدود في الجنة، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مَا يَدْعُونَ﴾؛ (يدعون بمعنى أن كل ما يطلبونه ويتمنونه).
- ٩ - المعاد جسماني، (الكلمات: فاكهة، أزواج، آرائك تدل على أن القيامة تكون بالجسم المادي).
- ١٠ - يتلقى أهل الجنة السلام والرضا من الله ﷻ، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا...﴾.
- ١١ - تلقي السلام من الله ﷻ أمنية أهل الجنة، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مَا يَدْعُونَ، سَلَامٌ﴾.
- ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٢

إشارات

□ الفصل بين المجرمين والمحسنين من مقتضيات قانون العدل الإلهي، إذ قال تعالى: ﴿أَفَنَنْ كَانْ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١)، ولعل المراد من الفصل بينهم الفصل بين المجرمين أنفسهم، ووحدهم ووحشتهم لفراق بعضهم لبعضهم الآخر بما يزيد في عذابهم، كالحبس الانفرادي للإنسان في هذه الدنيا.

□ قوله تعالى: ﴿جِيلًا كَثِيرًا﴾، تطلق على العدد الكبير من الناس فشبه لعظمه بالجبل^(١).

□ عبادة الشيطان هي طاعته، وكما ورد في الحديث: «من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده»^(٢).

التعاليم

- ١ - يوم القيامة يوم الفصل والانفصال، ﴿وَأَمْتَرُوا أَلْوَمَ﴾.
- ٢ - أخذ الله ﷻ العهد من بني آدم عن طريق الأنبياء، والعقل، والفطرة، ﴿أَلَزَّ أَهْمَدَ إِلَيْكُمْ﴾.
- ٣ - الشيطان أضل آباءكم وأنتم أبناء من أضله الشيطان، ﴿يَبْنِي ءَادَمَ... أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾.
- ٤ - الإنسان لا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون عبداً لله ﷻ أو أن يكون عبداً للشيطان، ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ... أَعْبُدُونِي﴾.
- ٥ - عداوة الشيطان ظاهرة، (فهو الذي جعلهم يؤمنون بأن الحجر والخشب هي الإله، ولا شك ولا إيهام في كون ذلك انحرافاً وضلالاً)، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.
- ٦ - الصراط المستقيم الذي ندعو الله ﷻ في الليل والنهار في صلاتنا بأن يوفقنا للهداية إليه هو طريق عبادته، ﴿وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
- ٧ - خذوا العبرة من مصير الضالين، ﴿أَضَلَّ... جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.
- ٨ - التفكير في مصير من أضله الشيطان يفتح أمام الإنسان طريق النجاة من وساوس الشيطان وأشراكه، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «جبل».

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٧٩.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾

إشارات

□ ﴿أَصْلَوْهَا﴾ من «الصلي» بمعنى الاحتراق بنار جهنم، والإلقاء والبقاء فيها.

التعاليم

- ١ - أوعد الله ﷻ بجهنم مراراً؛ ولكن الكفار لم يصدقوا ذلك، ﴿تُوعَدُونَ... تَكْفُرُونَ﴾.
 - ٢ - أنتم الله ﷻ الحجة على أهل جهنم وأعلمهم على الدوام بخطر جهنم، ﴿كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.
 - ٣ - يدخل الكفار جهنم وهم في حالة ذلة ومهانة، (الأمر اصلوها للإهانة والإذلال).
 - ٤ - لن يخرج الكفار وأهل جهنم منها أبداً، ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾.
- ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٥﴾

إشارات

□ ذكر الأيدي والأرجل من باب المثال؛ لأننا نقرأ في آيات أخرى عن السؤال الذي يوجه لسائر الأعضاء كالأذن، والعين، والقلب^(١). بل حتى الجلود^(٢). فكل عضو يشهد بما فعل.

التعاليم

- ١ - الله ﷻ هو الذي يختم ويفتح. فالفم الذي هو وسيلة للكلام يختم عليه، ويجعل من الأيدي والأرجل تتكلم، ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾.

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سورة السجدة: الآية ٢٠.

- ٢ - المعاد جسماني، ﴿وَتَكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ﴾.
- ٣ - أعضاء الجسم غير تابعة لإرادة الإنسان في يوم القيامة، ﴿وَتَكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾.
- ٤ - أقوى شهود في المحكمة اعتراف المرتكب للجرم، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾.
- ٥ - لأعضاء البدن نوع من الإدراك والشعور بنحو تتمكن من الشهادة في يوم القيامة، ﴿وَتَكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصِرُّوكَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَنَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِصْيَا وَلَا يُرْجَعُونَ﴾

إشارات

□ إذا كانت الآيتان في سياق الآيات السابقة في شأن عذاب الكفار في يوم القيامة، فإن المراد منها بيان عجز الكفار في سعيهم للوصول إلى الجنة، وحيرتهم وضياعهم في ساحة المحشر. ولكن أكثر المفسرين ذكروا أن الآيتين تحدثان عن العقاب الدنيوي الذي يناله الكفار، وأن هذا نوع من التهديد للإنسان بأنه قد يفقد قوة النظر وبهذا لا يتمكن من معرفة الطريق إلى بيته ولا من العمل لتحصيل زرقه^(١).

التعاليم

- ١ - لا تظنن أن ما لديك يجب أن يكون أو أنه سيبقى خالداً لك، فلا تغفل عن عذاب الله ﷻ، وعن الغضب الإلهي، وتبدل النعم، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا﴾.
- ٢ - لا بد من معالجة أي حدث قبل وقوعه. فقبل نزول العذاب لا بد من أن يترك الإنسان حالة العناد، ﴿لَوْ نَشَاءُ... لَوْ نَشَاءُ...﴾.
- ٣ - كل مكان قد يكون محلاً لعذاب الله ﷻ، ﴿عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ﴾.

- ٤ - إذا جاء العذاب الإلهي فلن يتمكن أحد من تحمله، ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا...﴾.
- ٥ - قضت السنة الإلهية بترك الحرية للإنسان لكي يؤمن عن طريق النظر في الحقائق والاستماع إليها، لا أن يكون إيمانه عن طريق القهر والإجبار والإكراه، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُ﴾ (حرف «لو» يدل على أن سنة الله ﷻ ليست مسخ الناس وإجبارهم).

﴿وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة الحديث عن أن الله ﷻ يقدر على أن يطمس أعينهم، وهذه الآية تذكر نموذجاً من هذا التغيير الذي يصاب به الإنسان عندما يطعن في السن.

□ «ننكسه» من «التنكيس» وهو «الإسقاط»، والمراد من ذلك عودة الإنسان إلى حالة الطفولة. فيتبدل علمه جهلاً ونسياناً، قدرته ضعفاً، وسعة صدره ضيقاً، ويزداد حساسية وتسخو دمعته.

التعاليم

- ١ - العمر بيد الله ﷻ، ﴿تُعَمِّرْهُ﴾.
- ٢ - جرت السنة الإلهية على أن يكون كبر السن مع الانكسار، ﴿تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾، إن آثار طول العمر بيد الله ﷻ، فمتى أراد جعل لبعض الأفراد العمر الطويل، كنوح عليه السلام والمهدي (عجل الله فرجه) دون أن يصاب بالتنكيس.
- ٣ - على الإنسان أن يفكر بزوال النعم وضياعها، ﴿لَطَمَسْنَا، لَمَسَخْنَاهُ﴾ وكذلك عليه أن يفكر بحالات الضعف التي قد يصاب بها، ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

إشارات

□ اتهم النبي الأكرم ﷺ بأنه شاعر، مضافاً إلى اتهامه بأنه ساحر، ومجنون، وكاهن. مع أن الشعر يقوم على الخيال خلافاً للوحي.

والشعر يقوم على العواطف والأحاسيس خلافاً للوحي. والشعر فيه مبالغة خلافاً للوحي.

فالقرآن الكريم وإن كان يحتوي على جمل موزونة ومقطعة كالشعر، ولكن العنصر الرئيس في الشعر هو الخيال ولا طريق له إلى القرآن الكريم.

□ القرآن ذكر ليس إلا، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ ذكرٌ لقدرة الله وعذابه، ذكرٌ لألطف الله ونعمه، ذكرٌ لعفوه ومغفرته، ذكرٌ لسننه وقوانينه، ذكرٌ لأنبيائه وأوصيائه وأوليائه، ذكرٌ للتاريخ للاعتبار، ذكرٌ لأسباب نهضة الأمم وسقوطها، ذكرٌ للآباء والمهدين، ذكرٌ للمجرمين، والكفار، والفساق، والظلمة، وعاقبتهم، ذكرٌ للإخلاص، والإيثار، والشجاعة، والإنفاق، والصبر، وعاقبة المحسنين، ذكرٌ للقتل، والتعذيب، والأذى، والاتهام، والإهانة، وسلب الحقوق، والاستضعاف، والعاقبة السيئة للمستكبرين، ذكرٌ للأوامر، والنواهي، والمواعظ، والحكم، ذكرٌ لخلق السموات والأرض والبحار، ذكرٌ للمستقبل والتاريخ، وانتصار دولة الحق، وقيام دولة العدل، ونصرة المظلوم، وهزيمة الظلم والباطل، ذكرٌ للبرزخ والمعاد، وحوادث ما قبل القيامة، وما يجري من أحداث في يوم القيامة، وعذاب جهنم، ونعم الجنة. نعم، القرآن في هذا كله ذكر، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

التعاليم

١ - ليس في القرآن حديث عن نفي أهمية الشعر، بل نفي الشعر عن النبي ﷺ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.

- ٢ - يدفع الله ﷻ عن أنبيائه ما اتهموا به، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.
- ٣ - عدم العلم بالشعر لا يضر بالمبلغ لدين الله، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.
- ٤ - بعض الأشياء قد تكون كمالاً في حد ذاتها؛ ولكن قد تعرض لها بعض المقارنات تجعلها مضرّة بالدور، ففي مثل هذه الحالات على الإنسان أن لا يغترّ بكون الشيء كمالاً في نفسه، (كانت للشعر في زمان النبي ﷺ مكانة مرموقة جداً، وهذه الآية تكسر هذه الأبهة بالشعر)، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.
- ٥ - الموهبة الشعرية من الله ﷻ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.
- ٦ - معلّم النبي ﷺ هو الله، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.
- ٧ - بعض العلوم قد لا تليق ببعض الأشخاص، ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَهُ﴾.
- ٨ - ما لم نتخلّ عن الخيالات والموهومات الشعرية، فإن روحنا لن تكون أهلاً لتلقي المعارف الإلهية، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ... إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.
- ٩ - القرآن ذكر، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.
- ١٠ - القرآن كلام مبين قابل للفهم والاستدلال، ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧٠)

إشارات

□ الحياة على أنواع:

- ١ - الحياة النباتية: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١).
- ٢ - الحياة الحيوانية: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٢).
- ٣ - الحياة الفكرية: ﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٣).
- ٤ - الحياة الاجتماعية: ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْفَقَاصِ حَيًّا﴾^(٤).

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(١) سورة الروم: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.

٥ - الحياة القلبية والمعنوية: ﴿لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

نعم المؤمن إنسان قلبه حي، ويعيش حياة حقيقية ومعقولة؛ وأما الكافر فهو كالميت محروم من الحياة الحقيقية.

□ ورد في الروايات أن المراد من الحي في الآية: الإنسان العاقل^(١).

□ ورد التعرض لمسألة العذاب الحتمي للكافرين في هذه الآية بقوله: ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ كما ورد في سورة الزمر الآية ٧١: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

□ الإنذار في القرآن الكريم يعتمد على علم الله ﷻ. وإنذارات القرآن متنوعة، معروفة وعن حكمة. والإنذار مع التبشير أسلوب جديد مبتكر. وإنذارات القرآن تقترن بالنماذج الواقعية في الأرض.

□ المنذر في هذه الآية قد يكون القرآن الكريم، وقد يكون النبي الأكرم ﷺ؛ لأن سياق الآية السابقة كان يتعرض للحديث عنه.

التعاليم

١ - إنذارات القرآن سبب لليقظة والتذكر، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ... لِيُنْذَرَ﴾.

٢ - علامة حياة القلب القبول بإنذارات القرآن، ﴿لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

٣ - هدى القرآن لا يختص بقوم ولا بجماعة دون غيرهم، ﴿لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

٤ - الهدف من الوحي وبعثة الأنبياء إيقاظ القلوب، والحياة، وإتمام الحجة على أموات القلوب، ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٥ - لا أثر حتى لكلام الله في أصحاب القلوب القاسية، ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

٦ - الكفار ومن لا يستمع إلى الحق هم أموات لا غير، (مقابل من كان حياً وردت كلمة كافرين).

٧ - الوعيد بالعذاب الإلهي للكافرين قول حتمي من الله ﷻ، ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ (٧١)

التعاليم

- ١ - يتمكن الإنسان من أن يصل إلى معرفة الله ﷻ، من خلال النظر في مخلوقاته التي يراها أمامه، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾.
- ٢ - خلق الدواب (كالبقرة، والغنم، والإبل، وإلى غير ذلك) هو لأجل هذا الإنسان، ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ﴾.
- ٣ - للإنسان دوره في إنتاج الحبوب والتمر، ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)؛ ولكنه لا يملك أي دور في خلق الدواب، ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾.
- ٤ - خَلَقَ الله ﷻ إبداع لا تقليد، ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾.
- ٥ - يستفيد حتى غير الإنسان من الشمس والنبات والبحر، ولكن لا يستفيد من الدواب إلا الإنسان، ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ... فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾.
- ٦ - من آيات اللطف الإلهي تمليك الإنسان دواب الأرض مع أنه لا دور له في وجودها، ﴿أَيْدِينَا... فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾.
- ٧ - مبدأ الملكية أصل يقره الإسلام، ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾.

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢)

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

التعاليم

- ١ - لو أن البقر والغنم كانت من فصيلة الحيوانات الوحشية لانسد باب الاستفادة من مشتقات الألبان أمام هذا الإنسان على الرغم من فوائدها العظيمة، ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ... وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

- ٢ - لو أن كافة الحيوانات كانت من الحيوانات الوحشية، لما تمكن الإنسان من استخدامها في السفر، ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.
- ٣ - الأرض ذلول، ﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾^(١)، والحيوانات كذلك، ﴿وَدَلَّلْنَاهَا﴾، وأما الإنسان فمع حاجتها لهما معاً؛ ولكنه طاع، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٢).
- ٤ - كل شيء خلق لغاية ولهدف، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.
- ٥ - لا يشي الإسلام على أكل النية، ولكنه يوصي بأكل اللحم، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.
- ٦ - الألبان نعمة إلهية خاصة، ولا بد من شكر الله عليها، (على الرغم من أن الألبان هي من منافع الحيوانات إلا أن القرآن تعرض لها بالخصوص، مشارب؛ لكي يبين خصوصيتها)، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ﴾.
- ٧ - الشكر لا بد من أن يكون على أساس الفهم والمعرفة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا... أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٦) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يَسُرُّوكَ وَمَا يُغْلِبُونَ ﴿٧٦﴾

إشارات

- يصنع لباس الإنسان من الحيوانات، ومن الصوف يصنع السجاد والأغطية وتعمل مصانع النسيج. حذاء الإنسان من جلد الحيوان. وتقام مصانع لأجل الاستفادة من جلد الحيوان في صناعة الجلود والأحذية والمحافظ و... وغذاء الإنسان من لبن الحيوان ولحمه، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾.
- للحيوانات دور أساس في الزراعة، كالحرث، وجر الماء، والسماد الطبيعي، وصرف مواد العلف، وحمل المتاع وغير ذلك، ﴿فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ﴾.

التعاليم

- ١ - الشرك وعبادة الأصنام كفر بنعمة الله ﷻ، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾.
- ٢ - سبب عبادة الأصنام خيالات وموهومات، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصَرُونَ﴾.
- ٣ - بينوا للمشركين خطأ معتقداتهم خلال محاورتهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾.
- ٤ - عقاب من لا يفكر في نعمة الله ﷻ عليه، ليتوجه بالشكر إليه ويستبدل ذلك بعبادة الأصنام، أن يحضر لعذاب جهنم، ﴿مُحْضَرُونَ﴾.
- ٥ - الأنبياء بحاجة إلى دعم معنوي وروحي أيضاً، والله ﷻ يمدهم بذلك، ﴿فَلَا يَحْزَنُونَ﴾.
- ٦ - كل من يحمل هدفاً أعلى لا بدّ من أن يكون في معرض السهام، ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾.
- ٧ - أفضل وسيلة لبث الهدوء في نفوس المؤمنين ولتهديد الضالين هو استذكار سعة العلم الإلهي، ﴿تَعْلَمُ﴾.
- ٨ - يتأمر المشركون في السر والعلن، ﴿يُيْرَتُونَ... يُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِزُّ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

إشارات

- جاء أحد المشركين فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتته، ثم قال: يا محمد إذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً فأنزل الله هذه الآية^(١).

□ المقصود من الشجر في هذه الآية نوعان من الخشب الذي يمتاز بقابليته للاشتعال، والمراد منه شجر «المرخ والعفار» الذي كان العرب قديماً يأخذون منهما على خضرتهما، فيجعل العفار زنداً أسفل ويجعل المرخ زنداً أعلى، فيسحق الأعلى على الأسفل فتندح النار بإذن الله. وفي الواقع هو يشبه الكبريت في عصرنا الحالي^(١).

□ إشعال النار من الشجر الأخضر مثال يفهمه العوام، والعلماء يدركونه بطريق علمي بما في الشجر من طاقة، ﴿مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

التعاليم

- ١ - إذا تذكر الإنسان ضعفه ومهاتته لن يعرض أبداً، ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾.
- ٢ - ما يقوي إيمان الإنسان بالمعاد أن يتذكر خلقه من نطفة، ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾.
- ٣ - الأسوأ من الخصومة نفسها هو شدتها وظهورها، ﴿خَصِيْرٌ مُّيْنٌ﴾.
- ٤ - مخاصمة الإنسان لربه ﷻ أمر عجيب وغير متوقع، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيْرٌ﴾، (تستخدم كلمة «إذا» للأمور المفاجئة).
- ٥ - لا مانع من نقل الأفكار المنحرفة وبيانها، إذا كان ذلك للرد عليها، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾.
- ٦ - الأساس في الكثير من الإشكالات، في ما يتعلق بالقدرة الإلهية، ناشئ من عدم ملاحظة الموارد المشابهة ونسيان السوابق، ﴿وَتَنَسَىٰ خَلْقَهُ﴾.
- ٧ - ليس لمنكري المعاد من برهان، عدا مجرد الاستبعاد، ﴿مَنْ يُنْحِ الْعِظَمَ﴾.
- ٨ - الحرية في الإسلام تصل حداً يقف فيه من يكفر بالله ﷻ وبالمعاد، وبكل قوة، أمام نبي المسلمين ليتحدث بما يريد بصراحة، ﴿مَنْ يُنْحِ الْعِظَمَ﴾.
- ٩ - لا مانع من السؤال، والقبیح هو السؤال عن عناد وبدافع الغرور، ﴿مَنْ يُنْحِ الْعِظَمَ﴾.

- ١٠ - منشأ بعض الشبهات العقدية مقارنة الإنسان بين قدرة الله وقدرته، ﴿مَنْ يُعْطِ الْعِظَمَ﴾.
- ١١ - لا بد من الرد على الشبهات العقدية، وإن كان الملقى لها شخص واحد، ﴿قَالَ... قُلْ﴾.
- ١٢ - المعاد جسماني، ﴿يُعْطِ الْعِظَمَ﴾.
- ١٣ - لا بد في تحقق المعاد من أمرين: القدرة الإلهية على خلق الإنسان ثانية وعلمه بعمل الإنسان في الحياة الدنيا. وهذه الآية تشير إلى كلا الأمرين؛ ﴿أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ علامة القدرة، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ دليل سعة علمه.
- ١٤ - الله ﷻ يجمع بين الأضداد، فالنار والماء ضدان لا يجتمعان، ﴿مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

﴿أَوَّلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١)

إشارات

□ الإنسان مرتكب من جسم وروح، وجسم الإنسان يفنى بالموت ويتلاشى، وهو في حالة تغير دائم في حال حياته، ولكن الروح أمر ثابت في الإنسان. وفي القيامة روح الإنسان هي نفسها التي كانت في هذه الدنيا؛ ولكن جسمه يكون في قالب مشابه للجسم الدنيوي، ﴿يَخْلُقُ مِثْلَهُمْ﴾.

التعاليم

- ١ - قد يكون الجواب عن السؤال بسؤال أحياناً، ﴿مَنْ يُعْطِ الْعِظَمَ... أَوَّلَيْسَ الَّذِي...﴾.
- ٢ - السؤال من وسائل إيقاظ الضمير، ﴿أَوَّلَيْسَ الَّذِي...﴾.
- ٣ - عند محاورة المنكرين لا بد من أن نبدأ بالمسائل الصغيرة أولاً، ثم نصل بعد

- ذلك إلى القضايا الكبيرة، (المثال الأول، كان النطفة، والمثال الثاني الشجر الأخضر، والمثال الثالث خلق السموات والأرض)، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٤ - من يملك المئة يملك التسعين أيضاً. فمن خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق الإنسان، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ... يَقْدِرُ﴾.
- ٥ - الخلق فعله سواء في الدنيا أو في الآخرة، ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ﴾.
- ٦ - الدليل على المعاد، مضافاً إلى حكمة الله ﷻ وعدله، امتلاكه القدرة والعلم بأعمال العباد، ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)
 ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

إشارات

- لما كان الإيمان بالمعاد مهماً للغاية، فلا بد من إزاحة كل شبهة تعترض الإيمان به، لكي لا يبقى شك في الأذهان. والله ﷻ يجيب من سأل: ﴿مَنْ يُنْجِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيَّةٌ﴾، فيقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا...﴾.
- لا حاجة إلى الزمان في تحقق الأمر والإرادة الإلهيتين. بل هو كلمح البصر، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١).
- لا يحتاج الله ﷻ في فعله حتى إلى كلمة «كن»؛ لأنه منزّه وغني عن كل حاجة، بل المراد من كلمة «كن» حكمته وإرادته. وعلى حدّ ما يروى عن الإمام علي عليه السلام: «لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع»^(٢).

التعاليم

- ١ - خلق كل شيء عند الله ﷻ سواء، ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾.

- ٢ - الله ﷻ لا يحتاج في خلقه عالم الوجود، لا إلى الوسيلة، ولا إلى العون، ولا إلى ما يرفع الموانع، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.
- ٣ - لا فاصلة بين إرادة الله ﷻ ووقوع الفعل، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.
- ٤ - كيف يعجز الله عن البعث؟ وهو منزّه عن كل عجز، ﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي﴾.
- ٥ - الله ﷻ هو مصدر الوجود، وعالم الوجود كله بيده، وهذا العالم كله يرجع إليه تعالى، ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
- «والحمد لله رب العالمين»

الفهرس

سورة القصص	٩٠ - ٥
سورة العنكبوت	١٤٩ - ٩١
سورة الروم	١٩١ - ١٥١
سورة لقمان	٢٥٩ - ١٩٣
سورة السجدة	٢٨٤ - ٢٦١
سورة الأحزاب	٣٦٣ - ٢٨٥
سورة سبأ	٤٠٩ - ٣٦٥
سورة فاطر	٤٥٣ - ٤١١
سورة يس	٤٩٧ - ٤٥٥